

المدرسة النبوية العسكرية

د. محمد عبد القادر أبو فارس



محمد عبد القادر أبو فارس

دار الفرقان
للطباعة والنشر والتوزيع

المدرسة النبوية العسكرية

د. محمد عبد القادر أبو فارس

دار الفرقان

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب: ٩٢١٥٢٦ - عمان - الأردن

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

كافة حقوق الطبع محفوظة

رقم الايداع بدار الكتب المصريه

٩٣ / ٤٥٨٦

طبع بمطبعة الحلبي بالقاهره

ت : ٩١٣٨٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

(محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً)

الآية ٢٩ من سورة الفتح

الاهداء

إلى محبي الرسول الأوفياء لسيرته ومدرسته
إلى قادة الأمة الذين رفضوا الاستخذاء والخنوع
إلى الجنود الوارثين لمدرسة خير الأنبياء
إلى جيل التحرير و التغيير ليدرك معالم الطريق
إلى الذين رفعوا شعار البندقية ولا يزالون يرفعونه ولم يسقطوه

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ولن تجد له من دون الله ولياً مرشداً . ونستفتح بالذي هو خير قال تعالى : (محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرأ عظيماً)^(١) .

ثم أما بعد :

فإن الله تبارك وتعالى جلت قدرته وعزت عظمته قد بعث سيدنا محمداً هادياً وبشيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . جعله الله رحمة للعالمين ونذيراً للبشر أجمعين على اختلاف ألوانهم واجناسهم وأوطانهم ولغاتهم وطبائعهم . وقد كلفه بهذه الأمانة وهو في مكة لا دولة ولا صولة له ، فقال سبحانه في سورة الأعراف المكية : (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً)^(٢) .

ولقد صدع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أول يوم بالحق ، وبلغ الرسالة ، فانقسم الناس إلى فسطاطين ، فسطاط إيمان لا كفر فيه ، وفسطاط كفر لا إيمان فيه .

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

واحتدم الصراع بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ، وكانت الكثرة والقوة في جانب أولياء الشيطان ، فقام هؤلاء في طريق دعوة الخير استجابة إلى أهوائهم المنحرفة وأفكارهم المشوشة ، وعقائدهم الزائفة الضالة ، واستخدموا قوتهم ودولتهم وصولتهم في إيذاء المؤمنين محاولين نبيهم عن الحق والهدى .

لقد ثبت هؤلاء المؤمنون وصبروا والتفوا حول قيادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل عليه ، وقد لوحظ في تطور هذا الصراع أن أولياء الرحمن يزدادون يوماً بعد يوم وأن أولياء الشيطان في ارتياب وتباب وهذا ما يغيظ أولياء الشيطان فيستمررون في سياسة التصدي والتشويه لصورة المؤمنين .

ولقد منَّ الله تبارك وتعالى على أولياء الرحمن بالثبات والصبر ثم الظفر والنصر ، فأقاموا الدولة الإسلامية القوية التي وفرت لهم الحرية والأمن ليس لهم وحدهم بل ، ولكل من أراد أن يعيش في كنف هذه الدولة محترماً دينها ودستورها .

إن أعداء هذه الدولة كانوا ولا يزالون كثيرين . في بداية الدعوة وإقامة الدولة كانت جل القبائل العربية المشتركة وفي مقدمتها قريش تعادي المعسكر الإسلامي ، وكان اليهود في المدينة وخيبر أعداء ألداء لهذه الدولة يمحرون بها لتقويض أركانها من القواعد ، ونصارى العرب والروم يحشدون الحشود ويهيئون النفوس للقضاء على الدولة الفتية ، ودولة الفرس بزعامه كسرى ، عبدة النار ، كفار يكرهون الإسلام ويسعون للقضاء على دولته ، لأن مصالحهم قد هدها الرسول ، (صلى الله عليه وسلم) ، في اليمن حينما أسلم واليها ساسان بن باذان فأقره الرسول على حكمها وثبته امام كسرى ، ثم عين ولده شهر بعد موته مكانه .

إن تعدد الأعداء وضخامة أعدادهم وعددهم حدد المسؤولية الضخمة لرسول الله ، (صلى الله عليه وسلم) ، والذين معه .

والقارئ لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من كتب السنة والسيرة خاصة فيما يتعلق بالسرايا والبعوث والغزوات يمكنه أن يستنبط أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد ورث المسلمين مدرسة نبوية عسكرية ينبغي على الأمة الإسلامية وفي مقدمتها العسكريون منها أن

يعضوا عليها بالنواجذ ، ويدرسوا ما فيها بدقة وعمق ويتربوا على هذه المبادئ العسكرية والقواعد الحربية التي قامت عليها هذه المدرسة .

لقد استطاع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يكون مدرسة عسكرية متميزة في قاداتها وجنودها ومنهجها من خلال قيادته للصراع الدامي المحتدم بين المسلمين والقبائل العربية المشتركة داخل الجزيرة العربية ومن خلال الصراع بين المسلمين والقبائل اليهودية في المدينة وفي خيبر ، ومن خلال القتال الشرس بينه وبين النصارى سواء كانوا عرباً أو روماً ، ومن خلال المصادمات بين المسلمين وبين الفرس .

إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا بعد أن كَوَّن هذه المدرسة، فتحدت معالمها وأهدافها ومنهجها .

أما صاحب هذه المدرسة فهو محمد بن عبدالله القرشي القائد العسكري الذكي الأملعي العبقرى الذى تفضل بهذه الصفات الجليلة والخصال الحميدة عليه الرب تبارك وتعالى فرعاه منذ حملة فى بطن أمه وبعد ولادته إلى أن توفاه ، فأدبه وأحسن تأديبه ، وعلمه من سائر العلوم ومنها العلوم العسكرية ما لم يعلمه لبشر من قبله ولا من بعده .

وخلقه بالأخلاق الكاملة ، ومنها الأخلاق العسكرية ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) خلقه القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، والقرآن الكريم معين ثر لا ينضب للأخلاق العسكرية والآداب العسكرية والإعداد العسكري وعوامل النصر وأسبابه فى القتال .

لقد نشأ صاحب هذه المدرسة فى بيئة ساعدته لأن يكون قائداً عسكرياً ملهماً ، فمنذ نعومة أظفاره نشأ فى البادية حيث الحياة الخشنة والتقشف والبعد عن سائر مظاهر الترف والبذخ والترهل ، ورعا الغنم وهو غلام فأكسبه الرعى صفات حسنة وسجايا جيدة ، كالتواضع والرحمة وحب الخير للناس ، وعمل بالتجارة فتعامل مع سائر أصناف الناس أخذاً وعطاءً وخرج بخبرة واسعة بمعادن الرجال وصفاتهم ، كما رحل مع عمه فاستفاد من ذلك فائدة جليلة.

نعم لقد تعرف على مستويات الناس المختلفة وكيف يفكر كل مستوى ، وهمومه وقضاياه ، وعاداتهم في التعامل والاقتضاء ، وما ينتج عن ذلك من مشاحنة في الحقوق ، واختلاف وخصومة ، ومن وفاء ومطل .

ولقد ذاع صيته قبل بعثته فكان لقبه الأمين قد غلب على اسمه لأمانته وعفته ، وكان المصلح في عشيرته وقريته مكة ، وكان الحكم المقبول حكمه إذا اختلف الناس ، وما قصة بناء الكعبة والحجر الأسود عن أذهاننا ببعيدة إذ حكمه الناس بعد أن دب النزاع الذي لا يقطعه إلا القتال أو الإصلاح ، فكان الإصلاح على يديه .

هذا وقد شارك في القتال وهو غلام ، فلم يكن بعيداً عن ساحات القتال ، بل كان يصاحب الرجال في الترحال والقتال .

لقد اختاره الله تبارك وتعالى أميناً على الوحي ومكلفاً بالرسالة ليكون قائداً عسكرياً يقود الأمة من نصر إلى نصر ومن مجد إلى مجد ، وليترك لها مدرسة نبوية عسكرية ترسم خطاً هذه المدرسة وتستفيد منها ، قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته)^(١) .

أضف إلى هذه الخصال الحميدة والصفات الجليلة التوجيه الرباني الذي تعهده الله به قبل البعثة وبعدها ، يعلمه ويرشده إلى أحسن الأمور العسكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لبناء المجتمع والدولة . كل ذلك يتلقاه بعد البعثة عن طريق الوحي .

ألا ترى أن الملائكة ، وفي مقدمتها جبريل (عليه السلام) أمين الوحي تقاتل معه وجبريل عليه السلام ينقل إليه الأمر العسكري الرباني بقتال بني قريظة : يا محمد أراك قد وضعت السلاح فإن الملائكة لم تضع السلاح ، إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة وإني سائر إليهم فمززل بهم ، وبناء على ذلك يوجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمره العسكري إلى المسلمين فيقول : « من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة »^(٢) .

(١) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام .

(٢) فتح الباري : ٤٠٨/٧ .

لقد كان صاحب هذه المدرسة العسكرية قطباً في العلوم العسكرية ، يتمتع بعقلية عسكرية رائعة ، ولياقة بدنية عالية ، قيافة لائقة، وقيادة تجتمع عليها القلوب وكان ذا حركة عسكرية نشطة وفاعلة .

كان (صلى الله عليه وسلم) وهو القائد الذي تحوطه العناية الربانية والمتمتع بالصفات البشرية المتكاملة لا يتوانى عن الاستفادة من الآخرين ، كان حريصاً على الإطلاع على خبرات الأمم وعلومها في المجال العسكري ، وكان يستفيد من هذه الفنون العسكرية في وضع خططه للتصدي لأعدائه ، كما كان حريصاً على أن يفيد القادة والجنود والأمراء فيتعهدهم بالتوجيه والإرشاد والعناية والرعاية ليكونوا خلفاءه بحق في سائر نواحي الحياة .

واولاً وقبل كل شيء لقد كان هذا القائد ربانياً وثيق الصلة بربه ، ملتزماً بتوجيهاته وارشاداته وأوامره ونواهيه .

وتلاميذ هذه المدرسة هم صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أعلام الورى وأسد الشرى وليوث الوغى أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان ، وعلي ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وأبي دجانة، وابن رواحة، وزيد بن حارثة، وولده أسامة وجعفر بن أبي طالب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، لقد رباهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتوجيه من ربه فكانوا جيلاً قرآنياً فريداً ، فريداً في أخلاقه ، فريداً في شجاعته وثباته وصبره ، فريداً في تضحيته وبذله ، فريداً في أخلاقه العسكرية وسائر العلوم العسكرية .

أليس هذا الجيل هو الذي فتح الله الجزيرة على يديه فطهرها من عبادة الأوثان ، وفتح الله على يديه اليمن ، وفتح الله على يديه فارس والشام ، أليس هذا الجيل هو الذي قاد المعارك وانتصر على أعظم دول العالم آنذاك في اليرموك والقادسية .

لقد كان هذا الجيل حريصاً كل الحرص على الاستفادة من التوجيهات العسكرية النبوية وغير العسكرية . لقد كان هذا الجيل مرافقاً لصاحب هذه المدرسة العسكرية في المعارك الحربية وكان هذا الجيل يرسل منه الرسول السرايا والبعوث ويختار القادة والجنود والأمراء .

وكانوا يحرصون على السماع منه ونقل ما يسمعون إلى من غاب من إخوانهم عن مجالسه ، بل كانوا يتناوبون في وقت السلم على مجالسه حتى لا يفوتهم شيء ، وكانوا يحرصون على الخروج للقتال معه ، وقل ما تجد إنساناً يتخلف عن الغزو معه إلا لعذر .

هؤلاء إذن تربوا على الأمور العسكرية من خلال التوجيه والارشاد ، من خلال المعارك الميدانية التي يقودها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو يخطط لها باختيار الأمراء والجنود والوجهة والهدف .

لقد عاصر هذه المدرسة العسكرية مدارس عسكرية أخرى ، فهناك المدرسة العسكرية العربية التي تمثلها القبائل العربية وفي مقدمتها قريش وهوازن . وهناك المدرسة العسكرية الرومانية التي تسود في بلاد الشام ، وهناك المدرسة العسكرية الفارسية التي كانت تسود بلاد فارس . وهناك المدرسة العسكرية اليهودية التي تقوم على عدم المواجهة والمجابهة ولكن تقوم على التحصن والقتال من وراء جدر كما ذكر القرآن الكريم .

ولقد استطاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يوجد مدرسة متميزة عن هذه المدارس كلها . فأخذ من هذه المدارس محاسنها وابتكر أموراً لم تخطر بخلدها وبحسبانها .

لقد كان هذا المنهاج منبثقاً عن شريعة السماء وعقيدة التوحيد . فكان منهاجاً ربانياً ، وكان منهاجاً شاملاً . وكان منهاجاً عادلاً في معاملة الأعداء ، وكان منهاجاً يجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب يهتم بالأعداد والتخطيط والتعبئة . ويشرك الآخرين في ذلك فيستفيد من جهودهم وخبراتهم وقدراتهم ، فتتحقق له أسباب النصر .

كان منهاجاً يقوم على الإعداد للمعركة ، يجمع المعلومات المستفيضة الدقيقة عن الأعداء وفي نفس الوقت يعمل مسحاً شاملاً لقدراته وإمكاناته . فكان يستخدم الاستخبارات العسكرية والسرايا العسكرية الاستطلاعية التي تجمع الاخبار عن العدو .

وكان منهاجاً يعتمد على الحوار والحجاج العقلي وحرية الرأي والمشورة في اتخاذ القرار العسكري .

كان منهاجاً يقوم على الاستفادة مما هو موجود ، وتجويده وتطويره باضطراد حتى يتفوق على عدوه . فلا يجمد على وسيلة . ولا يتوقف عند عدد ، بل يطور الوسائل ويعمل على زيادة العدد والعدة والدربة والتجربة .

كان منهاجاً يقوم على الاستفادة من كل الطاقات وتوظيفها بل وتهيئة قيادات جديدة شابة تخلف القيادات صاحبة التجربة والخبرة والدربة .

كان منهاجاً يقوم على القدوة العسكرية الفذة التي تملك من المؤهلات العلمية والمسلكية والحركية والتنظيمية ما يجعلها قادرة على إدارة فن الصراع العسكري والنجاح فيه . كان منهاجاً يقوم على المبادأة والمفاجأة وتوجيه الضربة القوية الأولى المذهلة التي تذهل الخصم وتربكه حتى يستسلم .

كان منهاجاً يقوم على عقيدة قتالية واضحة في نفس كل مقاتل انه يقاتل من أجل هدف نبيل وغاية فضلى تنخلع من كل أوهام الأرض التي تجعل الانسان المقاتل يخلد إليها ، إنه يقاتل من أجل رسالة . رسالة التوحيد والتحرير لجميع البشر بلا استثناء ، فإن استشهد من أجل رسالته فهو حي لم يمت وله من حياة الشهداء ما يتمناها كل مقاتل ، وإن ظفر على عدوه كان الثواب الجزيل في الآخرة على كل خطوة خطاها أو وادٍ سلكه أو شوكة شيك بها أو درهم أنفقه أو غاز خلفه في أهله أو مد له يد العون .

كان منهاجاً إنسانياً لأنه رباني ، لأن المنهاج الرباني جاء لإسعاد البشر ، ومن ثم ينطلق في التعامل من هذه المشكاة الربانية . فللقاتال مرحلة وهدف ، وللأسر مرحلة وهدف ، ولأحكام الأسرى أهداف شرعية مرسومة ينبغي التقيد بها وعدم الخروج عنه وعليها .

كان منهاجاً لا يسكت عن الخطأ والاعتداد بل يقف ليعالج الأخطاء ويزيل الاعتداء ، ويعدل في حكم البلاد المفتوحة ، وينصف أهلها إذا تظلموا من أحد الأمراء والقادة ، لأن المهم أن يبقى المنهاج نقياً صافياً خالياً من الشوائب لا تبرئة الأشخاص ، فإن تبرئة الأشخاص لا تعدل تشويه المنهاج .

إن هذا الكتاب محاولة لوضع معالم المدرسة النبوية العسكرية من خلال دراسة الغزوات والسرايا والبعوث دراسة تحليلية دقيقة مفصلة نستنبط الدروس والحكم والأحكام ونقدم الشواهد القولية والعملية عليها ، مع الاستدلال والتعزيز والتوضيح .

إن المسلمين اليوم بحاجة إلى دراسة هذه المدرسة ومنهجها والاستفادة منها ، فهم يعيشون تخلفاً مريعاً وردة عن الإسلام وأحكام الإسلام في كثير من القضايا وعديد من البلاد . فقد ظهر الفساد في البر والبحر ، وانطلق أعداؤنا فاستباحوا أرضنا وعرضنا وأقدس مقدساتنا ، وشردوا أهلنا في شتى بقاع المعمورة .

وإنني قبل أن أضع اليراع أضرع إلى الله (عز وجل) أن يتقبل مني جهدي هذا وأن يبارك فيه ، وأن يرزقني الاخلاص في القول والعمل ، وأن يعينني على دراسة سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واستنباط الدروس منها لافادة هذه الأمة قادة وجنداً .

وإنني لألتمس من القارئ الكريم أن يسدي إلي النصيحة فيما وقعت عليه عينه من عيب أو خلل ، أوزلل ، فأكون له من الشاكرين ، فإن المؤمن مرآة أخيه وكل إناء ينضح بالذي فيه .
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
استغفرك وأتوب إليك .

صويلح في ٢٧ شوال ١٤١٢ هـ

الموافق ٢٩/٤/١٩٩٢ م

مقر القيادة العسكرية النبوية

مقر القيادة العسكرية

إن الذي يقرأ سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يلاحظ أنه كان للنبي (صلى الله عليه وسلم) مقران للقيادة . مقر دائم ثابت ، ومقر ميداني .

والمقر الثابت كان في المسجد النبوي ، وكان حول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجموعة من خيار المهاجرين وقادتهم كأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وغيرهم ، وكان إذا حُزب أمر جمع المسلمين في المسجد واستشارهم ، وأكثر شيء كان يستشيرهم فيه هو القرار العسكري ، لأنه قرار مصيري تتأثر به الأمة والدولة تأثراً شديداً سواء كان سلبياً، أو إيجابياً .

وكانت القيادة العسكرية النبوية توجه من المسجد الجيوش المنطلقة إلى غزو الأعداء وقتالهم وكان الرسول، (صلى الله عليه وسلم) ، يصدر الأوامر العسكرية ، والتعليمات الحربية للجيوش كذلك من المسجد وكان يرسل المدد من مركز التجمع والانطلاق ألا وهو المسجد .

وكان المسجد بمثابة مركز للثقافة العسكرية والتربوية فيرشد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المقاتلين إلى آداب القتال في الإسلام ، وإلى عوامل النصر على الأعداء .

وكان من المسجد الذي تقيم فيه القيادة ترسل السرايا والبعوث لدعوة الناس ومحاربة الذين يقفون في وجه الدعوة والدعاة ، ومن هذا المسجد ومن هذه القيادة يصدر تعيين الأمراء للسرايا والبعوث .

وكان مقر القيادة العسكرية النبوية التي كانت تتلقى المعلومات عن الأعداء من خلال العيون سواء كانوا من المسلمين أو من غير المسلمين ، فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرسل العيون لجمع المعلومات عن العدو وعدده : قوته وسلاحه وحركته وأهدافه ، وموقفه من

الدولة الإسلامية ، وخطته التي قد وضعها ، أو قد يضعها وتستهدف إيذاء المسلمين .

نعم لقد كان المسجد مقراً للاستخبارات العسكرية النبوية ، وكانت وسائل الاتصال بالمسلمين في أثناء القتال سهلة ميسورة ، كما كان الاتصال بالجنود المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الجاهلية سريعاً ومتصلاً ودائماً ، فقد كانت هذه القيادة العسكرية دائمة الاتصال بالمسلمين المستضعفين في مكة . ولما نزلت آية الهجرة التي تؤثم القادر على الهجرة ولم يهاجر إلى المدينة ، أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكتابة هذه الآية وإرسالها إلى المستضعفين في مكة ، وهذه الآية هي : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً)^(١) .

وكانت هذه القيادة في مقرها الدائم على صلة وثيقة بالمسلمين في الحبشة .

وكان قسم الحركة موجوداً في المسجد : إذ أننا نعلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) حينما أعلن النفير العام في غزوة تبوك . واحتاج بعض المسلمين وسيلة نقل توصلهم إلى موقع الغزوة ، كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يندب المسلمين إلى توفير ذلك ، كما كان هو (صلى الله عليه وسلم) يحل لهم مشاكلهم ، ولقد استطاع (صلى الله عليه وسلم) أن يوفر وسائل النقل لجميع المسلمين المحتاجين إلا لنفر محصور سموا في تاريخنا بالبكائين ، وكان ذلك نتيجة تعاون الأغنياء والموسرين مع القيادة النبوية .

وقد كان المسجد مقراً لإسعاف الجرحى ومداواتهم فقد أذن القائد المعصوم لرفيدة الأسلمية بعلاج سعد بن معاذ زعيم الأوس في المسجد النبوي .

وكانت القيادة النبوية المستقرة في المسجد تقوم بتزويد الشعب المسلم في المدينة بالأحداث التي تعترض الجيش الإسلامي وعن نتائج المعارك التي خاضها المسلمون ، إما من النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا كان موجوداً في المقر الدائم ، أو يرسل رسول الله (صلى الله

(١) الآيتان ٩٧ ، ٩٨ من سورة النساء .

عليه وسلم) جندياً أو أكثر من أرض المعركة ليخبر المسلمين نتيجة المعركة . ذلك لأن المسلمين قلوبهم متعلقة بالمجاهدين حريصين على معرفة أخبارهم وهذا الشعب ينبغي أن تنقل إليه الأخبار أولاً بأول حتى يعيش قضايا شعبه ومجاهديه ، يشعر بشعورهم ويضحى كما يضحون فهم أهله وإخوانه يحبهم ويحبونه ويدافع عنهم ويدافعون عنه وكتب السيرة والسنة تحدثنا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أخبر شعب المدينة بأحداث سرية مؤتة ونتائجها ، فقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نعى زيدا وجعفر وابن رواحة للناس قبل أن يأتهم خبرهم ، فقال : أخذ الراية زيد بن حارثة فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبدالله بن رواحة فأصيب ، وعيناه تذرفان الدمع ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ^(١) .

وروى الامام أحمد رحمه الله في مسنده بإسناده إلى أبي قتادة فارس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : « بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جيش الأمراء ، وقال : عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة الأنصاري فوثب جعفر فقال : بأبي أنت يا رسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل على زيدا ، قال : امضوا فإنك لا تدري أي ذلك خير ، قال : فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله ، ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صعد المنبر وأمر أن ينادى الصلاة جامعة فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ثاب خبر ، ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي ، إنهم انطلقوا حتي لقوا العدو فأصيب زيد شهيداً فاستغفروا له ، فاستغفر له الناس ، ثم أخذ اللواء جعفر ابن أبي طالب فشد على القوم حتى قتل شهيداً ، شهدوا له بالشهادة ، فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة فأثبت قدميه حتى أصيب شهيداً ، فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء ، وهو أمر نفسه فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصبعه وقال : اللهم هو سيف من سيوفك فانصره ^(٢) .

أما بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان يرسل من يخبر أهل المدينة بنتيجة

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري : ٥٤/٩ .

(٢) الفتح الرباني : ١٣٧/٢١ .

المعركة .

وأما مقر القيادة المؤقت أو غير الدائم وهو المقر الميداني ، فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتشاور مع الصحابة والقادة في تحديد هذا المقر وتحصينه والاستفادة منه ، ولقد بينت السيرة النبوية مقر القيادة النبوية في غزوة بدر الكبرى وفي غزوة أحد ، في غزوة الأحزاب وفي غزوة الحديبية وفي غزوة الفتح الأعظم ، وفي غزوة حنين وفي غزوة بني قريظة وغزوة بني النضير وغزوة بني قينقاع .

والذي يجدر ذكره أن هذا المقر مؤقت وميداني ويتم اختياره بناء على التشاور بين القيادة والقاعدة.

التواضع وعدم الاستعلاء والتميز على الجنود

التواضع وعدم التميز

لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعيش في برج عاجي ويترك جنوده يعانون من شدة الجوع ، وشظف العيش ، بل كان يشاركهم (صلى الله عليه وسلم) في السراء والضراء ، لا يفارقهم لحظة واحدة . يمشي إذا مشوا ويركب إذا ركبوا ويحفر إذا حفروا ، بل يختار أشق الأعمال ويقوم بها .

روى الإمام أحمد (رحمه الله) في مسنده بإسناده إلى عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : « كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : فقالا : نحن نمشي عنك ! فقال : ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر عنكما »^(١).

كان (صلى الله عليه وسلم) يسهر على راحة جنده ، فيدعوه ربه ويستنصره في جوف الليل والمسلمون نائمون . فقد جاء في موارد الظمآن إلى زوائد بن حيان مسنداً إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : « ما كان فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحت شجرة يصلي ، ويكي حتى أصبح »^(٢).

وفي غزوة الأحزاب حينما قرر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يحفر المسلمون خندقاً حول المدينة بناء على مشورة من سلمان الفارسي رضي الله عنه .

لقد كان الشباب والشيوخ ينقلون التراب ويحملونه على رؤوسهم بالمكاتل ، ويرجعونها مملوءة بالحجارة من جبل سلع ، ليرموا بها جيوش الأحزاب إن اقتربت من الخندق^(٣) ، وكان

(١) المسند تحقيق أحمد شاكر ٣/٦ وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١/٢ .

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٤٠٦ .

(٣) غزوة الأحزاب للدكتور محمد أبو فارس ص ٩٩ .

الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما من العجلة إذ لم يجدامكاتل - وكانا لا يتفرقان في مسير ولا منزل ^(١) .

فماذا كان موقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ساعتئذ؟

هل كان (صلى الله عليه وسلم) يتفرج على أصحابه وهم يحفرون الخندق وينقلون التراب؟

لقد شارك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين في الحفر ونقل التراب ، بل لقد اجهد نفسه في حفر الخندق ونقل التراب ، حتى وارى التراب بطنه . عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول :

لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزل السكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا » ^(٢) .

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : « كانت الأنصار يوم الخندق تقول :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيننا أبداً

فأجابهم النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال :

اللهم لا عيش إلا عيش الأخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة ^(٣)

وفي لفظ آخر :

(١) امتاع الاسماع : ٢٢٢/١ .

(٢) اللؤلؤ والمرجان رقم الحديث ١١٨٢ .

(٣) اللؤلؤ والمرجان رقم الحديث ١١٨٥ وانظر مختصر صحيح مسلم رقم ١١٧٤ .

لا عيش إلا عيش الآخرة فأصلح الأنصار والمهاجرة^(١)

وفي أثناء حفر الخندق اعترضت نفراً من الصحابة صخرة بيضاء كسرت معاولهم حتى هموا أن يتركوها ، ثم قالوا : نشاور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأرسلوا إليه ، « فقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) المعول ، فضرب في الكدية فعادت كثيباً أهبل أهثم »^(٢) .

وروى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده عن البراء بن عازب : « فأخذ المعول فقال : بسم الله . فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا ، ثم قال : بسم الله وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر ، فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا ، ثم قال : بسم الله ، وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا »^(٣) .

قال ابن حجر رحمه الله : « وقد وقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة باسناد حسن من حديث البراء بن عازب »^(٤) .

مما تقدم نرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يقف موقف المتفرج من الصحابة ، وهم يحفرون الخندق في البرد الشديد والرياح الشديد ، ولم يقف موقف المشجع على الحفر بالكلام المعسول ، أو الأمر الصارم ، ويعاقب كل من يتردد في تنفيذ الأمر ، كما يفعل بعض القادة العسكريين في عالمنا المعاصر ، بل انطلق يشاركهم النصب والتعب ، يحفر معهم طوال مدة الحفر .

لقد كانت مشاركة حقيقية من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه ، إنه يحمل التراب ويحطم الصخور . مشاركة بعيدة عن الشكليات التي يسلكها كثير من الزعماء اليوم .

(١) اللؤلؤ والمرجان رقم الحديث ١١٨٤ وفي الفتح الرباني ٧٨/٢١ فاغفر للأنصار والمهاجرة .

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٣٩٨/٨ - ٣٩٩ ، قال في فتح الباري : فعاد كثيباً أهبل أي رملاً ... والمعنى أنه صار رملاً يسيل ولا يتماسك .

(٣) الفتح الرباني : ٧٨/٢١ .

(٤) فتح الباري : ٣٩٩/٨ .

إن كثيراً من المسؤولين في بلاد العرب والمسلمين يتكلفون التواضع، ويتظاهرون بمشاركة العاملين عملهم ، فيضعون حجر الأساس بناء على مراسم معينة ، ويتظاهرون بعض المسؤولين بغرس الشجرة تشجيعاً للناس على الزراعة ، وتقوم أجهزة الإعلام بالدعاية العريضة ، علماً بأن أناساً يخصصون لحمل الحجر أو الشجرة ، وآخرين يحفرون الحفرة ، ويقوم هؤلاء بوضع الحجر أو بغرس الشجرة بلباسهم الأنيق دون أن تتغير أحيديتهم .

إن هذا الصنع من فاعله لا يدل على همة عالية ، ولا على تواضع جم من صاحبه ، إنه التزييف والتزوير الذي تضحك منه الجماهير ولا تخدع به .

إن التواضع الجم ، والهمة العالية تكون بمشاركة الجنود فعلاً كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفعل بالخنديق ، بل كان يختار أشق الأعمال في سفره عند تجهيز الطعام .

فإذا اختار أحد أصحابه ذبح الشاة والآخر سلخها والثالث طبخها فقد اختار هو عليه الصلاة والسلام جمع الخطب ، وهو أشق الأعمال ، ولم يختار هذا مجاملة حتى يكفيه أصحاب العمل ، بل اختار هذا فعلاً وأصر على القيام به ، وقد قام به فعلاً بعد أن عرض عليه أصحابه أن يكفوه جمع الخطب ويريحوه ولكنه أبى أن يتميز عنهم فيقعد وهم يعملون .

لقد كان يتعاطف مع جنوده ولا يتميز عنهم بطعام أو شراب ، بل كان يجوع كما يجوعون ويأبى أن يأكل ويدعهم جوعاً . روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه ^(١) بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما حفر الخندق رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمصاً شديداً فانكفيت إلى امرأتي فقلت : هل عندكم شيء ؟ فإني رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمصاً شديداً ، فأخرجت إلي جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن فذبحتها ، وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت : لا تفضحني برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبمن معه ... فجئته فساررتُهُ فقلت : يا رسول الله ، ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً شعيراً كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا أهل الخندق ، إن جابراً قد

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري : ٤٠٢/٨ .

صنع سوراً فحيهلاً بكم ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجيتكم حتى أجيء . فجئت وجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقدم الناس حتى جئت امرأتى ، فقالت ، بك وبك . فقلت : قد فعلت الذي قلت ... ولقد أطعم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الجنود الذين كانوا يحفرون الخندق وقد بلغوا الفأثم أكل (صلى الله عليه وسلم) وأطعم أهل البيت وبقي في البرمة كما بقي من العجين ، فقد جاء في رواية أخرى في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما :

فجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية ، قال : كلي هذا واهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة ^(١) .

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يرغب أن يخص نفسه بطعام لذيذ هو طعام جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما ، بل دعا أهل الخندق كلهم ، وهكذا يكون القائد لا يميز نفسه عن جنده واتباعه لا كما يفعل بعض القادة اليوم ، يميزون أنفسهم على جنودهم ، ويقبلون أن يميزوا عنهم ، بل يحرصون حرصاً شديداً على تمييزهم عن جنودهم ، انهم يقبلون أن يملؤوا معداتهم بأشهى الأطعمة والذها ولا يسألون عن جنودهم ، وربما يعلمون أن جنودهم وأسراهم يتضورون جوعاً ، وأحياناً يميزون عن جنودهم بنوع الطعام وكميته ، فالقادة في كثير من الجيوش الجاهلية يأكلون طعاماً خاصاً لا يصرف لجنودهم ، وملابسهم تختلف جودة عن ملابس جنودهم .

ومما يدل على تواضعه (صلى الله عليه وسلم) ما كان منه يوم فتح مكة دخل مكة يطأطئ رأسه ويكاد عشونه يمس ظهر ناقته تواضعاً .

تأمل حال هذا المنتصر على أعدى أعدائه ، وأشرس خصومه ، وأعدى العداة من الحاقدين عليه وعلى دينه ودعوته ، نعم لقد انتصر عليهم انتصاراً رائعاً قلما ينتصر قائد هذا الانتصار على عدو لدود متمرس في فنون القتال .

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٣٩٨/٨ - ٤٠١ .

هذا النصر العسكري يغري طلاب الدنيا من القادة العسكريين ، ويغري طلاب الجاه والسمعة الفارغة أن يأخذ منهم العجب والغرور والتكبر مأخذاً عظيماً ، وأن يتيهوا متكبرين ويعربدوا على الناس حتى يوقد لهم البخور ، وتقام لهم المآدب والمهرجانات والاحتفالات ، وتعلق لهم النياشين والأوسمة .

أما طلاب الآخرة فلا يفكرون بشيء من هذا ، إنهم حريصون أشد الحرص أن يقبل الله جهادهم منهم ، وأن يرزقهم الإخلاص في كل جهودهم وجهادهم ، وهم بهذه النفسية المتواضعة يرجعون كل نصر مؤزر على أعدائهم إلى قدرة الله تبارك وتعالى ونصره، فهذا المتفضل عليهم بالنصر ، وهو الذي يستحق الشكر والثناء والعبادة ومن أقوى مظاهر العبادة في هذا المقام التذلل والتخضع والانكسار لله رب العالمين .

وها هو ذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القائد الفاتح الذي أحرز أعظم نصر على أعتى قلاع الشرك يدخل مكة متخشعاً متذللاً يكاد عثونه يمس ظهر ناقته تواضعاً لله رب العالمين، ومن تواضع لله رفع منزلته في الدنيا والآخرة ، ومن تكبر واستكبر فقد شارك الله في صفة من صفاته وميزة من ميزاته عن الخلق ، ألا وهي الكبرياء .

قال تعالى : (وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) ^(١) ، ومن استكبر وتكبر فقد استحق الطرد وحرم من رضا الرب وباء بسخطه ، قال تعالى : (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) ^(٢) .

تأمل تواضع القائد المنتصر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، هذا القائد المظفر ، لم يتحدث عن نفسه وشجاعته وعبقريته شيئاً ، بل أرجع الأمر كله لله وحده ، فقال : « الحمد لله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده » .

أقول : لقد هزمت هذه الأمة هزائم متلاحقة ، فاحتلت أراضيها ، ودنست مقدساتها ، ومرغت سمعتها في الوحل ، وسخرت منها سائر شعوب الأرض وزعمائها . إن هذه الهزائم

(١) الآية ٣٧ من سورة الجاثية .

(٢) الآية ٣٥ من سورة غافر .

وهذه النكبات توجب على الذين اسهموا فيها أن يخرسوا ويخنسوا وأن يخنجلوا ، وتوجب على الأمم الحية أن تحاسبهم عن كل تفريط وتقصير ، وأن تصدر محكمة العدل قرارها فيهم .

ولكن الذي يؤسف له حقاً أن يبقى هؤلاء رغم ما ارتكبوه من مآس وجرائم بحق أمتهم، يتبجحون دون حياء أو خجل ويزدادون إعجاباً بأنفسهم ، وتسلباً على رقاب العباد ، بل أن تصفق الأمة لجلاديها وصانعي هزائمها ، وهم الذين وأدوا كرامتها وأذلوها وضيعوا حقوقها أو باعوها .

لقد سمعت بأذني صوت مسؤول من مدياع يقول في حرب ١٩٦٧ ، وقد احتل اليهود بقية أرض فلسطين و الجولان والقنيطرة التي أعلن السوريون عن سقوطها قبل احتلال اليهود لها بشماني عشرة ساعة ، وشبه جزيرة سيناء ، نعم لقد سمعت من يقول : إن اسرائيل كانت تهدف إلى اسقاط الأنظمة الثورية في المنطقة ، ففشلت في ذلك ، ومن ثم فليست هي المنتصرة ، لأنها لم تحقق أهدافها ، إن بقاء الأنظمة والأحزاب الحاكمة أهم بكثير من ضياع الأرض والمقدسات .

أرأيت إلى هذا الكلام الذي تفوح رائحة النتن منه ، رائحة الصلف والتكبر وقلب الحقائق .

قليلاً من التواضع يا قوم ، قليلاً من احترام عقول الناس ، قليلاً من الأدب ، قليلاً من الحياء . إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

علمنا سابقاً كيف دخل الرسول (صلى الله عليه وسلم) مكة متواضعاً .

فماذا كان طعام هذا القائد المنتصر ؟

لقد دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أم هانئ ابنة ابي طالب جائعاً فسألها عن طعام فأخبرته ليس عندها سوى كسرات جافة من الخبز ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : هلميه يا أم هانئ ، فلما أحضرته أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكسر الخبز كسرات صغيرة ، ثم قال : أليس عندك آدام يا أم هانئ ، فقالت عندي قليل من الخل ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : هلميه يا أم هانئ ، فوضع قليلاً من الخل على كسرات الخبز الجافة ثم

أكلها .

هذا هو طعام القائد الفاتح ، وكان بإمكانه بمنطق العسكريين الجبابة أن يستولي على أموال الناس ، وانعامهم ، وتحشى له الخراف بالعشرات .

لقد شاهدنا في زماننا قادة هزموا وجلبوا لأمتهم ما جلبوا من الذل ، كبرت كروشهم وكثرت رواتبهم .

ومن تواضعه (صلى الله عليه وسلم) وهو في مكة، منتصراً وقد جاء إليه الناس يبائعونه على الإسلام ويسلمون عليه ، دخل عليه رجل وكلمه يوم الفتح فأخذته الرعدة ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : « هون عليك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد »^(١)

(١) المستدرک ٤٧/٣ - ٤٨ قال الحاكم في المستدرک ٤٨/٣ : هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي بحاشية المستدرک ٤٨/٣ : رواه البخاري ومسلم .

الشجاعة والثبات عند القائد

الشجاعة والثبات والتضحية

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن تتوفر في القائد العسكري أن يتحلى بالشجاعة والإقدام، فيكون جريئاً في اقتحام الحروب ، غير هيب من الموت . وأن يكون ذا إرادة حديدية، وعزيمة فولاذية ثابتاً أمام الأقران المقاتلين والفرسان المحاربين مضحياً من أجل الرسالة التي يحملها والمبدأ الذي اعتنقه .

وإن فقدان صفة من هذه الصفات يعني الفشل والهزيمة له ولمن يقوده . لأن شجاعة القائد تكسب الجنود شجاعة وإقبالاً على القتال ، كما أن جبنه وخوفه من الموت يضعف الروح القتالية عند الجنود مما يؤدي إلى الهزيمة ، وكذلك ثبات القائد يكون دافعاً وباعثاً للجنود على الغبات ، وانهياره يؤدي إلى إنهيار الجند ، بل إن الجنود لو فكروا بالثبات والإلتفاف حول القائد، لا يجدونه ومن ثم لا فائدة من ثباتهم في النهاية .

ونعلم أيضاً إن أولى الناس بالتضحية من أجل الرسالة والمبدأ والدفاع عن أعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم من نصب قائداً عليهم قد وضعوا أموالهم ودماءهم تحت تصرفه .

إن الدارس لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدرك تمام الإدراك أنه (صلى الله عليه وسلم) كان صاحب رسالة ومبدأ ، قد سخر لهذه الرسالة كل ما يملك من جهد و طاقة ومال ونفس ونفيس ، وتحمل في سبيل هذه الرسالة العنت والمشقة ، وتعرض لحملات ظالمة وصور من التعذيب قاسية ، فقوطع هو والذين آمنوا معه في شعب أبي طالب بمكة فلم يجدوا شيئاً يأكلوه فأكلوا ورق الشجر من شدة الجوع ، فصبر على لأواء الطريق ، فما لانت له قناة ، ولا هانت له عزيمة ، وظل مثابراً على تبليغ رسالته ونشر دعوته ، مخلصاً كل الإخلاص في

سبيل ذلك حتى أظهره الله على أعدائه ، ونصره على مبغضيه وثنائيه ، فربى جيلاً قرآنياً فريداً وأنشأ خير أمة أخرجت للناس ، وأقام دولة العدل والمساواة .

لقد انطلق بعد قيام الدولة يجاهد أعداء هذا الدين ، من خلال سرايا يبعثها وغزوات يقودها بنفسه ، والدارس لهذه السرايا والغزوات يتبين له أن هذا الرسول كان قائداً عسكرياً فذاً، ذا شجاعة تتضاءل أمامها شجاعة الشجعان ، ثابتاً ثبات الشم الرواسي في ساعات الشدة والضيق والخرج ، مضحياً كل التضحية ، ذا حنكة لا يخدع ولا يستدرج .

كان (صلى الله عليه وسلم) شجاعاً يتقدم الصفوف في القتال ، ويتصدى لأشق المهمات ، وكان في أحلك ساعات القتال وأشدّها يحتمي به الأبطال الأشاوس من صحابته ، رضوان الله عليهم ، كعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وغيره ، فقد قال رضي الله عنه : « كان إذا حمى البأس ، واحمرت الحدة اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه »^(١) .

وقال البراء : « كنا والله إذا احمر البأس ، نتقي به ، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به »^(٢) .

وكان (صلى الله عليه وسلم) شجاعاً ، مبادراً إذا حدث حدث كان أول المتصددين له ، المتعاملين معه ، الكاشفين كنهه ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : « فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبي طلحة عري ، في عنقه السيف ، وهو يقول : لم تراعوا ، لم تراعوا »^(٣) .

وحين فوجيء المسلمون في غزوة أحد ، بهجمات سلاح فرسان المشركين الذين يقودهم خالد بن الوليد ، فر عدد كبير منهم وأقبل أبي بن خلف بفرسه التي رباها - وكان يقول لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لأقتلك عليها يا محمد ، فيقول رسول الله : بل أنا قاتلك إن شاء

(١) الرحيق المختوم ص ٥٤٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٠/١٢ .

(٣) الرحيق المختوم ٥٤٥ نقلاً عن صحيح البخاري وصحيح مسلم .

الله - حتى إذا دنا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اعترض ناس من المسلمين ليقتلوه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : استأخروا عنه ، وقام وحربته في يده ، فرماه بها ، فوقعت في عنقه ، فوقع عن فرسه ، وكسر ضلع من أضلاعه . فاحتملوه فمات لما ولوا قافلين»^(١).

أما ثباته في القتال في أحلك ساعات النزال فتحدثك كتب السيرة عن هذا الثبات في أكثر من موطن ، ففي غزوة أحد حينما انكشف المسلمون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يبق معه إلا عدد قليل جداً . لقد امتشق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حسامه ، يضرب به وجوه المشركين حتى رواه من دمائهم ، ولقد رمى بقوسه حتى تكسر ، وانقطع وتره ، وقذف بالحربة ، وقتل أبي بن خلف .

لقد أصيب في غزوة أحد بإصابات كثيرة وبليغة ، ولكنه لم يتراجع قيد أنملة ، وقد تراجع كثير من الأبطال وولوا هاربين من حوله ، لقد روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كسرت ربايعيته يوم أحد ، وشج في رأسه ، فجعل يسלט الدم عنه ، ويقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا ربايعيته وهو يدعوهم إلى الله »^(٢).

هذا وأصيبت ركبتا النبي (صلى الله عليه وسلم) بجروح ، لما وقع في حفرة من الحفر التي حفرها المشركون ، وسال دمه الزكي من شجرة في جبهته حتى أخضل الدم لحيته (صلى الله عليه وسلم) ، كما جرحت شفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السفلى ، وكسر أنفه ، ولقد أنهك جسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من شدة ما ألم به ، حيث لم يستطع أن يصلي (صلى الله عليه وسلم) واقفاً ، فصلى جالساً بالمسلمين ، ولم يستطع أن ينهض فجلس طلحة بن عبيد الله تحته ثم نهض^(٣).

(١) امتاع الاسماع للمقرئ ١/١٣٩ وانظر غزوة أحد للدكتور محمد أبو فارس ص ٨٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٤٨ - ١٤٩ .

(٣) غزوة أحد للدكتور محمد أبو فارس ص ٨٣ - ٨٤ .

لقد حدث كل هذا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وظل ثابتاً ، وكان لثباته أثر في تلافى ضربة ساحقة لقواته . إن ثبات النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكانه في أرض المعركة - وهو مكان القيادة - أثر كبير في نجاح عملية التجمع، وأنقاذ ما يقارب من ٩٠٪ من قوات المسلمين ، ولو ترك مقر قيادته ، لما تمكن الجيش الإسلامي من التجمع بعد حركة خالد بن الوليد المفاجئة^(١) .

وفي غزوة حنين حينما فاجأ المسلمين كمائن هوازن المرابطة على مضائق وادي حنين وأفواه شعابه بوابل من النبال في عماية الصبح ، فذهلوا الغزارة الرمي وولوا هاربين ، حتى أنه لم يبق حول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا العدد القليل ، فما كان موقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟

لقد ثبت (صلى الله عليه وسلم) ثبات الشم الرواسي ، وقاتل قتال الأبطال ، ولم يتراجع قيد أنملة ، بل أخذ يتقدم نحو العدو ببغلة التي يركبها ، مستهجنأ على الناس فرارهم ، صائحاً فيهم : أين أيها الناس ،

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

لقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه - وكان جمهوري الصوت - أن ينادي الأنصار وأصحاب سورة البقرة ، وأصحاب بيعة الرضوان بالحديبية . واتجه إلى الله تبارك وتعالى يدعوه ويستنصره ويقول : « اللهم إن تشأ لا تعبد بعد هذا اليوم »^(٢) .

وكان نداء العباس بن عبدالمطلب مؤثراً في نفوس صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ استجابوا له ، وقفلوا يهرولون باتجاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى التفوا حوله ، واستأنفوا القتال . واستمروا عليه حتى كتب الله لهم النصر على أعدائهم ، فولوا

(١) الرسول العربي ص ١٧٢ .

(٢) قال ابن كثير في سيرته ٦٢١/٣ : « اسناده ثلاثي على شرط الشيخين ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب عن هذا الوجه » ، قلت : روى هذا الدعاء النبوي ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٢٢/١٤ .

الأدبار وتركوا أموالهم ونساءهم وأطفالهم ، فغنمها المسلمون كما بشرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

اقول : لقد تحقق النصر لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أعدائه في هذه الغزوة لعدة أسباب أهمها :

١- ثبات الرسول القائد : إن ثبات القائد من أول وأهم أسباب النصر، لأن بثباته يثبت الجند ، فهم يستمدون الروح المعنوية في قتالهم ثباته، وشجاعته ،واقدامه ، وهم يسرون وفق خطته وتخطيطه ، وينفذون وإياه الإجراءات والقرارات والتعليمات المنبثقة عن ذلك فإذا فر من المعركة لا يجدون من يلتفون حوله ، ويأمنون به ، يرسم لهم الخطط ويشرف على التنفيذ ، ويواجه الظروف القاسية بقراره المناسب بعد دراسة مستفيضة .

وثبات الرسول (صلى الله عليه وسلم) في بداية المعركة وقد انهزم الناس هو الذي جعل الجنود المخلصين يستجيبون لدعوته ، وعادوا يقاتلون من جديد .

٢- شجاعة القائد : إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يثبت في أرض المعركة فحسب ، بل سار بعكس اتجاه الناس الفارين تماماً ، لقد ولوا هارين فارين من وجه عدوهم ، أما هو فقد اتجه ببغلة نحو العدو ، فقد جاء في صحيح مسلم : « فطفق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يركض ببغلة قبل الكفار ، والعباس أخذ بلجام بغلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكفها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) »^(١) .

قال ابن كثير يعقب على هذا : « وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة ، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى ، وقد انكشف عنه جيشه ، وهو مع هذا على بغلة ، وليست سريعة الجري ولا تصلح لفر ولا لكر ولا لهرب ، وهو مع هذا يركضها إلى وجوههم ، وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، وما هذا كله إلا ثقة بالله ، وتوكلاً عليه ، وعلماً منه بأنه سينصره ، ويتم ما أرسله به ، ويظهر على سائر الأديان »^(٢) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١١٣ - ١١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٧٩ .

٣- ثبات قلة من الجنود حول القائد : لقد كان من عوامل النصر وأسبابه ثبات قلة من الجنود حول هذا القائد الثابت الشجاع ، واستمرار هذه القلة في القتال ، تدافع عن القائد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وهي ترى بعض هؤلاء الجنود يستشهدون ، فلا تروع ، ولا تجزع ولا تهلع بل تستمر في القتال ، ومن بقي يصارع العدو حتى ثاب الفارون إلى رشدتهم واستجابوا لأوامر قائدهم العسكري فعادوا إلى ساحات القتال وأرض المعركة ، فقويت بهم القلة فأصبحوا كثرة في العدد والعدة وارتفعت الروح المعنوية عند الجميع ^(١) .

٤- وقوع الأعداء في خطأ عسكري فادح ، وهو عدم الاستمرار في مطاردة الجيش الإسلامي بعد فراره ، مما أعطى فرصة ثمينة للجيش الإسلامي ليلتقط أنفاسه ، ويعود إلى ساحات القتال ، ويستأنف القتال من جديد بقيادة القائد الثابت الشجاع ، ولو كثف الأعداء مطاردتهم ، ولم يتركوا فرصة للمسلمين ليلتقطوا أنفاسهم لكان الأمر جد خطير ، ولكن إرادة الله تبارك وتعالى ، قضت أن يغفلوا عن هذا الأمر العسكري الهام .

وللأستاذ محمد فرج كلام جيد في هذا المقام ، فهو يقول : « لقد وقع مالك بن عوف في خطأ عسكري كبير أدى إلى خسارة المعركة ، وتحول ميزانها إلى المسلمين ، بعد أن انهزموا وفروا ، هذا الخطأ هو عدم استغلاله للنجاح الذي أحرزه ، فقد كان الواجب يقتضي متابعة المسلمين عند فرارهم ، ذلك أن الجيش - أي جيش - يكون في لحظة ضعف قاتلة حين ينهزم ويفر ، فهو لا يملك قدرة على المقاومة أو المواجهة ، ولكنه يملك فقط قدرة الإستسلام ، واستغلال هذه اللحظة يكون استغلالاً قاتلاً ، إن مالكا لم يستغل فرار المسلمين من المعركة ، ولم يأمر بمطاردتهم ، لهذا ظل الجيش الإسلامي بقوته متكاملاً ، حتى إذا عاد إلى المعركة ، عاد قوياً ، فانتزع نصراً كاد أن يفقده » ^(٢) .

أما التضحية بالنسبة للقائد وأقاربه وأصدقائه فهي أمر في غاية الأهمية ، لأن الجنود بحاجة إلى أناس يقتدون بهم ، ويستجيون لهم إذا رأوا منهم إقداماً وثباتاً وتضحية بدمائهم وأموالهم .

(١) غزوة حنين للدكتور محمد أبو فارس

(٢) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ٥٩٩ - ٦٠٠

إن الذي يدفع الجندي للتضحية بماله ودمه رؤيته لقادته وأقربائهم وأنصارهم وأصدقائهم يذلون ويتقدمون الصفوف ، متعرضين لضربات السيوف وطعنات الرماح ورميات السهام .

لقد علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من خلال غزواته كيف كان يتقدم ساحات الوغى لا يضمن بنفسه ولا بأحد من أقربائه ولا من أصدقائه ومقربيه عن التعرض للمهالك ولقد أحس الناس بذلك ، وشاهدوها مواقف واضحة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن أقاربه فأحبوه واقتدوا به ، وسلكوا سننه في بذل قصارى جهودهم من أجل المبدأ الذي حملوه سوياً مع الرسول القائد (صلى الله عليه وسلم) .

ففي غزوة بدر حينما خرج ثلاثة من المشركين يطلبون المبارزة وهم شيبة بن ربيعة وأخوه عتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، فماذا فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟

لقد أصدر الأمر إلى حمزة بن عبدالمطلب وعبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب ، للتصدي لهؤلاء ومبارزتهم .

لقد اختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمه حمزة بن عبدالمطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو كما ترى ابن عمه ، وعلي بن أبي طالب وهو ابن عمه ، لقد انتدب لهذا الأمر عمه حمزة وولدي عميه عبيدة وعلي رضي الله عنهم أجمعين .

نعم هذا هو القائد بحق ، الذي يتقدم بنفسه وأقربائه الصفوف ، ويعرض نفسه وأقرباءه إلى المهالك ، ولا يضمن بهم عن الموت ، بل يتقدم وإياهم فداء للآخرين .

إن الناس إذا رأوا القائد يعيش في برج عاجي هو وأسرته ، ويعرض الناس وابناءهم إلى المهالك لا يثقون به ، ولا يطمئنون إلى قيادته ، ولا يضحون من أجل فكرته ورسالته .

وإذا رأوا من القائد وأسرته حماساً للرسالة وتضحية في سبيلها اقتدوا به ، وبذلوا من دمائهم وأموالهم وجهودهم عن طيب من أنفسهم .

وقد علمت في غزوة أحد كيف تقدم الصفوف ، وثبت أمام الأعداء فلم يتراجع قيد أنملة،

وتحمل في سبيل دعوته ورسالته ^(١) إصابات كثيرة ، فقد شج رأسه ، وكسرت رباعيته ، وجحشت ركبته ، وكلمت شفتاه ، وأنهك إنهاكاً شديداً ، واستشهد عمه حمزة أسد الله ، وأسد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وفي غزوة الخندق اقتحم الخندق عمرو بن ود العامري ونوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي فأخرج لهما الرسول (صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ، أما الزبير فهو ابن عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) صفية بنت عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب ابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقتل علي عمرو بن ود العامري وقتل الزبير بن العوام نوفل بن عبدالله المخزومي .

تأمل كيف يقدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أقرباءه لأشق المهمات العسكرية وأصعبها.

وفي سرية مؤتة يختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمراء ثلاثة لها هم على الترتيب : زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ، وعبدالله بن رواحة .

أما زيد بن حارثة فهو حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعبدالله بن رواحة كان من أقرب الأنصار إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولقد استشهد هؤلاء الأمراء الثلاثة ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدرك شراسة المعركة ، ويحس بأن هؤلاء الأمراء سيقتلون شهداء ، ومع هذا اختار حبه وابن عمه وأحد المقربين له ليتقدموا في ميدان التضحية من أجل الرسالة والمبدأ .

وفي غزوة خيبر لما استعصى على المسلمين حصن ناعم أعطى الرسول (صلى الله عليه وسلم) الراية لعلي بن أبي طالب ليارز أعتى قادة خيبر واسمه مرحب ، فبارزه وقتله وفتح الله على يديه الحصن .

إن هذه الأحداث التي دلت على تقدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأقربائه

(١) أنظر صفة الصفوة ٣٩٠/١ - ٣٩٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٧٣/٢ .

وأصدقائه ساحات الوغى والتعرض للقتل جعلت كثيراً من أصحابه يتأثرون بها ، ويقتدون بها ، ويذلون دماءهم وأموالهم بسخاء من أجل رسالته ومبدئه الذي هو مبدأهم ورسالتهم .

ومن هؤلاء مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي حمل اللواء في غزوة بدر الكبرى وفي غزوة أحد وثبت بعد أن انكشف المسلمون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأقبل ابن قميئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ، فضربها فقطعها ، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه فقتله .

ولما استشهد لم يجد المسلمون ما يغطونه به إلا نمرة إذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطوا رجله خرج رأسه ، فأمرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يغطوا بها رأسه ، ويجعلوا على رجله إذخراً « حشيش طيب الرائحة » .

هذا البطل الذي كان من أنعم فتيان مكة وأكثرهم رفاهية قبل إسلامه ، وإذا به قد عاش حياة التقشف والزهد بعد إسلامه ، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نظر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : أنظروا إلى هذا الرجل الذي نور الله قلبه ، لقد رأيت بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون .

ومن هؤلاء حنظلة الغسيل الذي كان عريساً ، وكانت ليلة أحد ليلة عرسه ، فلما سمع منادي الجهاد ، خرج من حضن عروسه ولم يغتسل ، وأخذ سلاحه ولحق بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يسوي الصفوف ، فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوق أبو سفيان ، فحمل رجل على حنظلة فقتله ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة »^(١).

(١) الحديث صحيح . أخرجه ابن سعد في الطبقات وابن اسحق في السيرة ، والحاكم في المستدرک ٢٠٤/٣ والبيهقي في =

ومن هؤلاء عباس بن عباد الخزرجي وخارجة بن زيد الأنصاريان ^(١) ، فحين خالف الرماة أمر الرسول القائد، ونزلوا عن الجبل وكر المشركون عليهم من الخلف ، تفرق المسلمون لهول الصدمة أقبل عباس بن عباد ، رضي الله عنه، في نفر من الخزرج يرفع صوته قائلاً : يا معشر المسلمين ، الله ونييكم ! هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم ، فيوعدكم النصر فما صبرتم ثم نزع مغفره ، وخلع درعه ، وقال لخارجة بن زيد : هل لك فيهما ؟ قال : لا ، أنا أريد الذي تريد .

فخالطوا القوم جميعاً ، وعباس يقول : ما عذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومنا عين تطرف ؟ فيقول خارجة : لا عذر لنا عند ربنا ولا حجة ، فقاتل عباس حتى استشهد .

أما خارجة فقد أخذت طعنات الرماح تمزق جسده حتى انهكته ، فوقع على الأرض فمر عليه مالك بن الدخشم فقال له : أما علمت أن محمداً قد قتل ؟

فقال خارجة : فإن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت ، لقد بلغ محمد ، فقاتل عن دينك ، ثم استشهد ، رحمه الله .

وأما عن حنكته (صلى الله عليه وسلم) ، فإن كتب السيرة تخبرنا أنه (صلى الله عليه وسلم) كان ذا ذكاء ، وحكمة ، وحنكة في الحرب ، والتعامل مع الأعداء ومن هم في أثواب أصدقاء ، فكان (صلى الله عليه وسلم) لا تنطلي عليه خدع الخداعين ، ولا مراوغة المراوغين ، ولا ينخدع بخديعة عدوه مهما كان داهية ، ولا يستدرج باستدراج عدوه ، بل كان يقظاً حذراً من هذه الأمور ، بل كان يواجه هذا الإستدراج بحرب نفسية يشنها على قادة خصومه ، تحطم الروح المعنوية القتالية عنده ، وتفقده الأمل في الغلبة ، فيرجع خائباً خاسراً يجر أذيال العار والهزيمة .

= دلائل النبوة كما في الخصائص ١/٥٣٨ وأبو نعيم في دلائل النبوة برقم ٤٢٠ بتحقيق قلعجي وعباس . صفة الصفوة ٦٠٩١ .

(١) أنظر إمتاع الأسماع ١/١٤٤ - ١٤٥ ، ١٥١/١ .

ففي غزوة الأحزاب فوجئ أبو سفيان « وكان قائداً للمشركين » بالخنديق الذي أوقف زحفه نحو المدينة ، فوقف مشدوهاً بعد أن أدرك أن خطته باءت بالفشل بسبب المكيدة النبوية ، فأرسل إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) رسالة يستفزه ويستدرجه ليخرج هو والمسلمون من خلف الخندق ، ولكن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يستجب لاستفزاز أبي سفيان وفوت عليه ما يريد .

لقد جاء في هذه الرسالة قول أبي سفيان : « باسمك اللهم ، أحلف باللات والعزى وإساف ونائلة وهبل ! لقد سرت إليك أريد استئصالك ، فأراك قد اعتصمت بالخنديق وكرهت لقاءنا ، ولك مني يوم كيوم أحد » فلما وصلت هذه الرسالة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قرأها عليه أبي بن كعب رضي الله عنه ، فكتب إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « قد أتانا كتابك وقديماً غررك يا أحمق بني غالب وسفيهم بالله الغرور ، وسيحول الله بينك وبين ما تريد ويجعل لنا العاقبة ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإسافاً ونائلة وهبل يا سفيه بني غالب»^(١) .

ألا ترى الأمل الذي يشع في قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويملؤه ، إنه أمل النصر على العدو والثقة المطلقة في ذلك. تأمل قوله : ويجعل لنا العاقبة ، وأنه سيكسر الأصنام التي يعبدها المشركون من القبائل المختلفة وفي مقدمتها أكبر أصنام العرب في الجزيرة وأشهرها اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل .

(١) أنظر أنساب الأشراف ٣٤٤/١ وإمتاع الاسماع ٢٣٩/١ والسيرة الحلبية ٦٥٧/٢ ، والسيرة النبوية والآثار المحمدية ١٢/٢ والعبقريّة العسكرية في غزوات الرسول ٤٦٨ - ٤٦٩ وخاتم النبیین ص ٩٢٠-٩٢١ .

علاقة القائد بجنوده

علاقة القائد بجنوده

إن المتأمل لسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والباحث عن علاقة هذا القائد العسكري بجنوده ، يجدها تقوم على الحب المتبادل ، فهو يحبهم ويسعى لإسعادهم في الدنيا والآخرة ، ويبذل كل ما آتاه الله من حكمة وحصافة رأي، وقوة جسم للتيسير عليهم ويفديهم ويضحي من أجلهم بل يجوع ليشبعوا ، ويعرى ليكسوا ، وينصب ليستريحوا . من أجل هذا فقد أحبوه حباً فاق كل حب ، لاحظه الأعداء والأصدقاء على حد سواء .

لقد تجلّى هذا الحب في الهجرة ، هجرة الحشد للقوى العسكرية الإسلامية لتعود فاتحة للبلاد ومحررة العباد والمقدسات ، لقد تجلّى هذا الحب الصادق والتضحية بالنفس والنفيس فداءً من الصحابة لقائدهم ، لقد أحبوه أكثر من أنفسهم وأبنائهم وأموالهم والناس أجمعين .

لقد تجلّى هذا الحب من أبي بكر في عدة مواضع ، في الهجرة حين دخل رسول الله ، (صلى الله عليه وسلم) عليه وأخبره بأن الله أذن له في الهجرة ، فسأله أبو بكر، رضي الله عنه، الصحبة فأجابه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على طلبه فبكى أبو بكر من شدة الفرح ، لماذا هو فرح مسرور ؟ ليس هناك من شيء يفرح دنيوياً ، بل المتبادر للذهن أن أبا بكر معرض في أي لحظة للقتل من شرار قريش ، ومع هذا يغمره السرور والحبور ، لأنه سيرافق رسوله ونبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) ، وهذه الرفقة تجعله ينسى كل ما يمكن أن يلاقه من المحنة والمشقة والعنت ، ويتجاوز كل الأخطار المتوقعة ، حتى لو كانت الموت الزؤام ، فإنه في سبيل أن ينال شرف الصحبة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، يهون كل شيء فيسهل الصعب ، ويحلو الصاب والعلقم .

وحين يقترب الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الغار ، يصير أبو بكر أن يدخل الغار قبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فإن كان فيه وحش كاسر أو هامة من هوام الأرض تعرض

أبو بكر لأذاها دون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ويتجلى الحب في الغار حينما اقترب المشركون منه ووقفوا عند بابه مع دليلهم الذي أخبرهم أن الأثر انتهى إلى هذا الغار ، فيبكي أبو بكر رضي الله عنه بكاء شديداً خوفاً على حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ويتجلى هذا الحب أيضاً عند خروج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الغار ومعه أبو بكر ويلاحظ الرسول (صلى الله عليه وسلم) حركات من أبي بكر الشريف في قومه وفي قريش بل وعلى مستوى الجزيرة ، فقد كان قاضياً للدماء قبل الإسلام ، هذا الوجيه تراه يقفز تارة أمام النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وتارة خلفه وتارة عن يمينه وتارة عن شماله ، لماذا هذا يا أبا بكر؟

يا رسول الله إني كلما ذكرت الرصد قذفت بنفسي أمامك حتى أقتل دونك ، وكلما ذكرت الطلب من خلفك دفعت بنفسي خلفك حتى أقتل دونك ، وحينما أذكر العدو عن يمينك أو عن شمالك قذفت بنفسي عن يمينك وعن شمالك حتى أقتل دونك يا رسول الله .

ولقد تجلى هذا الحب في سواد بن غزية رضي الله عنه في غزوة بدر الكبرى ، حينما أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعبئ الصفوف وينظمها ووجد سواداً قد خرج عن الصف قليلاً ، وكان بيده سهم لاريش له يعدل به الصف فوخزه به في بطنه قائلاً : استويا سواد ، فقال سواد : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني ، فكشف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن بطنه وقال : « استقد ، فما كان من سواد إلا أن اعتنق النبي (صلى الله عليه وسلم) ويقبل بطنه ، فسأله (صلى الله عليه وسلم) ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخير^(١) .

ويتجلى هذا الحب في زيد بن الدثنة حينما اشتراه أهل مكة ممن أسروه ليقتلوه بأحد قتلاهم الذين قتلوا في بدر على أيدي المسلمين ، ولما جهزوه للقتل سأله أبو سفيان أنشدك بالله

(١) عيون الأثر ٢٥٥/١ .

يا زيد : أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ فقال رضي الله عنه: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي^(١).

ويتجلى هذا الحب أيضاً في خبيب بن عدي حينما خرجوا به ليصلبوه طلب أن يأذنوا له ليصلي ركعتين ، فصلاهما ، ولما رفعوه ليصلبوه لم يتذكر الأهل والولد ، ولكنه تذكر في هذه الساعة العصيبة ، لحظة فراقه الحياة ، حبيبه ورسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فسأل الله أن يبلغ رسوله أنه قام بتبليغ الرسالة وهو راض ويسأله الرضا . لقد قال رضي الله عنه : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً^(٢) .

ويتجلى هذا الحب من ولد عبدالله بن أبي بن سلول رأس النفاق ، وزعيم المنافقين حينما صدر عن أبيه كلام يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويؤذي أصحابه من المهاجرين رضوان الله عليهم وعلى الأنصار أجمعين ، لقد وقف هذا الولد مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ضد أبيه ، بل عرض على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يقتل أباه لا أن يكلف غيره إذا أصدر الرسول (صلى الله عليه وسلم) قراره العسكري بذلك .

ولما عادوا من غزوة بني المصطلق وقال والده : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وقف الولد في وجه الوالد ومنعه من الدخول حتى يستأذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويأذن له بالدخول لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو الأعز عند الولد ، وأبوه هو الأذل^(٣) .

وفي غزوة أحد ترى هذا الحب الذي يبعث على الفداء بالنفس والمال من أبي دجانة وطلحة بن عبيدالله ففي هذه الغزوة انكشف المسلمون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٦٩/٢ - ١٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ١٢٢/٣ - ١٣٤ .

(٢) المرجعان السابقان .

(٣) أنظر غزوة الأحزاب ٢٢ - ٣٣ .

وأقبل عليه عبدالله بن حميد بن زهير وهو يقول : دلوني على محمد ، فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه ، فقال له أبو دجاجة : هلم إلى من يقي نفس محمد بنفسه وكر عليه كالصقر ، فضرب فرسه فعقرها ، ثم علاه بالسيف فقتله ، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينظر إليه ويقول : اللهم ارض عن أبي خرشة كما أنا عنه راض .

ولما ازدادت كثافة النبال على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أحد خشي أبو دجاجة رضي الله عنه أن تصيب سهام المشركين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فما كان منه إلا أن ترس بنفسه دون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويقع النبل في ظهره ، وهو منحني عليه حتى كثر فيه النبل ، وهو لا يتململ ولا يتحرك ولا يجزع ^(١) .

أما طلحة بن عبيدالله فقد قاتل الأبطال دفاعاً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أحد ، حينما كر المشركون على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأحدقوا به من كل ناحية ، فصار يذب بالسيف من بين يديه ومن ورائه ، وعن شماله ، يدور حوله ، يترس بنفسه دون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وإن السيوف لتغشاه ، والنبل من كل ناحية ، وهو يتلقاه بجسمه ، فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يفعل ذلك قال له : قد أوجب ، أي أوجب لنفسه الجنة بقتاله وجهاده ودفاعه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ورمى مشرك بسهم يريد وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاتقاه طلحة بيده عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأصاب خنصره فشل ^(٢) .

ولقد أحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) النساء والرجال ، وكان مما يخفف المصاب على المرأة المسلمة التي استشهاد أبوها وأخوها أو عزيزاً عليها أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرج من المعركة سليماً معافى . فقد روى ابن اسحق بإسناده عن سعد بن أبي وقاص قال : مر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بامرأة من بني دنيا وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأحد ، فلما نعو لها قالت : ما فعل رسول الله

(١) انظر الفتح الرباني ٥٨/٢١ ومختصر صحيح مسلم للمنذري رقم ١٧١٠ وصفة الصفوة ٤٨٥/١ - ٤٨٦ وامتناع الأسماع ١٣٦/١ .

(٢) انظر إمتناع الأسماع ١٤٢/١ - ١٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ٥٨/٣ .

(صلى الله عليه وسلم) ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، تريد صغيرة ^(١) .

لقد كان صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جميعاً يحبونه ويؤثرونه على أنفسهم فما ساروا في غزوة إلا قاتلوا دونه والتفوا حوله ، وما وجدوا أمراً يسر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويهيء له الراحة إلا فعلوه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حبهم إياه وإيثاره على أنفسهم .

ففي غزوة ذات الرقاع يقول جابر بن عبد الله بن حرام ، رضي الله عنهما : إن الصحابة إذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها للنبي (صلى الله عليه وسلم) ^(٢) .

ويمكننا أن نستفيد من هذا درساً آخر غير درس الحب للقائد (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا الدرس هو الحرص على توفير الراحة التامة للقائد حتى يكون قادراً على التخطيط والمتابعة ، ولا بد للقيادة الناجحة من صفاء الذهن وسكون النفس واطمئنان القلب ، وجسم مرتاح قادر على الحركة ، يجب المحافظة على حياة القائد ما أمكن ، لأن خسارة القائد في المعركة أفدح بكثير من أي خسارة أخرى ، فقد يعوض فقدان جندي بجندي غيره بسهولة ، وتعويض القائد في الساعات الحرجة بغيره أمر في غاية الصعوبة ، إذ ليس من السهل إيجاد البديل الذي يستوعب خطة القتال في المعركة ، وتحركات الجيش في جبهات القتال وأوضاع المقاتلين وأحوالهم وحاجاتهم وما يلبي هذه الحاجات .

وفي الوقت ذاته فإن فقدان القائد في هذه الظروف القتالية يؤثر تأثيراً قوياً وسلبياً على الروح المعنوية القتالية عند الجنود .

هذه بعض الشواهد تدل على حب الجنود لقائدهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولو تتبعنا الشواهد نجدها كثيرة فنكتفي بهذه الشواهد ، ونضيف إليها أن الأعداء لا سيما القادة والوجهاء منهم لمسوا حب الجنود ووفاءهم لقائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو ذا

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٩٨/٢ وإمتاع الأسماع ١٤٦/١ - ١٤٨ .

(٢) صحيح البخاري ٤٣٢/٨ .

أبو سفيان قائد مكة يقول : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

وها هو ذا عروة بن مسعود الثقفي يقول بعد أن قابله في الحديبية : « أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد - (صلى الله عليه وسلم) - محمداً ... فإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا ترضأ كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر تعظيماً له ، وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها » ^(١) .

لقد حصل هذا الحب نتيجة رحمة غامرة وواسعة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لهؤلاء الصحابة ، هذه الرحمة شهد بها رب العزة تبارك وتعالى ، قال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ^(٢) .

هذه الرحمة جعلته يتجاوز عن سيئهم ، ويلين قلبه لهم .

كان يشعر بشعورهم ، يفرح لفرح أحدهم ، ويحزن لحزنه ، وإذا جاعوا جاع معهم بل كان يجوع أكثر منهم « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير » ^(٣) . ولمسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع آل محمد (صلى الله عليه وسلم) خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض ^(٤) .

وكما كان رحيماً بهم كان يتخلق بالقرآن ويتصف بصفات الجلال والكمال البشري ، فيرون فيه الشجاعة والثبات والتضحية والصبر والتواضع والإيثار مما جعلهم يحبونه هذا الحب الذي شهد به الأعداء وترجمه الأصحاب إلى مواقف عملية صادقة .

(١) صحيح البخاري بفتح الباري ٢٦٤/٦ - ٢٦٨ وانظر كنز العمال ٤٨٦/١٠ - ٤٨٧ .

(٢) الآية ١٢٨ من سورة التوبة .

(٣) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ١٧٦/٥ : رواه الترمذي بإسناد صحيح .

(٤) المرجع السابق ١٧٥/٥ .

أقول : إلى كل قائد عسكري حريص أن يكون محبوباً عند جنوده ، ويفديه هؤلاء الجنود بأنفسهم ، أقول له : ليسلك سنن النبي (صلى الله عليه وسلم) القائد المحارب مع جنوده .

وأقول لكل زعيم حاكم يحرص أن يحبه شعبه حباً صادقاً كما أحب المسلمون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، عليه أن يقتدى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) في تعامله مع شعبه ، فيتألموا آلامهم ويفرحوا فرحهم .

إن طريق الحب لا يكون بالإكراه ، ولا بالأوامر العسكرية الصارمة الخالية من الرحمة والشفقة ، فإن كثيراً من الأشياء والأمور قد يجبر عليها الإنسان إلا الحب ، فإنه عمل قلبي لا يملك أحد من البشر السيطرة عليه ، فقد يشعرك من يبغضك أنه يحبك ، وإن قلبه قد امتلأ بالسهم الزعاف عليك ، وما إخراج الجنود والجماهير والطلاب وعمال وغيرهم لاستقبال هذا القائد أو ذاك إلا صورة من صور الإكراه على الحب والتقدير إن أيديهم في الظاهر تصفق ، وألسنتهم تهتف بالمدح والإطراء ، وفي الحقيقة فإن قلوبهم تلعن هؤلاء الذين أجبروهم على الخروج والهتاف بالمدح والثناء ، وعطلوهم عن كثير من الواجبات والمصالح ، ولو تركوا وشأنهم لما خرج منهم عشر معشار من يخرجون إخراجاً .

أين هذه الحالة من خروج شعب المدينة يومياً بأطفاله وشيوخه ونسائه وشبابه لاستقبال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكل قبيلة برجالها تصر أن يحل عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويقيم عندها .

القدرة على حل المشكلات

القدرة على حل المشكلات

إن القائد العسكري هو الذي يواجه المشكلات ولا يهرب منها ، بل يفكر جدياً في حلها ، ولا يقف عند التفكير الجدي ، بل يتجاوزها إلى الحل العملي لها ، لأن الإهمال يتولد عنه أخطار كثيرة ، ربما تعصف بأمن المجتمع والدولة ، لأن ذلك يؤدي إلى الفتن ، والفتن تؤدي إلى التنازع والتنازع يؤدي إلى الفشل ، والله عز وجل يقول : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

إن أخطر شيء على الأمة المشاكل الداخلية ، فهي تشغلها عن عدوها ، وتبدد جهودها وقدراتها ، وتوهن قوتها ، وتضعف بنيانها .

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حريصاً كل الحرص على حل المشكلات التي تحدث في دولته سواء كانت عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية .

إننا نقرأ في سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعض المشكلات التي حدثت ونقرأ كيف حلها ومن هذه القضايا :

١- الفتنة في غزوة بين المصطلق :

لقد انتصر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذه الغزوة على أعدائه ، وغنم من الإبل والشياء آلافاً ، كما أسر كثيراً من الأسرى ، ولكن هناك من نغص على المسلمين هذا النصر ، وهو رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول ، إذ استغل خلافاً بين غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار ، ليشعل فتنة بين المهاجرين والأنصار .

فقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بإسناده إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، قال : « كنا في غزاة « غزوة بني المصطلق » فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من

الأنصار فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجر : يا للمهاجرين ، فسمعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال : ما هذا ؟

قالوا : كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : دعوها فإنها منتنة ...

فقال عبدالله بن أبي - بعد أن سكنت الفتنة في غياب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : وقد فعلوا ؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل « يريد ليخرجن الأنصار المهاجرين من المدينة » ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ^(١).

لقد اشعل الفتنة من جديد ، فنفت الشيطان في النفوس ، فكيف عالج الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذه المشكلة وقطع دابر الفتنة ، وأخرس ألسنة السوء ؟

لقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يؤذن بالرحيل على الفور في ساعة لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، ومشى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالناس يومهم حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى ناموا ^(٢).

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يأذن لعمر بن الخطاب بقتل عبدالله بن أبي بن سلول لأنه صاحب الفتنة ، لأن في قتله فتنة كبرى في الداخل والخارج ، فله أقارب وأصدقاء لم يدركوا حقيقته ، ولهذا كان موقف الرسول أن يصبر على أذاه حرصاً على وأد الفتنة ، إن الصبر الحكيم على المجرمين له ثمرته ، أنه يفضح أمرهم ، ويظهرهم أمام أقرب الناس إليهم فيحددون موقفهم منهم ولهذا جاء ولد عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ٢٧٧/١٠ وسنن الترمذي ٤١٨/٥ .

(٢) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٩٢/٢ .

عنه ، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا ^(١) .

وقال عبدالله لوالده عبدالله بن أبي : والله لا تنفلت « لا ترجع » حتى تقرر أنك الذليل ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) العزيز ، ففعل ^(٢) .

ولما عاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ومعه المسلمون ، وقف عبدالله رضي الله عنه لأبيه عبدالله بن أبي بن سلول عند مضيق المدينة فقال : قف ، والله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك ، فلما جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استأذنه في ذلك ، فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة ^(٣) .

حقاً لقد أنتجت هذه السياسة الحكيمة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فكشفت على حقيقته ليس لولد عبدالله بن أبي بن سلول ، فحسب بل لجميع أقاربه من المؤمنين الصالحين ، فنفر منه كثير من الناس الذين خدعوا به فترة من الزمن ، وأصبح عندهم منبوذاً ، لا يسمعون له ، بل أصبح عندهم قتله مستساغاً ، ولو قتله في جو الفتنة لثارت له أنوف لا مانع لديها اليوم من قتله .

جاء في السيرة النبوية لابن هشام : « وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه ، ويعنفونه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ، أما والله لو قتله يوم قلت لي اقتله ، لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ، قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٩٢-٢٩٣ .

(٢) سنن الترمذي ٤١٨/٥ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣/٣٠١ .

(صلى الله عليه وسلم) أعظم بركة من أمري ^(١) .

أما علاجه للفتنة التي أطلت برأسها وأشرفت ، فلم يكن بالإستمرار في مكان الفتنة ، فإن الكلام لا ينقطع والمحاورة تستمر ، وباستمرارها تزيد النار اشتعالاً ، وتوجد الفرصة المواتية لمشعلي نار الفتنة ليزيدوها اشتعالاً وضراماً . بل كان العلاج الأمر بالمسير وعدم الاستقرار مسافة طويلة جداً ، أنهكت أجسامهم فانشغلوا بتعبهم عن الحديث في الفتنة ، وما أن أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالنزول ، حتى ناموا فنامت الفتنة بنومهم .

بهذا التصرف الحكيم عالج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذه المشكلة وقضى على الفتنة وقطع دابرها .

٢- اعتراض الأنصار على حرمانهم من غنائم حنين :

لقد غنم المسلمون في غزوة حنين من هوازن عشرات الألوف من الأنعام وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، وأموالاً منقولة ، فوزع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الغنائم على المؤلفة قلوبهم من قريش ، ولم يعط الأنصار شيئاً يذكر ، فحزن الأنصار على ذلك ، وتألموا لحرمانهم ، فحدث لفظ واعتراض منهم ، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فكيف عالج هذه المشكلة؟

روى الامام البخاري رحمه الله بإسناده إلى عبدالله بن زيد بن عاصم قال : «لما أفاء الله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال : يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي ؟ كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمن . قال ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمن ، قال : لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي (صلى الله عليه وسلم) إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الأنصار وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٩٣ والسيرة الحلبية ٢/٦٠٣ .

وشعبها ، الأنصار شعار و الناس دثار ^(١) ، إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصمدوا حتى تلقوني على الحوض ^(٢) .

وروى ابن هشام في السيرة بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « لما أعطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ، لم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا رجل من قومي ، قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، قال فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟

قالوا : بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل ، ثم قال : ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟

قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل .. قال (صلى الله عليه وسلم) : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً ^(٣) فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً ^(٤) فأسيناك ^(٥) ، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم

(١) قال في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١٣/٩ : الشعار خفيفة الثوب الذي يلي الجلد من الجسد والدثار الذي فوقه ، وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه ، وأراد أيضاً أنهم بطانته وخاصته وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم .

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري ١٠٩/٩ - ١١٤ .

(٣) المخذول : المتروك الذي لم ينصره قومه أو غيرهم .

(٤) عائلاً : فقيراً .

(٥) آسيناك : أعطيناك حتى صرت كواحد منا .

في لعاعة^(١) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، وركلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم^(٢) ، وقالوا رضيينا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتفرقوا^(٣) .

وإننا لو تأملنا الاعتراضات على توزيع الغنائم وقرأنا بجانبها هذا النص نخلص بالملاحظات التالية :

١- هناك أكثر من فئة اعترضت على إعطاء المؤلفه قلوبهم وعلى توزيع الغنائم فالعباس ابن مرداس اعترض على التوزيع وإعطاء المؤلفه قلوبهم ، والمنافقون قد اعترضوا كذلك ، والأنصار قد اعترضوا ، ولكن يلوح لي أن الباعث لكل فئة من الفئات يختلف عن الأخرى .

فاعترض العباس بن مرداس مبعثه أن يزيد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في العطاء وأن يساويه بالمؤلفة قلوبهم الذين أعطاهم مائة من الإبل ، في حين أنه أعطي أقل وقد قاتل ولم يقاتلوا.

فحل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مشكلته ، وقطع لسانه بأن أعطاه ما كان يطالب به ، ولما أعطاه بغيته رضي وسكت ، وشكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك .

أما اعتراض المنافقين فكان الباعث هو الطعن في أمانة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونزاهته وعدالته في التوزيع والعطاء ، ومن ثم تشويه صورته المشرقة (صلى الله عليه وسلم) ، وتشكيك الناس فيه ، وبالتالي فقدان الثقة به كرسول ونبي وعدم الإيمان به وخذلانه والتفرق عنه.

(١) اللعاعة بقله خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

(٢) اخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ومعها شرح الحشني ٤/ ١٩٨ - ٢٠٠ .

تأمل قولهم في قسم النبي (صلى الله عليه وسلم) : ما أريد بهذه القسمة وجه الله ^(١) ،
وتأمل قولهم اعدل ^(٢) .

فكان حل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحزم معهم في غير العنف الذي أشار به
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو القتل ، لقد قال (صلى الله عليه وسلم) بحزم وحسم :
ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل لقد خبت إن لم أكن أعدل ^(٣) .

ثم وضع موقف هؤلاء من الدين وخطرهم عليه ، فهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية ^(٤) .

فكشف حقيقتهم وخبثهم وسوء طويتهم ، وكشف حقيقته وهي العدل المطلق . فوقف
الجميع بجانبه واستقذروا موقف المنافقين حاضراً ومستقبلاً بعد أن أخبرهم الرسول (صلى الله
عليه وسلم) به .

وأما اعتراض الأنصار فالباعث والهدف أن لهم حقاً في هذه الغنائم ، والسؤال الذي دار
بخلدهم : لم يُعطَ الناس وهم لا يعطون ؟ خاصة وهم أنصار رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وأحبائهم ، هل حدث تغير في العلاقة والمودة ؟ لقد خفيت عليهم الحكمة من تصرف رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) في العطاء والمنع ولا تستريح نفوسهم وتطمئن قلوبهم إلا إذا وضع
لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أساس التمييز في العطاء والحكمة التي توخاها رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) في العطاء .

إنه مما لا شك فيه أن حزنهم سيزداد وألمهم سيتضاعف إذا كان مناط التوزيع هو التقوى ،
أو البلاء في القتال أو حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وسوف يزول تأثرهم وحزنهم وألمهم واعتراضهم إذا علموا أن شيئاً مما ذكر لم يكن هو

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ١١٦/٩ - ١١٧ .

(٢) الفتح الرباني ١٨٠/٢١ ، رواه مسلم وغيره ، بلوغ الأمان ١٨٠/٢١ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

مناطق التوزيع .

٢- سرعة النبي في التصدي للمشكلة وحلها : إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يتوان في علاج هذه المشكلة بل بمجرد سماع الخبر أمر بأن يجمع الأنصار في مكان ثم التقى الأنصار وحاورهم وبين لهم مناطق التوزيع فاطمأنوا ورضوا .

أقول : إن على القيادة في أي تنظيم إسلامي إذا شعرت بوجود مشكلة في الصف أن تبادر على الفور بدراسة هذه المشكلة ومعرفة أسبابها وبواعثها ثم تقديم العلاج الناجح بسرعة ، وإذا حدث أي تأخر في دراسة هذه المشكلة وعلاجها فإن الخطر سيتعظم وإن الضرر سيستفحل ، وسيكون من الصعوبة العلاج ، وكان بالإمكان لو بكر بالدراسة والعلاج أن الرتب بسهولة ، أما الإهمال والمماطلة والتسويق فكلها عوامل من شأنها أن تصعب الرتب على الراتب .

٣- الأساس الذي اعتمده الرسول (صلى الله عليه وسلم) في توزيع الغنائم وبالذات إعطاء أناس ومنع آخرين : لقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأنصار بمقياسه الذي اعتمده في عطائه ، إذ أعطى ضعاف الإيمان ليقوي إيمانهم ، و وكل أقوياء الإيمان إلى إيمانهم فلم يعطهم شيئاً .

لقد كان لهذا التوضيح أثر في زوال ما وجد الأنصار في نفوسهم ، إذا لم يعد لذلك وجود ، بل سروا لحرمانهم من لعاعة الدنيا وثقة الرسول بهم وحبهم لهم ، وأن يعودوا إلى المدينة المنورة ومعهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

تأمل قوله (صلى الله عليه وسلم) للأنصار : فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي (صلى الله عليه وسلم) إلى رحالكم ، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به .

فماذا كان موقفهم ؟

قالوا: يا رسول الله قد رضينا .

٤- المحاورة بصراحة والاعتراف لأهل الفضل بالفضل : لقد كان رسول الله (صلى الله

عليه وسلم) في غاية الصراحة مع الأنصار وهو يحاورهم ، وكان يذكر معترفاً بفضل الأنصار وجهاد الأنصار وبذل الأنصار من أجل الدعوة الإسلامية ، ومن أجل الدفاع عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

كما بين لهم بصراحة فضل هذا الدين عليهم من هداية بعد ضلالة كانوا عليها ، ومن غنى بعد فقر ومن تأليف للقلوب بعد عداوة شديدة لمدة طويلة .

بهذه الصراحة في ذكر الفضل لأهل الفضل كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحاورهم بعيداً عن المجاملة ، وعن المزايدة ، بل كان الصدق هو الذي يخيم على الجميع ، والاعتراف لله عز وجل ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) بالمن والفضل ، إنه تواضع الأنصار الذين لم يزهاوا ولم يتيهوا على الناس بذكر مناقبهم وفضلهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه .

أقول : إن الدعوة الإسلامية والجماعة الإسلامية التي تتبنى الدعوة إلى الله لها فضل على عناصرها ، سواء كانوا قادة أو جنوداً ، أغنياء أو فقراء ، أصحاب جاه عريض أو قليل . إن هذه الدعوة هي التي أشهرت أصحابها ، وجعلت لهم في نفوس الناس مكانة ، وفي قلوبهم منزلة لا يصل إليها كثير من أصحاب السلطان والجاه والمال .

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يعرف ويعترف كل إنسان بما لهذه الدعوة في عنقه ، وأن يؤدي حق الدعوة عنده ، ويقوم بالواجب المكلف به نحوها والعبء الثقيل الذي يضنيه في الدنيا ويسعده في الدارين .

أقول هذا مذكراً نفسي وآخرين أعرفهم كان لهذه الدعوة فضل عليهم ومنة في أعناقهم فتخلوا عن واجبهم نحوها ، وهي التي ربتهم حتى صاروا رجالاً يشار إليهم بالبنان ، وأوصلتهم إلى نفوذ في نفوس الناس وفي قلوبهم ، ومنحتهم جاهاً عريضاً أهلهم لأن يرتقوا أرقى المناصب ولولاها لكانوا نسياً منسياً ، لا يحس بهم أحد ، ولا يسمع لهم ركزاً .

٥- سرعة استجابة الأنصار ورقة قلوبهم : لقد تأثر الأنصار، رضوان الله عليهم بكلام

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصادر من القلب فوجد مكانه في قلوبهم فارتجت هذه القلوب ، واغرورقت عيونهم وانهمرت تسكب دموعها .

ليس عجيبا أن يحدث هذا فهم مؤمنون أهل ضرع وزرع ، وأهل الزرع والضرع أصحاب عواطف جياشة ، وطباع رقيقة ، لأنهم معتادون العطف والتعاطف ، فكيف إذا انضم إلى ذلك ووجهه إيمان قوي بالله عز وجل ، ومن آثاره رقة الطبع ، والرحمة ، والتواد والتعاطف .

٦- الصحابة بشر ومنهم الأنصار ، وقد يعتريهم ما يعتري البشر من الغضب والرضا وفي هذه الغزوة وجدنا الأنصار قد تألموا حينما أعطي غيرهم وحرموا وقد كانوا يظنون أنها حقهم بل هم أحق من غيرهم بها ، فهم الذين قاتلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزواته ، وبذلوا أموالهم ودماءهم في سبيل نصرته هذا الدين ، وفي هذه الغزوة هم أول من لبي نداء العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه وثبتوا حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقاتلونهم وإخوانهم من المهاجرين حتى حقق الله النصر على أيديهم^(١) .

٧- مبادرة سعد بن عبادة رضي الله عنه زعيم الخزرج أكبر قبيلة في المدينة بإخبار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بموقف الأنصار من توزيع الغنائم كانت مبادرة خير وبركة ، إذ قطعت أي سبيل للشيطان على نفوس الأنصار ، وحصنت الصف المسلم والجماعة المسلمة من الفتنة ، وقطعت دابرها حين ترتب على هذه المبادرة ، العلاج الحكيم من الرسول (صلى الله عليه وسلم) لهذه المشكلة .

٨- صدق سعد بن عبادة مع نفسه ومع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين سأله عن موقفه ، فلم يتظاهر بالرضا والارتياح ويخف شعوره بالألم بوصفه رجلا من الأنصار ، إذ كان ظاهره كباطنه ، وهذا من إمارات صدق الإيمان . تأمل قول سعد : ما أنا إلا رجل من قومي . أي أنه يشاطر الأنصار في ألمهم وعبتهم ويرجو التوضيح والعلاج .

٩- يلوح لي والله سبحانه وتعالى أعلم أن سؤال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن عبادة رضي الله عنه : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ كان القصد منه أن يعرف رسول الله

(١) السيرة النبوية للمؤلف مع آخرين ص ٣٨٠ .

(صلى الله عليه وسلم) حجم المسألة ونسبة الذين وجدوا في أنفسهم على ذلك ، فإذا كان سيد الخزرج قد تألم لهذا فالناس في معظمهم كذلك ، ولهذا ينبغي الإسراع في العلاج وتدارك الأمر .

١٠ - أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن عباد رضي الله عنه أن يجمع قومه ليلتقي بهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فيه أكثر من دلالة .

أ - إخبارهم بذلك الخبر أن الرسول سيلتقي بهم ويستمع منهم ويسمعهم فيه تسكين لثائرتهم وتهذئة لنفوسهم ، وتطيب لخطأهم ، وتهئية لسماع الرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما يحضر عندهم ويتحدث معهم .

ب - وفيه دلالة على مكانة سعد بن عباد رضي الله عنه في نفوس الأنصار ، فليس كل واحد قادراً على جمع الأنصار ، كيف لا ؟ وهم قد اجتمعوا عليه في سقيفة بني ساعدة .

١١ - العلاج النبوي للنفوس : إن مما يلفت النظر أن علاج الرسول (صلى الله عليه وسلم) لنفوس هؤلاء الأنصار كان على مراحل متدرجة على النحو التالي ^(١) :

أ - ذكر فضل الله ورسوله على الأنصار حتى شعروا بهذه المنة وهذه النعمة التي لا تعدلها لعاعة من لعاعات الدنيا .

ب - ذكر فضل الأنصار وجهادهم لنصرة الإسلام والدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ج - علل الرسول (صلى الله عليه وسلم) تصرفه الذي تألموا من أجله بأن منع الأنصار لا شيء يأخذه عليهم ، إنما لقوة إيمانهم ، وأعطى غيرهم تأليفاً لهم ، فكان بذلك يريد تحقيق المصلحة العامة للإسلام والمسلمين .

د - لقد اختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مصاحبتهم ، ومصاحبة الرسول إياهم إذا قورنت بكل أموال الدنيا ، تهون الدنيا بأموالها وما فيها في مقابل تلك السعادة الغامرة بصحبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ساعة ، فكيف بمصاحبته في حله وترحاله

(١) انظر السيرة النبوية للمؤلف مع آخرين ٣٨١ - ٣٨٢ .

ومسكنه طيلة حياته .

هـ - الإعلان أمامهم أنه ما زال معهم ، ولن يتخلى عن صحبتهم ، وإن فتح مكة وسائر الجزيرة العربية ، إنه أعلن أن المحيا محياهم والممات مماتهم ، وقد وفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك ، فبقي في المدينة حتى مات ودفن فيها .

ز - هذا التدرج في العلاج كان ناجحاً وناجعاً ، ويستحسن لكل أمير أن يقتفي أثر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويتعلم منه كيف تعالج النفوس .

٣- الفتنة بين الأوس والخزرج :

لقد كانت العلاقة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام تقوم على العداوة والتدابير والتشاحن والقتال ، ولقد سفكت دماء كثيرة وقتلت أعداد غفيرة من القبيلتين ، وكان اليهود يؤججون نار الفتنة بينهم حتى يتحكموا في شؤون المدينة ، لأن طبيعة النفس اليهودية والمكر اليهودي العيش على تناقض الآخرين ، وغرس الحقد بينهم حتى يخلو الجو لهؤلاء اليهود .

لقد جاء الإسلام فأصلح بين نفوسهم وألف بين قلوبهم فأصبحوا إخوة متحابين ونسوا ما كان بينهم من عداوات وثورات وأحقاد ، بفضل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، الذي رباهم على الأخوة في الله والتواد والتراحم والتعاطف .

لقد أزعجت وحدة الأنصار من أوس وخزرج اليهودي شاس بن قيس ، فقد مر يوماً على نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم واجتماعهم وصلاح ذات بينهم على يد الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال :

(لقد اجتمع ملائ بني قيلة « أم الأوس والخزرج » بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ، فأمر فتى شاباً من يهود كان معه فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعث وما كان قبله ، وأنشدتهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، ففعل ،

فأنشدتهم بعض ما قاله أحد الحيين في حربهم ، فكأنهم دخلهم من ذلك شيء ، فقال الحى الآخر : لقد قال شاعرنا في يوم كذا : كذا وكذا ، فتكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا وتفاخروا ، حتى توائب رجلان من الحيين أوس بن قبيط أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس ، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج ، فتقاتلا ، ثم قال أحدهما لصاحبه ، إن شئتم رددناها الآن جذعة «أحدثنا الحرب من جديد» فغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة «مكان في المدينة» ، السلاح السلاح ، فخرجوا إليها ، فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ^(١) .

لقد أطلت الفتنة برأسها ، وتغيرت النفوس إلى درجة أن بعضهم استحل دماء بعض وتواعدوا على القتال ، فكيف حل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذه المشكلة وقضى على هذه الفتنة التي كادت تعصف بوحدة الأمة المسلمة وأمنها ؟

لقد بادر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمجرد سماع الخبر في جماعة من المهاجرين حتى جاءهم فقال : «يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بينكم ، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم ، عدوا الله ، شاس بن قيس ^(٢) .

من قراءتنا لهذا النص الذي تضمن العلاج النبوي لهذه المشكلة التي كادت تعصف بوحدة الشعب المسلم في المدينة ، والذي يكون الجيش الإسلامي في التصدي لأعداء الله نلاحظ ما يلي :

١- الإسراع في العلاج ، فإنه يقطع دابر المشكلة ويقضي عليها قبل أن يستفحل خطرها ، وإن

(١) انظر سبل الهدى والرشاد ٣/ ٥٨٠-٥٨٣ وأسباب النزول للواحيدي ١١١-١١٥ والسيرة النبوية لابن هشام ١/

٥٥٥-٥٥٧ وروح المعاني ٤/ ١٤-١٦ والسيرة النبوية : أحمد زيني دحلان ١/ ١٧٧-١٧٨ .

(٢) انظر الهامش السابق .

التباطؤ في مواجهة المشكلة يؤدي إلى تفاقم شرها وصعوبة علاجها ، وتعذر القضاء عليها.

٢- لقد اصطحب معه (صلى الله عليه وسلم) المهاجرين للإصلاح ، وهذا أمر في غاية التوفيق لأن الأوس والخزرج ينظرون إلى المهاجرين نظرة إجلال واحترام وحب وتقدير ، فهم أهل السابقة قد هدى الله الأنصار على أيديهم ، وهم ليسوا طرفاً فيما حدث ، فهم محايدون ، ولا يستطيع صاحب فتنة أن يستغل وجودهم لإثارة فتنة وتأجيج نارها .

٣- لقد ذكرهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالله عز وجل وضرورة تقواه وخشيته في أي تصرف من التصرفات القولية أو الفعلية التي تصدر عنهم ، وهذا يعني عدم ارتكاب ما يغضبه سبحانه وهذا الأمر يجعلهم يهدأون وتهدأ ثائرتهم ، ويفكرون في تصرفهم هذا ، وحكم الشرع فيه لقد أثار كوامن الخير والإيمان في أنفسهم حتى يتدبروا أمرهم ، ويعيدوا النظر فيما هم فيه من الخصام والتشاحن .

٤- إن ما حدث من تواجد على القتال بينهم أمر مرفوض شرعاً ، ذلك لأنه دعوى جاهلية ، وجاء الإسلام ليحارب هذه الدعوات الجاهلية ويبطلها ويقتلها لا ليحييها ويبقيها ، وإن من عنده أثارة من عقل أو دين لإيمان لا يعبأ بهذه الدعوات ولا يحترمها ، بل يحاربها ويقضي عليها .

٥- ذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بنعمة الله عليهم ودخولهم في هذا الإسلام الذي حررهم من هذه الدعاوى الجاهلية ، وكره إليهم كل العادات والأخلاق الجاهلية .

٦- وذكرهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنعمة عظمى عليهم وهي نعمة الوحدة والتآلف بعد أن كانوا متحاربين متخاصمين متدابرين يقتل بعضهم بعضاً ويسفك بعضهم دماء بعض .

٧- لقد حذرهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) من دعوى الجاهلية وخطرها على أحوالهم الإيمانية والدينية والدنيوية والأخروية ، فهي عودة إلى الفرقة والعداوة والبغضاء بعد أن جمعهم على المودة والمحبة والإخاء . وهي كفر وردة لأن سباب المسلم فسق وقتاله كفر وكل واحد منهم ولا شك يكره الرجوع إلى الكفر بعد أن هداه الله للإيمان ، وشرح صدره للإسلام .

٨- بهذا التدرج والترقي، والوعظ وبيان الاخطار واظهار النعم عالج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذه الفتنة بين الأوس والخزرج فثابوا إلى رشدهم وعادوا إلى ألفتهم ومحبتهم.

٩- لقد كان من وسائل القضاء على الفتنة إدراك الأوس والخزرج أن ما حدث كان من كيد الأعداء لتمزيق الشمل وهدم الصف .

١٠- كان الحل العملي تصافي النفوس والقلوب ، وكان التعبير صادقاً ، بكاء على ما حدث ، وعناق يذهب ما علق في النفوس من دخن .

١١- اجتماع هؤلاء الجنود والتفافهم حول قائدهم ورائدهم صفاً واحداً يسمعون ويطيعون له في الأمر والنهي آخر مظاهر العلاج ، وتعبير صادق عن زوال المشكلة ووحدة الكلمة وهكذا قضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على هذه المشكلة .

إن هذا العلاج يدل دلالة واضحة كيف كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعالج المشكلات والتحديات ، ويدل أيضاً على نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في علاجه لهذه المشكلة وهو يدل على قدرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وسداد رأيه وصواب حكمه ودقة حكمته في علاج النفوس الثائرة والقلوب المضطربة ، فيسكن من روعها ويعيد المياه إلى مجاريها بسرعة فائقة تستوجب التأمل والتدبر والاستفادة .

المعرفة الدقيقة لمعادن قادة العدو

المعرفة الدقيقة لقادة العدو ومعادنتهم

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذا معرفة دقيقة بمعادن قادة الأعداء ، ومواقف هؤلاء القادة من المسلمين وصفاتهم وخصالهم التي كانت تعينه على فهم تصرفاتهم أو تعينه على استنتاج هذه التصرفات قبل وقوعها واتخاذ التدابير العملية على ضوء الفهم أو الاستنتاج. ففي غزوة الحديبية أرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأحابيش واسمه الحليس ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك ، فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك ، فغضب الحليس عند ذلك وقال : يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ، والذي نفسي الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، فقالوا له : كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ولما أصرت قريش على موقفها ، وردت الحليس استأذن مكرز بن حفص أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكلمه ويأتيهم بما سمع منه ، فأذنوا له فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه النبي (صلى الله عليه وسلم) قال للمسلمين : هذا رجل غادر^(١).

ولقد صدق مكرز نظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ففي أثناء تبادل السفراء بين المسلمين وقريش قاد خمسين من رجال قريش وتسلى خلسة ليصيب من المسلمين غرة

(١) أنظر غزوة الحديبية ص ٨٠ .

وغدراً ولكن رسول الله والمؤمنين كانوا لهم بالمرصاد فأسروهم^(١).

ولما أرسلت قريش سهيل بن عمرو وراه الرسول صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين : قد سهل الله لكم من أمركم ، قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل^(٢).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عرف نفسية أبي سفيان يوم أن كان قائداً للمشركين وتراه عالج هذه النفسية يوم فتح مكة بأن جعل له شيئاً بأنه من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، وحبس ليريه قوة المسلمين فيستسلم ويدعو قريشاً إلى الإسلام.

وكان صلى الله عليه وسلم يعلم قوة شخصية عمر بن الخطاب وقوة أبي جهل عمرو بن هشام وكان يدعو الله أن يهدي أحب الرجلين إليه إلى الإسلام ، فأسلم عمر بن الخطاب .

وحين أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه قائداً على سرية إلى أكيدر دومة أخبره الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه سيجده يصيد البقر ، فوجده خالد رضي الله عنه كذلك فأسره وهو خارج لصيد بقر الوحش^(٣).

ولقد حدد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم فتح مكة أسماء معينة أمر بقتلهم وإن كانوا متعلقين بأستار الكعبة ، لمعرفته (صلى الله عليه وسلم) الدقيقة بهم وبموقفهم من الإسلام .

(١) غزوة الحديبية - الدكتور محمد أبو فارس ص ٨٠ نقلاً عن السيرة النبوية لابن هشام ٣١٢/٢ .

(٢) انظر صحيح البخاري بفتح الباري ٢٦٩/٦ والسيرة النبوية لابن هشام ٣١٦/٢ وشرح المواهب ١٩٤/٢ وتاريخ الأمم والملوك ٧٦/٢ والفتح الرباني ٢٠٤/٢١ .

(٣) انظر دلائل النبوة ٥٢٦/٢ رقم الخبر ٤٥٥ .

الاستخبارات العسكرية

الاستخبارات العسكرية

إن مهمة الاستخبارات العسكرية جمع المعلومات عن الأعداء في السلم والحرب وفحصها ومعرفة مدى دقتها ، وتحليلها ، ومحاولة الاستفادة منها في الوقت المناسب ، وبناء خطة التعامل مع هؤلاء الأعداء على ضوء هذه المعلومات ، إن كان التعامل مسالمة أو محاربة ، هجوماً أو دفاعاً .

وهذه مهمة جد خطيرة ، يجب على كل جيش أن يهتم بها ، وأن يسخر كثيراً من طاقاته البشرية والمالية والفنية في هذا الشأن ، ولا تعجب إذا رأينا في كل جيش من الجيوش المعاصرة دائرة استخبارات عسكرية .

وإذا درسنا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإننا نجد (صلى الله عليه وسلم) حريصاً على جمع المعلومات عن الأعداء وفحصها وتحليلها ، وبناء خطته على هذا المعلومات .

ففي غزوة بدر جاءت الأخبار لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأن قافلة قريش القادمة من الشام في طريقها إلى مكة ، وفيها خمسة وثلاثون رجلاً بقيادة أبي سفيان ، وفيها معظم أموال قريش ، فندب النبي صلى الله عليه وسلم بناءً على هذه الأخبار المسلمين الحاضرين للخروج واعتراض القافلة قائلاً : ها هي غير قريش قد أقبلت من الشام فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم في جلب الأخبار عن الأعداء العيون سواء كانوا مسلمين ، أو غير مسلمين ، أو مسلمين غير معروفين بإسلامهم لدى الأعداء المعنيين .

وفي غزوة بني المصطلق جاءت الأخبار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الحارث بن أبي ضرار قد سار مع خونة بني المصطلق ومن جمعهم من قبائل العرب لحرب رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) في المدينة ولما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصيب الأسلمي ليستوثق له من صحة الخبر ، ويستطلع أخبارهم ، فلقي الحارث وكلمه ، وخالط جيشه ، فعلم منه الإصرار على القتال ، فعاد إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأخبره بما وجدته عند الحارث^(١) .

إن الاستخبارات العسكرية كما ترى لها أبلغ الأثر في كسب النصر والتغلب على الأعداء، لأنها تعطي صورة عن تحركات العدو وعدده وعدته وتساعد القائد على رسم خطة دفاعه أو خطة هجوم مضادة ، بل إنه على ضوء المعلومات المتابعة يمكن للقائد أن يطور خطته القتالية.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يولي عناية فائقة لذلك ، وكان يستخدم وسائل متعددة لمراقبة عدوه ورصد حركاته وسكناته ، وكان يحالف غير المسلمين ليستعين بهم في رصد تحركات أعدائه وتزويده بها ومن هؤلاء قبيلة خزاعة ، فقد كانت مخصصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر ، وكما يقول كتاب السير : كانت خزاعة على شركها عيبة نصيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي : موضع سره ، كلما علمت بخبر عن قریش فيه إساءة للمسلمين هرعت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تخبره بذلك حتى يعد للأمر عدته . ومن الأمثلة على ذلك ما يذكره لنا كتاب السير عند الحديث عن غزوة الأحزاب أن راکباً من قبيلة خزاعة قد خرج من مكة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة ، (قد قطع المسافة بين مكة والمدينة في أربعة أيام ، والمسافة تستغرق أسبوعاً بالسير العادي) وأخبره بخروج الأحزاب للحرب المسلمين ليكونوا مستعدين وقادرين على مواجهة الأمر في وقت كاف^(٢) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياناً يستعين برجل قد اعتنق الإسلام ، ولا يزال يعيش مع الأعداء دون أن يعلموا بإسلامه فيحذروا منه .

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٣/٢ - ٦٤ والسيرة النبوية لابن هشام ٢٨٩/٢ - ٢٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٢٩٧/٣ - ٣٠٢ .

(٢) أنظر إمتاع الأسماع ٢١٩/١ والسيرة الحلبية ٦٣١/٢ .

ومن هؤلاء العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد عاش في مكة ولم يهاجر إلى المدينة ، ولكنه كان يزود رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأخبار قريش .

ففي غزوة أحد لم يخرج العباس بن عبدالمطلب مع قريش لقتال الرسول (صلى الله عليه وسلم) والذين آمنوا معه ، وأرسل رسالة سرية مكتوبة ومختومة مع رجل من بني غفار إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، واشترط عليه أن يوصلها إلى الرسول نفسه بعد ثلاثة أيام بلياليها ، و فحوى هذه الرسالة اخبار النبي (صلى الله عليه وسلم) بخروج قريش لحربه ومباغتته ، حتى يعد للأمر عدته ولا يؤخذ على غرة ، ويقول له في رسالته : (اصنع ما كنت صانعاً إذا وردوا عليك وتقدم في استعداد التأهب)^(١) . وقد وصلت الرسالة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مختومة ففك ختمها ، ودفعها إلى أبي بن كعب رضي الله عنه فقرأها عليه ، فاستكتمه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ، كما استكتم سعد بن الربيع أيضاً^(٢) .

وفي غزوة الحديبية أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عيناً له من خزاعة ، اسمه بشر ابن سفيان ، وكان يومها على شركه ليرصد له أخبار قريش وتحركاتها العسكرية وتدابيرها الأمنية ، وكان له أيضاً في مكة نفسها أنصار وحلفاء يتعاطفون معه ، وينقلون له أخبار قريش وهذا ما قام به بديل بن ورقاء الخزاعي ، فقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخروج قريش لقتاله فقال : (إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه^(٣) الحديبية ومعهم العوذ المطافيل^(٤) ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت)^(٥) فحملة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الرسالة الشفوية التالية لقريش والتزم بابلاغها إلى زعماء قريش وقادتها : (انا لم نجئ لقتال أحد ، ولكننا جئنا معتمرين ، وان قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم ، فإن

(١) أنساب الأشراف ٣١٣/١ - ٣١٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أعداد مياه : جمع عد وهي عين ماء أو نبع ماء .

(٤) العوذ المطافيل : النوق مع أولادها .

(٥) صحيح البخاري متن فتح الباري ٢٦٢/٦ - ٢٦٣ وانظر المغازي النبوية للزهري ص ٥٢ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٣١١/٢ .

شاءوا ما ددتهم مدة ، ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا ، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذن الله أمره (١) .

هذا وقد كان تقرير بشر بن سفيان مطابقاً لتقرير بديل ورقاء الخزاعي ، فقد دخل بشر مكة ، وسمع كلام أهل الرأي والرئاسة فيها ، واجتمع بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في مكان يقال له غدير الأشطاط وراء عسفان (٢) ، وأخبره أن قریشاً سمعت بمسيره ، فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بذى طوى (٣) ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قدموها إلى كراع الغميم (٤) .. انتهى التقرير (٥) .

لقد حصل الرسول (صلى الله عليه وسلم) من هذين الرجلين على معلومات ثمينة ، تلخص في عزمها على القتال ، وخروجها لذلك ، ومكان نزولها ، وقوتها ، والكمين الذي نصبته بقيادة خالد بن الوليد الذي يقود كوكبة الفرسان .

ولقد استفاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من هذه المعلومات ، فرأى أن يغير طريق الجيش الإسلامي تفادياً للصدام مع المشركين لأنه لم يقرر في هذه المرحلة الصدام ، فقال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريقاً وعرأ بين شعاب ثشق على المسلمين السير فيه حتى خرجوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي (٦) .

(١) المصدر السابق .

(٢) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل بين المسجدين ، وهي من مكة على مرحلتين . معجم البلدان ١٢١/٤ - ١٢٢ .

(٣) ذو طوى : موضع عند مكة - معجم البلدان ٤٥/٤ .

(٤) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بشمانية أميال . معجم البلدان ٤٤٣/٤ .

(٥) أنظر فتح الباري بشرح ، صحيح البخاري ٢٥٨/٦ والمغازي النبوية لابن شهاب الزهري ص ٥٠ .

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٣٠٩/٢ - ٣١٠ والمغازي النبوية للزهري ص ٥٠ - ٥١ .

وكتب السيرة تخبرنا أن الجيش الإسلامي في سرية مؤتة لما وصل إلى معان من أرض الشام - وهي الآن محافظة من محافظات الأردن - بلغه أن نصارى العرب قد حشدوا مائة ألف من لخم وجذام والفين وبهراء وبلى ، وتولى قيادتهم مالك بن رافلة ، وحشد هرقل مائة ألف نصراني من نصارى الروم ، قد زود الجميع بالسلاح الكافي ويرفلون في الديباج لينهر المسلمون بهم وبقوتهم . فتشاور المسلمون في التصدي لهذا الحشد الضخم أو طلب المدد من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ^(١) .

إن هذه الاستخبارات كانت في غاية اليقظة والحذر ، ترصد حركة الأعداء ، وتراقب سيرهم وتعرف قاداتهم ، وسلاحهم ، وعدوهم ، لقد استطاعت هذه الاستخبارات أن تحصل على هذه المعلومات الدقيقة وأن توصلها للقيادة لتتدبر أمرها وتتخذ القرار المناسب وفق المعطيات الجديدة.

إن هذه المعلومات تدل على أن وسائل الاستخبارات العسكرية الإسلامية في عهد النبوة قوية وفاعلة ونشطة وشاملة في مراقبة العدو وحشوده .

وفي غزوة تبوك ذكرت كتب السير أن أخباراً قدمت من الشام عن طريق التجار أن هرقل زعيم الروم قد حشد حشوداً ضخمة من نصارى العرب والروم لمباغطة المسلمين بهجوم كاسح يقوض أركان دولتهم الإسلامية ، ويأتي على بنيانها من القواعد ، وبلغت هذه الأخبار إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأمر فوراً المسلمين بالإعداد والاستعداد والتجمع لقتال الروم وعملائهم واستنفر القبائل العربية التي دخلت الإسلام ، كما أرسل رسله إلى كل مكان في الجزيرة العربية يطوفون أرجاءها ، ويحرضون الناس على قتال الروم ، حتى إذا اجتمع لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا العدد الضخم من المقاتلين قاده بنفسه ، وسار به إلى تبوك ^(٢) .

(١) أنظر حياة سيد العرب ١٧٧/٣ وشرح المواهب اللدنية ٢٧١/٢ والسيرة النبوية لابن هشام ٣٧٥/٢ وتاريخ الطبري ١٠٧/٣ ومغازي رسول الله لعروة ص ٢٠٥ وزاد المعاد ٣٨٢/٣ وجوامع السيرة ص ١٧٤ .

(٢) أنظر سبل الهدى والرشاد ٦٢٦/٥ وفتح الباري ١٧٤/٩ وتاريخ الطبري ١٤٢/٣ وعيون الأثر ٢١٦/٢ وزاد المعاد ٥٢٧/٣ والكامل في التاريخ ٢٧٧/٢ والوفاء بأحوال المصطفى ٧٠٧/٢ والسيرة الحلبية ٩٩/٣ والأنساب ٣٦٨/١ وشرح المواهب اللدنية ٦٣/٣ .

وبعد غزوة أحد مباشرة انسحب جيش المشركين إلى مكة وعاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بجيشه إلى المدينة ، ولكنه لم يطمئن إلى المشركين ، فأخذ يتحسس أخبارهم ويسأل عن تحركات الجيش الذي يقوده أبو سفيان ، فالتقى رجلاً من أهل مكة قدم إلى المدينة لساعته ، فسأله (صلى الله عليه وسلم) عن أبي سفيان وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ، ويقول بعضهم لبعض ، لم تصنعوا شيئاً ، أصبتم شوكة القوم وحدثهم ، ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم^(١) .

وبناء على هذه المعلومات فقد قرر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسير إلى أبي سفيان وقتاله على الأرض التي يقيم فيها ، فأمر المسلمين الذين شاركوا في أحد بالاستعداد لقتال المشركين والمسير بقيادته لمصادمة قريش وقتالها ، وسار المسلمون وجراحاتهم تنزف وقروحهم تنز ، قد أعياهم التعب ، وأنهكهم النصب ، وأسهرتهم آلامهم ، وأبى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يشارك أهل أحد غيرهم هذا الشرف والمجد فلم يأذن لغيرهم من الصحابة ممن لم يشتركوا في أحد إلا لواحد هو جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وسميت هذه الغزوة غزوة حمراء الأسد ، إذ وصل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بجيشه إلى حمراء الأسد وأقام فيها ثلاثة أيام يتحدى المشركين ، فلم يجرؤ أحد على لقائه ونزاله ، وأنزل الله تبارك وتعالى في هؤلاء الذين استجابوا لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم)^(٢) .

وبعد غزوة أحد وحمراء الأسد شمت المنافقون واليهود بما حدث للمسلمين وطمعت قبيلة بني أسد في المدينة ، واعتبروا الساعة مواتية للانقضاض عليها ونهبها وسلبها ، فقام طليحة ابن خويلد الأسدي واخوه سلمة بتجميع بني أسد لمهاجمة المدينة ، فجاء رجل من بني أسد يخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بما أجمعوا عليه ، فقرر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غزوهم بسرية يقودها أبو سلمة بن عبد الأسد^(٣) .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٩٧/٣ .

(٢) الآية ١٧٢ من سورة آل عمران .

(٣) أنظر السيرة النبوية لابن كثير ١٢١/٣ - ١٢٢ .

وقد جاء عين لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة يخبره أن بني محارب وبني ثعلبة من غطفان قد جمعوا الجموع لحربه (صلى الله عليه وسلم) ، فما كان منه (صلى الله عليه وسلم) إلا أن قرر غزوهم بنفسه ، فسار إليهم في عقر دارهم على رأس أربعمئة مقاتل ، فهربوا على رؤوس الجبال تاركين نساءهم وأطفالهم وأموالهم^(١) .

وسميت هذه الغزوة غزوة ذات الرقاع . لأنها وقعت عند جبل فيه بقع حمرة وبيضاء وسود كأنها الرقاع وقيل لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع . وقيل لأن الغزاة كانوا يلفون الخرق على أقدامهم لما لا قوا من آلام وقد نقت أقدامهم وسقطت أظافرهم^(٢) .

و من مهمات الاستخبارات العسكرية أيضاً مراقبة الأعداء في الجبهة الداخلية وجمع المعلومات عنهم . وإن أخطر عدو كان في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي المدينة يسكن مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد اليهود المنافقون .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يغفل لحظة واحدة عن مراقبة هؤلاء ورصد حركاتهم وسكناتهم وتصريحاتهم وأقوالهم . وكان كل صحابي يسمع كلاماً يسيء للمسلمين ينقله إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى يتخذ الموقف المناسب منهم ، هذا ولقد تكفلت سورة براءة وغيرها بفضح هؤلاء المنافقين وهتك أستارهم وكشف أسرارهم .

أما الشواهد من السيرة على اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه بخطر هؤلاء ومن ثم مراقبتهم واتخاذ التدابير الناجعة بحققهم فكثير ، ومن هذه الشواهد ما حدث في غزوة بني المصطلق ، حينما تخاصم غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار ، فاستغل رأس المنافقين هذا الأمر ليحاول إحداث فتنة بين المهاجرين والأنصار وقال كلاماً قبيحاً أساء فيه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإلى المهاجرين . وقال فيما قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن منها الأعز الأذل ، وسمعها زيد بن أرقم فأخبر بها النبي (صلى الله عليه وسلم) ،

(١) أنظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦١/٢ - ٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ٢٠٢/٢ - ٢٠٨ والسيرة النبوية لابن كثير ١٦٠/٣ - ١٦٤ والفتح الرباني ٩١/٢١ .

(٢) غزوة الأحزاب للدكتور محمد أبو فارس ص ١٣ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٧/١٢ .

فطلب عمر قتل رأس المنافقين لأنه عامل فتنة ^(١). وقد نقل زيد بن أرقم رضي الله عنه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) قول رأس المنافقين الذي يحرض المنافقين وغيرهم على الشح والبخل وعدم الإنفاق على فقراء المسلمين حتى ينفض الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). روى الإمام البخاري رحمه الله بإسناده إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : لما قال عبدالله بن أبي : لا تنفقوا على من عند رسول الله ، وقال أيضاً : لكن رجعنا إلى المدينة ، أخبرت به النبي (صلى الله عليه وسلم) فلامني الأنصار ، وحلف عبدالله بن أبي ما قال ذلك ، فرجعت إلى المنزل فتمت فدعاني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأتيته ، فقال ، إن الله صدقك ونزل : (هم الذين يقولون لا تنفقوا... الآية) ^(٢)

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ٢٧٧/١٠ .

(٢) صحيح البخاري متن فتح الباري ٢٧٢/١٠ .

الاستطلاع العسكري

الاستطلاع العسكري

ولم يكتف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالاستخبارات العسكرية التي تعتمد على عناصر في الجيوش المعادية ومعسكراتها أو عيون من المسلمين وغيرهم تجمع الأخبار عن هؤلاء الأعداء وتزود الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، بل كان يرسل السرايا والبعوث العسكرية ليستطلع أخبار الجيوش المعادية وسرايا الأعداء وكذلك قوافلهم التجارية وحراسها وقادتها وكانت هذه السرايا والبعوث الاستطلاعية تقوم بتزويد الرسول بمعلومات دقيقة عن تحركات العدو وعن جيش العدو من خلال رصده عن كذب ومن خلال خطف بعض أفرادهم والتحقيق معهم أو من خلال الدخول في معسكرهم والالتقاء بهم وهم يتخفون ويتسترون حتى لا يعرفوا.

فكتب السيرة تروى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أرسل سرية استطلاعية لجمع الأخبار عن العدو، و كان ذلك قبل غزوة بدر الكبرى « ففي شهر رجب من السنة الثانية للهجرة أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبدالله بن جحش بن رثاب الأسدي ومعه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحداً .

فلما سار عبدالله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم ، فلما نظر عبدالله في الكتاب : قال سمعاً وطاعة ، ثم قال لأصحابه قد أمرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن أمضي إلى نخلة ، أرصد قريشاً حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهاني أن استكره أحداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع .

فأما أنا فمأض لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فمضي ومضى معه أصحابه ، لم

يتخلف عنه منهم أحد، ومضى عبدالله بن جحش ومن معه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير قريش تحمل زيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش ، فاستولوا على العير وأسروا رجلين قدموا بهما على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المدينة (١) .

وقد أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سرية استطلاعية مكونة من ثمانية رجال كلهم من المهاجرين، وأمر عليهم سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنه . فبلغ موضع الخرار من أرض الحجاز (٢) .

وفي غزوة بدر الكبرى حينما خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يطلب قافلة قريش القادمة من الشام أرسل طليعة عسكرية تتعقب له أخبار القافلة وتأتيه بها . فقد ذكر الإمام ابن سعد في الطبقات الكبرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أرسل الصحابييين بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء ليستطلعا أخبار أبي سفيان قائد القافلة ، فأتيا ماء بدر فسألا عن أبي سفيان ، فأخبراً بمكانه الذي هو فيه ، وسمعا من جارييتين ذلك ، وصدقهما شيخ هو مجدي بن عمرو ، فرجعا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالا : « يا رسول الله نزل ماء كذا يوم كذا ، وننزل نحن ماء كذا يوم كذا وينزل هو ماء كذا يوم كذا ، وننزل نحن ماء كذا حتى نلتقي نحن وهو على الماء » (٣) .

تأمل معي كيف استخدمت هذه الطليعة العسكرية الاستكشافية المعلومات التي حصلت عليها وحللتها ، ثم بنت على هذا التحليل ، تحديد مكان اللقاء مع القافلة وزمانه ، إذا سارت الأمور العادية ، لم يطرأ عليها طارئ ، وكأني بالمسلمين بعد هذه الأخبار وهذه التوقعات قد أخذوا يعدون أنفسهم لملاقاة العدو على الماء ، ووضعوا الخطة لتحقيق هذا الهدف .

وها هو ذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن نزل قرياً من ماء بدر ، أراد أن يستطلع أخبار قريش ، فنزل هو وأبو بكر عند شيخ عارف بالتحركات في المنطقة ، وسألاه عن

(١) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٦٠١/١ - ٦٠٤ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٦٠٠/١ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٤/٢ وانظر زاد المعاد ١٧٣/٣ .

أخبار قريش وأخبار محمد وأصحابه ، فأخبرهما عن مكان الفريقين بدقة ^(١) .

وحين أرسلت قريش جيشها بعد نجاة القافلة لقتال المسلمين في بدر ، بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، سرية عسكرية لتستطلع أخبار قريش وتحرز قوتها أو تقدرها ، وكانت هذه الطليعة مكونة من علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وبسبب بن عمرو ، فذهبوا يتحسسون أخبار قريش على الماء ، فوجدوا روايا قريش فيها سقاتهم ، فأخذوا اثنين منهم إلى معسكر المسلمين ، فاستجوبهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بنفسه ، واستطاع أن يحصل منهما على معلومات دقيقة عن قوة المشركين في بدر ، من حيث العدد والعدة والقيادة ، فقد أجرى الرسول (صلى الله عليه وسلم) معهما التحقيق التالي :

« قال لهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : كم القوم ؟

قالا : كثير

قال : ما عدتهم ؟

قالا : لا ندري

قال : كم ينحرون ؟

قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : القوم فيما بين التسعمائة والألف

ثم قال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش ؟

قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البحتري بن هشام ، وعدد خمسة عشر رجلاً

من صناديد قريش .

فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أصحابه فقال : هذه مكة ألقى إليكم أفلاذ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٦١٦/١ .

ويمكننا أن نستفيد من هذه الحادثة أن على القائد أن يخفي عن عدوه كل شيء يمكن أن يستفيد منه في استخلاص المعلومات ، وقد يبدو هذا الشيء أحياناً تافهاً ، فيتهاون فيه ويترتب على ذلك ضرر كبير .

ويمكننا أن نستنبط أيضاً أن على القائد أن يستفيد من أي معلومات تصل إليه فيحللها ويستنبط منها حقائق عن العدو .

وفي العصر الحديث يستطيع القائد أو غيره أن يعرف الكثير عن عدوه إذا علم كمية الغذاء اليومي له ، ويستطيع أن يعرف مما تستهلكه سيارات الجيش المعادي من وقود فيقدر عددها ونوعها .

وقد يخفي قادة العدو أحياناً خسائرهم في معركة من المعارك ، وبخاصة عدد القتلى ، ولكنهم قد يغفلون عن ناحية قد تبدو لكثير من الناس انها بسيطة ، بل لا يؤبه لها ، وهي نعي القتلى في الجرائد والصحف المحلية الذين قتلوا في هذه المعركة ، ولكن يمكن للمتبع لهذه الصحف في تلك الفترة أن يحصي خسائر عدوه ويعرفها عن طريق النعي في الصحف .

وفي غزوة أحد حينما خرج جيش المشركين بقيادة أبي سفيان وعسكر بالقرب من المدينة أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلين من الصحابة هما : أنس ومؤنس ابنا فضالة الظفرين رضي الله عنهما ، فرصدا جيش المشركين وأتيا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمعلومات عن مكانه وأفعاله وبعد ذلك أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحد القادة العسكريين المجريين من الأنصار وهو الحباب بن المنذر وقال له : « إذا رجعت فلا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى في القوم قلة » ، فذهب مستخفياً حتى تخللهم ، ودخل بينهم ، وعرف ما يريد من شأنهم ، ثم رجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له : يا رسول الله رأيت عدداً حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً ، أو ينقصون قليلاً ، والخييل مائتي فرس ، ورأيت دروعاً ظاهرة حزرتها سبعمائة درع .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٦١٧/١ .

قال : هل رأيت ظعنا ؟

قال : رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أردن أن يحرضن القوم ويذكرنهم قتلى بدر^(١) . وبعد القتال في أحد وخسارة المسلمين في القتلى التي لم يكونوا يتوقعونها ، انسحب المشركون بقيادة أبي سفيان من أرض المعركة وقد تركوا وراءهم ثلاثة وعشرين قتيلاً ، أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحد القادة الأفذاذ من المسلمين وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليراقبهم وقال له : « اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ؟ فإن هم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ، ثم لأناجزنهم فيها .

قال علي بن أبي طالب : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة »^(٢) .

في قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « فإن هم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة » درس للعسكريين مفاده : ركوب الإبل يدل على أن الجيش عازم على قطع مسافات طويلة ، وركوب الخيل يدل على أن الجيش عازم على قطع مسافة قصيرة ، وقد اقترب من هدفه ، ومن ثم فإن الجيش جاهز للإغارة والمباغطة ، فالخيل معروفة بالإغارة .

ويمكن أن يقاس على ما تقدم تحركات الجيوش في الوقت الحاضر ، فحين تستخدم وسائل النقل البطيئة يكون للسير هدف يغير السير بوسائل النقل السريعة ، يستطيع أصحاب الاختصاص والخبرة تحديده ، والاستفادة منه في رسم الخطط المضادة لحرب العدو ومواجهته .

وفي غزوة الأحزاب أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلين من الصحابة ليرصدا

(١) المعازي للواقدي ٢٠٧/١ - ٢٠٨ .

(٢) زاد المعاد ٢٤١/٣ .

تحركات الأحزاب ويزوداه بها ، وهما سليط ، وسفيان بن عوف ، فوقعا في قبضة المشركين فقتلوهما . فأتى بهما النبي (صلى الله عليه وسلم) فدفنهما في قبر واحد ، فهما الشهيذان القرينان^(١) .

ولما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة الأحزاب أن قريظة قد نقضت العهد وأرادت أن تحارب مع الأحزاب أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الزبير بن العوام وهو أحد القادة العظام من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ليستطلع حقيقة الأمر ، فجاءه بمعلومات أولية على أن هناك تحركاً غير طبيعي لبني قريظة ، وفيه إمارات على أنهم يستعدون للحرب . لم يكتف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالتقرير الذي قدمه الزبير رضي الله عنه ، بل أرسل نفرأ من الأنصار ليستوثق من صحة الخبر ودقة المعلومات ، وكان هذا الوفد مكوناً من سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، وأسيد بن حضير ، وعبدالله بن رواحة ، وخوات بن جبير ، وقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فألحنوا لي لحناً أعرفه ، ولا تفتوا في أعضاء الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس »^(٢) .

إن الاستكشاف العسكري لا بد أن توكل مهمته إلى عسكري متمرس ذكي ، خفيف الحركة ، دقيق الملاحظة ، قادر على جمع المعلومات ، وتحليلها واستنباط الدروس منها سواء كانت هذه الدروس متعلقة بما سيفعله العدو وما يخطط له أو في التصدي لهذا التخطيط وإبطال مكر العدو .

ولقد كان الزبير بن العوام وأعضاء الطليعة العسكرية من زعمي الأنصار: زعيم الأوس، وزعيم الخزرج وغيرهما خير من يقوم بهذه المهمة العسكرية الخطيرة ، ولقد قام الجميع بما أوكل إليها خير قيام ، واستفاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من المعلومات التي جلبوها في تعديل خطته والتعامل مع عدوه بعد ذلك ، وقد كان التخطيط ناجحاً والنتيجة موفقة والنصر حليف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

(١) السيرة الحلبية ٦٣٦/٢ .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٣٢/٢ والسيرة النبوية لابن كثير ١٩٩/٣ - ٢٠١ .

وفي غزوة تبوك كان المنافقون يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ويحيكون المؤامرات ويشبطون الناس عن الخروج وأخبارهم تصل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فما كان منه إلا أن أمر بحرق البيت على هؤلاء المنافقين واليهود .

فقد روى ابن هشام في السيرة النبوية بإسناده إلى عبدالله بن حارثة قال : « بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن ناساً من المنافقين ، يجتمعون في بيت سويلم اليهودي - وكان بيته عند جاسوم - يشبطون الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة ، فافتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا .

وقد قال الضحاك في ذلك الآيات التالية من الشعر :

كادت وبيت الله نار محمد يشيط^(١) بها الضحاك وابن أبيرق
وطلت وقد طبقت^(٢) كبس سويلم^(٣) أنوء^(٤) على رجل كسيراً ومرفق
سلام عليكم لا أعود لمثلها أخاف ومن تشمل به النار يحرق^(٥)

وفي غزوة الأحزاب لما نفذت المؤونة من القبائل المحاصرة للمدينة أرسلت قبيلة بني قريظة عشرين رجلاً محملاً بالموءن ، فرصدها الاستخبارات العسكرية النبوية وتعرضت لها وصادرتها^(٦) .

(١) يشيط : يحترق .

(٢) طبقت : علوت .

(٣) كبس سويلم : البيت الصغير الذي يملكه وفي الغالب يكون من الطين .

(٤) أنوء : أثقال أو أمشي بصعوبة بسبب كسر فيها .

(٥) انظر السير النبوية لابن هشام ٥١٧/٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٦-٥/٤ وسبل الهدى والرشاد ٦٣٢/٥ والسيرة الحلبية ١٠٢/٣ - ١٠٣ وشرح المواهب ٦٦/٣ .

(٦) انظر السيرة الحلبية ٦٤٧/٢ . والعسكرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٤٥٦ ، وحياة المصطفى ٤٧٨/٢ . والسيرة لمحمود محمد شاكر ٢٨٣/٢ .

وفي هذه الغزوة كثر كلام المنافقين على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، ينالون منهم ويقللون من شأنهم وقوتهم لإضعاف همهم ، فكانت هذه الأخبار تنقل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . قال قتادة إن ناساً من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم : ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحماً لالتهمهم ابو سفيان وأصحابه ، دعوا هذا الرجل فإنه هالك^(١) .

ومن أعمال الاستخبارات العسكرية جمع المعلومات عن قادة العدو وتعميمها على من يهمهم الأمر ويعنيهم حتى إذا التقوا بهم احتاطوا وحذروا غدرهم وفوتوا عليهم ما يريدون من غدر وأذى .

فالسيرة تحدثنا أنه في أعقاب غزوة بدر اجتمع صفوان بن أمية وعمير بن وهب الجمحي عند الكعبة وتحدثا حديث المرارة عن بدر ونتائجها ، فقال عمير : لولا دين علي ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله ... فقال له صفوان : دينك علي وعيالك مع عيالي ، فقال له عمير : فاکتم شأنني وشأنك ، فتناول عمير سيفه وقد شحذه وسمه ، وانطلق إلى المدينة حتى وصلها ، فلقية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين أناخ بباب المسجد متوشحاً سيفه . فقال عمر : هذا الكلب ، عدو الله ، عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا بشر ، وهو الذي حرش بيننا ، وحزرننا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وحذره من عمير ، وهو ممسك بحمائل سيفه الذي في عنقه وقال لرجال من الأنصار كانوا معه : ادخلوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون .

إن هذه المعرفة من عمر بن الخطاب لوهب بن عمير وتاريخه ، ومواقفه العدائية من المسلمين هي التي اعانت من يعرفه بالحذر منه واتخاذ التدابير الأمنية التي تحول دونه ودون ما جاء من أجله وهو اغتيال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

إننا نريد أن نؤكد هنا أن هذه السرايا الاستطلاعية قد تكون أحيانا في مقدمة الجيش ، وقد

(١) تفسير الطبري ١٣٩/٢١ .

تتقدم الجيش في السير ، وهذه السرايا تمسح المنطقة ، وتمهد الطريق أمام الجيش ، فتبصر الكمين وتبحث عن عيون الأعداء وجواسيسهم ، والهدف من عملها ليس قتاليا ، بل الهدف جمع المعلومات ومراقبة تحرك العدو ، وتزويد القيادة بكل ما تجمعه من معلومات .

يذكر ابن اسعد في كتابه الطبقات الكبرى : أن اليهود قد أمروا عليهم بعد قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق أسير بن رازم ، وهذا لم يتعظ بما حدث لمن قبله على أيدي المسلمين من قتله ، لقد كان أول عمل قام به هذا القائد الجديد التحريض على قتال المسلمين ، إذ سار إلى غطفان وغيرها من قبائل العرب ليحضهم على حرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولما بلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) أرسل سرية استطلاعية مكونة من أربعة عسكريين وعلى رأس هذه السرية عبدالله بن رواحة أحد قادة الأنصار المشهورين ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ست من الهجرة ليتأكد من صحة الخبر الذي وصله ، وتفرق عبدالله بن رواحة ومن معه في حصون خيبر فجمعوا معلومات عن تحركات هذا القائد المعادي وزودوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بها^(١) .

وفي غزوة خيبر بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عباد بن بشر في سرية استطلاعية ، يتلقت أخبار يهود خيبر ، ويستطلع إن كان هناك كمائن ، فلقي في الطريق جاسوساً ليهود خيبر من قبيلة أشجع ، فقال له عباد : من أنت ؟ قال باغ ابتغي أبرة ضلت لي ، أنا على أثرها .

قال عباد : ألك علم بخيبر ؟

قال : عهدي بها حديث ، فيم تسألني عنه ؟

قال : عن اليهود

قال : نعم كان كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان ، فاستنفروهم وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة ، فجاءوا معدّين مؤيدين بالكراع والسلاح ، يقودهم

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٩٢/٢ وانظر إمتاع الأسماع ٢٧٠/١ والمغازي للواقدي ٥٦٦/٢ .

عتبة بن بدر ودخلوا معهم في حصونهم ، وفيهم عشرة آلاف مقاتل ، وهم أهل الحصون التي لا ترام ، وسلاح وطعام كثير لو حصروا السنين لكفاهم ، وماء واتن يشربون في حصونهم ، ما أرى لأحد بهم من طاقة .

فرفع عباد بن بشر السوط فضربه ضربات ، وقال : ما أنت إلا عين لهم ، أصدقني وإلا ضربت عنقك ، فقال الأعرابي : أفتؤمنني على أن أصدقك ؟

قال عباد : نعم

فقال الأعرابي : القوم مرعوبون منكم خائفون وجلون لما صنعتهم بمن كان يشرب من اليهود وقال لي كنانة : اذهب معترضاً للطريق ، فإنهم لا يستنكرون مكانك ، واحذرهم لنا ، وادن منهم كالسائل لهم ما تقوى به ، ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا ، فإنهم لن يدعوا سؤالك ، وعجل الرجعة لنا بخبرهم ^(١) .

أقول : لقد لاحظ عباد بن بشر رضي الله عنه في هذا الرجل من اشجع أمراً يدعو إلى الريبة فيه ، والتشكك في صدقه فيما أخبره ، لماذا هذا الرجل يندفع في الحديث عن قوة اليهود في خير ، ويهول في قوتهم ، ويقف بجانبهم ، ويخذل المسلمين عن قتالهم بتقديم معلومات مبالغ فيها عن قوة اليهود وأعدائهم وعدتهم والروح المعنوية العالية التي زعم أنهم يتمتعون بها ، مما يفت ذلك في اعضاء المسلمين .

إن هذا الأمر لا يقوم به إلا إنسان له علاقة وثيقة بيهود خير أعداء المسلمين ، وهو احتمال لا ينبغي المرور عنه بدون اكتراث ، بل ينبغي التوقف عنده ، والتحقيق فيه ، ومس المتهم بشيء من الأذى ، وتهديده بما يجعله يكشف عن خبيثة نفسه وحقيقة أمره .

ولقد صدقت فراسة عباد بن بشر رضي الله عنه ، إذ حينما شدد عليه وضربه بسوطه وقال له : ما أنت إلا عين لهم ، اصدقني وإلا ضربت عنقك . فما كان منه إلا أن اعترف بكل شيء .

ومما يجدر ذكره أن عباد بن بشر رضي الله عنه لم يفلت هذا الجاسوس بعد أن أمنه ،

(١) المغازي للواقدي ٢/ ٦٤٠ - ٦٤٢ .

ولكنه أوثقه وأخذه معه إلى خيبر ، حتى لا ينقل شيئاً عن المسلمين .

وأقول : إن وجود هذه السرية الاستطلاعية في مقدمة الجيش الإسلامي المتوجه إلى خيبر منعت من تحقيق هدف الجاسوس والذين أرسلوه من ذكر المعلومات عنهم ، إذ لم يسمعها إلا قائد السرية ، وعلى أقصى حد أفراد السرية الذين كانوا معه ، ثم إنه لم يمكن هذا الجاسوس من رؤية الجيش الإسلامي بمعداته وأفراده ليحزره ويأخذ المعلومات عنه ، إذ تصدى له ، وقبض عليه وفوت عليه وعلى من أرسله أغراضه .

وفي سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى بني الملوح بالكديد أرسل أميرها جندب بن مكيث الجهني طليعة لها ، يستطلع أخبار العدو ، فخرج حتى أتى تلاً مشرفاً يطلعه على الأعداء ، ويسهل رصد حر كاتهم وسكناتهم منه . فأدى مهمته على خير ما يرام ، ولم يحدث أي تصرف يشعر العدو بوجوده ومن ثم إبطال خطة المسلمين في هذه السرية ^(١) .

وفي طريق هذه السرية قبض رجالها على الحارث بن البرصاء الليثي ، فقال : إنما جئت أريد الإسلام ، وإنما خرجت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقالوا له : إن تكن مسلماً لم يضرك رباطنا يوماً وليلة ، وإن تكن غير ذلك نستوثق منك ، فشددوا وثاقه وخلفوا عليه رجلاً أسود وقالوا له : إن نازعك فاحتز رأسه ، فساروا حتى أتوا الكديد عند الغروب الشمس فكمنوا في ناحية الوادي .

لقد تبين من خلال هذه الأحداث السابقة أنه كان للنبي (صلى الله عليه وسلم) اهتمام بارسال السرايا العسكرية الاستطلاعية ، وأنها كانت تؤدي دورها المرسوم لها ، وأنها كانت تعين المسلمين في التخطيط والتنفيذ . ولا زالت هذه الطريقة في غاية الأهمية في الفنون العسكرية الحديثة وعند القادة العسكريين . فأولى بهم أن يقرأوا سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) العسكرية ويستفيدوا منها في هذا الشأن .

(١) انظر المغازي للواقدي ٧٥٠/٢ - ٧٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٤/٢ - ١٢٥ وعيون الأثر ١٥٠/٢ والسيرة النبوية لابن هشام ٦٠٩/٢ وزاد المعاد ٣٦٢/٣ - ٣٦٣ .

التخطيط العسكري

التخطيط العسكري

إن التخطيط عبارة عن التفكير المنظم الذي يسبق العمل ، وهو إجابة عن أسئلة تدور في ذهن المخطط :

ماذا ينبغي أن يعمل ؟

ومتى يمكنه أن يعمل ؟

ومن الذي يقوم بالعمل ؟

وكيف يقوم بالعمل ؟

وأين يمكن أن يقوم بالعمل ؟

والتخطيط الناجح يتطلب معلومات كثيرة ودقيقة عن العدو وكذلك عن قدرات المخطط ومتطلباته وإمكاناته البشرية والمادية وغيره .

والمخطط الناجح حين يريد أن يضع خطة لمعركة من المعارك يخوضها سواء كانت هجومية أو دفاعية يجب أن يحصل على معلومات مستفيضة دقيقة عن أحوال عدوه وقدراته وسلاحه ، ومن باب أولى يجب أن يعرف معرفة شاملة وتامة عن جنوده وسلاحهم وكفاءاتهم الفنية والعلمية والتدريبية .

إن مما لا شك فيه أن التخطيط ووضع الخطط أمر ضروري جداً ، وخاصة في عالم العلوم العسكرية والمعارك الحربية ، ولكن يجب أن نعلم أن الخطة عبارة عن كلام جميل وحبر على ورق وأنها مهما كانت نظرياً ممتازة فلا وزن لها إذا لم يقم جهاز على تنفيذها ، ولا بد أن تكون هناك جهة تراقب تنفيذ العمل وتسدد وتصوب وتقارب ، وفي النهاية لا بد من تقويم الخطة المنفذة وما لها من إيجابيات قد تحققت وسلبات قد وقعت حتى يستفاد منها في عالم التخطيط

في الأمور المستقبلية والمعارك الحربية القادمة .

والخطة العسكرية سواء كانت قريبة المدى أو متوسطة المدى أو بعيدة المدى ، وسواء كانت حرباً شاملة أو حرباً خاصة ، يجب التأكد من كفاءة الجهة أو الجهاز المنفذ لهذه الخطة ومتابعته وتقويمه .

التخطيط : لقد علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بسيرته العملية والقولية والتقريرية التخطيط الناجح الذي يحدد الهدف ويختار الوسائل المناسبة التي تحقق الهدف أو الأهداف المنشودة .

ولو درسنا سيرته (صلى الله عليه وسلم) وتدبرناها لوجدنا أن هذا الرسول الكريم كان يخطط لكل عمل يريد أن يقوم به ، فيختار الوقت المناسب ، والظرف المناسب ، والمكان المناسب ، والرفيق المناسب ويفرغ جهده في التخطيط والأخذ بالأسباب ثم يدع النتائج إلى الله غزّ وجل ففي الهجرة إلى المدينة نستطيع أن نلخص خطته (صلى الله عليه وسلم) على النحو التالي :

عناصر الخطة :

الهدف : التوجه إلى المدينة والوصول إليها بسلام .

الرفيق في الطريق : لقد اختار أبا بكر الصديق لذلك ، وقد حاول أبو بكر أن يهاجر قبل النبي ويستأذنه ولكن النبي ما كان يأذن له ويقول له : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً .

الجندي الفدائي الذي يفدي الرسول بنفسه : علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

المكان المؤقت : غار ثور .

التموين : عن طريق أسماء بنت أبي بكر .

الاستخبارات : عبدالله بن أبي بكر .

تعمية أخبار النبي عن عيون المشركين : عامر بن فهيرة . راع لأبي بكر .

دليل الرحلة : عبدالله بن أريقط وكان ماهراً .

موعد الإنطلاق : في اليوم الثالث من الغار .

تفصيل الخطة وشرحها :

يخرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى غار ثور ، وهو غار يقع جنوبي مكة ، وهذا كما هو واضح زيادة في التورية عن العدو ، فالعدو يخطر بباله أن الرسول إذا هاجر فإنما يسير نحو الشمال تجاه المدينة ، ولا يخطر بباله أنه سيتجه نحو الجنوب . إنه التخطيط النبوي الدقيق .

يلجأ الرسول وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور ثلاثة أيام ويقوم عبدالله بن أبي بكر بتزويد النبي (صلى الله عليه وسلم) بأخبار قريش ، حيث يجلس في أنديتها ومع زعمائها وقادتها طوال اليوم ، ثم يأتي إلى الغار في المساء حيث يزود القيادة المسلحة بأخبار العدو .

وكأنني بعبدالله بن أبي بكر يأتي في اليوم الأول ليقول لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا تخرج فإن الطلب عليك كثير شديد ، والرصد وفير ، واليوم الثاني لا تخرج يا رسول الله ، فإن قريشاً لا تزال ترسل الفرسان في طلبك ، والبحث عنك ، واليوم الثالث يسكن الطلب إذاً لتخرج يا رسول الله من الغار إلى المدينة مسرعاً ، وهكذا يتوافق التقدير النبوي المسبق الذي ضربه لابن أريقط ، وتقارير عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما .

يقوم الراعي عامر بن فهيرة ، فيعفي على آثار عبدالله بن أبي بكر ، وآثار أسماء كما يزود النبي (صلى الله عليه وسلم) بشاة كل يوم من الغنم طعاماً له ولصديقه ، وهذا مما يدل على أن اللحم ضروري للجندي وهو يتحمل المتاعب والمصاعب .

ولقد كان للمرأة دور في الخطة ، فقد أسهمت أسماء في تنفيذ خطة الهجرة ، وأوكل إليها عملاً يناسب طبيعتها ، إذ قامت بتزويد النبي (صلى الله عليه وسلم) بالغذاء والماء ، وحينما جهزت الغذاء والماء لم تجد ما تربط الوعاءين به ، فشقت نطاقها شقين : شقاً ربطت به الغذاء ، وشقاً ربطت به الماء ، وسارت بلا نطاق مع حاجتها ككل امرأة إلى نطاق ، لا سيما من تعودت

على ذلك فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد آثرته وغذاه على نفسها بشرها بأن الله أبدلها بنطاقها نطاقين في الجنة ، فسميت من يومها بذات النطاقين .

وظل الرسول (صلى الله عليه وسلم) يسير نحو المدينة - بعد خروجه من الغار - سراً يخفي أخباره عن الناس حتى وصل المدينة سالماً .

بل لقد لقي رجل من المشركين الرسول وأبا بكر في الطريق بين مكة والمدينة ، وكان يعرف أبا بكر منذ زمن ، وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يسير أمام أبي بكر ، ولم يكن ذلك الرجل قد عرف النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فوقف المشرك يسأل أبا بكر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) : من هذا الرجل الذي بين يديك ؟

فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير رواه أحمد والبخاري ^(١) .

قال الشوكاني في نيل الأوطار : وهذا التعريض الواقع من أبي بكر في غاية اللطافة ^(٢) .

أقول : وهذا التعريض أو التورية في الكلام معناه أن يقصد المتكلم معنى غير المعنى المتبادر لذهن السامع ويحتمله كلامه .

وفي غزوة بدر قد خطط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للمعركة فاختار الموقع العسكري الناجح لجيشه بعد إشارة من الحباب بن المنذر ، وبعد معرفة رأي أصحابه في القتال ، وقد اختار المكان الذي يقوي مركزه القتالي ويضعف مركز عدوه إذ جعل الشمس في عيون المشركين ، واختار وقت الصباح لذلك القتال ، وعبأ النبي (صلى الله عليه وسلم) جنوده للقتال وحضهم عليه ، « واستخدم النبي (صلى الله عليه وسلم) أسلوباً جديداً في القتال هو أسلوب الصف بينما اعتمدت قريش أسلوب الكر والفر ، وبذلك استطاع النبي (صلى الله عليه وسلم) السيطرة على قوته والاحتفاظ باحتياط للطوارئ ^(٣) .

(١) نيل الأوطار ٨/٢٤٥ .

(٢) نيل الأوطار ٨/٢٤٥ .

(٣) انظر الرسول القائد ٨٥ - ٨٦ والعسكرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٣٠٦ .

واختار المبارزين الأكفيا فانتصروا على مبارزهم وقتلوه .

وعبأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أصحابه وزودهم بالأوامر العسكرية المحددة في القتال وكانت خطة القتال على مرحلتين مرحلة القتال الدفاعي حتى ينهك قوة العدو ثم مرحلة القتال الهجومي حيث بعد أن ينهك قدرة العدو على القتال بصد هجماته على أعقابها وقد أثخن القتل فيه ، يأمر بالهجوم المضاد والقتال الهجومي ، وتعقب فلول المشركين قتلاً وأسراً .

لقد كانت التوجيهات القتالية من الرسول القائد (صلى الله عليه وسلم) تقضي بأن يقوم أصحاب النبال والرماح برمي جنود العدو إذا اقتربوا منهم وأصبحوا في موضع إصابة السهم أو الرمح ، فيكون الرمي في هذه الحالة دقيقاً ، والأصابة مؤكدة ، وأمرهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يقتصدوا في الرمي « أي أمرهم بالاعتصام في العتاد » . ولقد أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أيضاً ألا يهاجموا عدوهم إلا إذا أمرهم ، وكان الأمر القتالي كلمة : شدوا .

روى الإمام أبو داود رحمه الله في سننه بإسناده إلى حمزة بن أبي أسيد عن أبيه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين اصطفينا في بدر : « إذا أكتبوكم - يعني إذا غشوكم - فارموهم بالنبل واستبقوا نبلكم » والغشيان الاقتراب من مدى النبل ^(١) .

(ولا يفوتنا أن نبين أن الرمي من مسافات بعيدة يكشف عن موقع الرماة ، فضلاً عن أنه لا يكون محكماً فيطيش التصويب) ^(٢) .

وفي مرحلة القتال الهجومي روى الإمام أبو داود رحمه الله في سننه بإسناده عن أبي أسيد الساعدي عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم بدر : (إذا أكتبوكم فارموهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) ^(٣) .

والغشيان هنا : تداخل الصفوف والالتقاء المباشر

(١) سنن أبي داود ٤٨/٢ ، وانظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٣٠٨/٨ ، وقد فسر أكتبوكم بأكثرهم .

(٢) العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول ص ٢٧٦ .

(٣) سنن أبي داود ٤٨/٢ وانظر سنن البيهقي ١٥٥/٩ .

نرى من خطة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه أنه قد أمر باستخدام السلاح الأبيض في المرحلة الأخيرة من مراحل القتال ، وهي عند اشتباك الأيدي والالتحام وتداخل الصفوف ، وهذا مبدأ عسكري هام في وقت استخدام السلاح الأبيض وكيفيته .

قال صاحب كتاب العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول : (ولقد وضع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبدأ هاماً في كيفية استخدام السلاح الأبيض ، وهو السيف عند المسلمين والسلاح الأبيض هو سلاح القتال وجهاً لوجه ، ولا يستخدم إلا وقت الالتحام وتداخل القوات ، فعندما يتم التلاحم يوقف الرمي ويلجأ إلى السلاح الأبيض)^(١) .

هذا وقد بنى المسلمون مقراً لقيادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وكانت عريشاً ، وكان يخرج منها ليسوي الصفوف ويعدلها ، ويحرض على القتال ، ويختار من يبارز صناديد المشركين ، ولما اشتدت المعركة نزل يقودها بنفسه ورمى المشركين بالحصباء فنزلت في عيونهم فانشغلوا بها عن القتال فهزموا وفي ذلك قال تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم)^(٢) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لما كان يوم بدر وحضر الناس أمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان منا أحد أقرب إلى المشركين منه ، وكان أشد الناس بأساً)^(٣) .

وفي غزوة الأحزاب جاءت المعلومات لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مفصلة عن المشركين قيادة وقاعدة وأن عددهم أضعاف عدد المسلمين ، فجمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المهاجرين والأنصار ، وأخبرهم بمسير الأحزاب ، وتداول معهم الأمر ، فكان أمامه موقفان : إما أن يخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين خارج المدينة لقتال الأحزاب ، وإما يتحصن في المدينة ، ويتبع أسلوب القتال الدفاعي .

ولقد اختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الموقف الثاني ، ذلك لأن قوة الأحزاب

(١) العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول ص ٢٧٦ .

(٢) الآية ١٧ من سورة الأنفال .

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣/٢ وإمتاع الاسماع ٨٥/١ .

ضخمة ، وعددهم أضعاف عدد المسلمين ، وعدتهم كذلك فكفتهم راجحة في هذا الشأن ، ولا بد أن يعرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا بأن يختار موقعاً حصيناً يأوي إليه ويقا تل منه ، ومن المعلوم عسكرياً أن موقف المدافع المتحصن أقوى من موقف المقاتل المهاجم ، لأن الثاني مكشوف للأول ، سهل الإصابة ، بخلاف المتحصن فإنه غير مكشوف ، من العسير إصابته والقضاء عليه خاصة إذا كان ذا روح معنوية عالية وذا عقيدة قتالية واضحة قوية .

وحين استقر الرأي على عدم المصادمة الخارجية والتحصن بالمدينة أشار سلمان الفارسي بحفر الخندق في الجهة المكشوفة من المدينة ، ليحول بين العدو وبين المدينة .

والذي يزور المدينة يلاحظ أنها محاطة بالجمال الوعرة الشاهقة والمساكن المتلاحقة التي تشكل بمجموعها حصناً منيعاً ، يصعب الدخول منه من ثلاث جهات ، وهناك الجهة الشمالية مكشوفة ، فيتوقع الهجوم على المدينة منها ، فينبغي أن تحصن هذه الجهة ^(١) .

لقد كان من خطة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يعسكر أمام جبل سلع ليحمي ظهره ، ويحفر الخندق أمامه ليصد هجمات الأحزاب ^(٢) .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون معه يخشون على النساء والصبيان من يهود المدينة ، فكان من خطته وضعهم في أماكن آمنة .

وكان من خطته أيضاً تشكيل حرس لحراسة المدينة ، فقد خصص (صلى الله عليه وسلم) فرقة لحراسة المدينة مكونة من ثلاثمائة مقاتل ، ثم شكل فرقة أخرى مكونة من مائتي مقاتل وظل المسلمون يحرسون الخندق لا تغفل أعينهم عنه لحظة واحدة ، وحاولت مجموعة من فرسان المشركين أن تقتحم الخندق من نقطة ضيقة فيه معهم عمرو بن عبدود العامري وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن وهب المخزومي ، فتصدى لها المسلمون على الفور ، فبرز الزبير بن العوام إلى نوفل بن عبيد الله بن المغيرة المخزومي فضربه بالسيف فشقه شقين ، وقطع سرجه حتى خلص إلى كاهل الفرس ، وبرز علي بن أبي طالب لعمر بن عبدود العامري فقتله ، أما عكرمة بن أبي

(١) انظر غزوة الأحزاب للدكتور محمد أبو فارس ص ٩٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ .

جهل فولى هارباً وخلف رمحه وراءه ^(١) .

وفي غزوة أحد قرر الرسول (صلى الله عليه وسلم) نزولاً عند رأي الأغلبية أن يخرج لملاقاة جيش المشركين ، وقد جاءت التقارير أن المشركين قد وصلوا بالقرب من المدينة ، وأنهم قد خلوا إبلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه قاعاً بلقماً ^(٢) .

وكانت خطة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إزاء ذلك إعلان حالة الطوارئ العامة ، وتجهز الجميع للقتال ، وأن يمضوا ليلتهم في حفر شديد ، كل يصحب سلاحه ، ولا يفارقه حتى في نومه ، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحراسة المدينة ، واختار هو بنفسه خمسين من أشداء المسلمين ومحاربيهم بقيادة محمد بن مسلمة ، رضي الله عنه ^(٣) .

والاهتمام بالحراسة من الأمور الهامة التي تعني بها الجيوش العصرية اليوم ، وهو ما يسمى في العصر الحديث باصطلاح العسكريين بالأمن العسكري ، فكل مقاتل بحاجة إلى النوم والراحة ، وهذا يتسنى له إذا توفر الأمن له بالحراسة الشديدة التي يطمئن إليها .

وقبل الخروج عباً رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحابه ، فخطب فيهم يحرضهم على القتال وحضهم على الثبات والصبر ، ويشرهم بالنصر إن هم صبروا واثقوا ويأمرهم بالطاعة ، وقد ذكر في خطبته (صلى الله عليه وسلم) : أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته ، والتناهي عن محارمه ، عليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو ، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا ^(٤) .

وبقية عناصر الخطة كانت على النحو التالي :

١- وقت السير والحركة : لقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم وقتاً لتحرك الجيش

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٢٤/٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ١١٥/٢ والسيرة الحلبية ٦٤٤ - ٦٤٢/٢ .
والكامل في التاريخ ١٨١/٢ وعيون الأثر ٦١/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧/٢ .

(٣) غزوة أحد للدكتور محمد أبو فارس ص ٣٤-٣٥ .

(٤) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢٥/٣ وإمتاع الأسماع ١٢١/١ .

الإسلامي يصعب على العدو أن يكشفه في سيره ، فقد أمر الجيش بالسير بعد منتصف الليل ، ووصل قبل بزوغ نور الفجر ، ثم أمر بالأذان فأذن ، وصلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمسلمين .

٢- طريق الوصول إلى أرض المعركة : لقد خطط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن تكون طريقه بين البساتين ، حيث يختفي الأفراد بين الأشجار وفي ظلها في الليل فيما لو كانت الليلة مقمرة ، ويخف الصوت والجلبة وفي نفس الوقت لا يمر أمام المشركين ، حتى لا يقدروا عدد المسلمين ، ويرسموا خططهم بناء على ذلك ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من يخرج بنا على القوم من كتيب - أي من طريق قريب - لا يمر بنا عليهم) فقال أبو خيثمة أنا يا رسول الله ، وسار بالجيش حتى وصل إلى المكان دون أن يشعر به أحد أو يتعرض له أحد ^(١) .

٣- موقع المعركة : لقد اختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معسكره في الوادي قريباً من قريش ، وجعل ظهر الجيش الإسلامي إلى جبل أحد ، ووضع على الجبل خمسين رامياً بقيادة عبدالله بن جبير ليحموا ظهور المسلمين من حركة التفاف متوقعة من المشركين وخاصة من سلاح الفرسان .

حملة الرايات : وكانت خطته في هذه الغزوة أن يختار ثلاث رايات ، راية للأوس وراية للخزرج وراية للمهاجرين ، فأعطى راية الخزرج للحباب بن المنذر رضي الله عنه ، وراية الأوس أعطاها (صلى الله عليه وسلم) إلى أسيد بن حضير رضي الله عنه ، وأعطى لواء المهاجرين إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه .

٤- التعليمات والأوامر العسكرية : لقد وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوامره الصارمة المحددة لجميع المقاتلين قائلاً : (لا تبرحوا حتى أؤذنكم ، لا يقاتلن أحد حتى أمره بالقتال) ^(٢) .

وقال لأمير الرماة : (انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتوننا من خلفنا ، واثبت مكانك إذا كانت لنا أو

(١) السيرة الحلبية ٤٩٥/٢ .

(٢) السيرة الحلبية ٤٩٦/٢ .

علينا^(١) .

وقال للرماة^(٢) : (إن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ، ولا تدفعوا عنا ، وارشقوهم بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إننا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم ، اللهم إني أشهدك عليهم) .

وفي رواية : (إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا) .

٥ - الشعار في المعركة : لقد اختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شعاراً للمسلمين في هذه المعركة هو : أمت أمت^(٣) .

وهذا الشعار يحقق أكثر من فائدة : فهو يزيد المسلمين قوة نفسية هائلة ، ويذكى الروح المعنوية في القتال ، وهو تفاؤل بقتل أعدائهم وانتصارهم عليهم ، وفي نفس الوقت فهو إرهاب للمقاتلين من المشركين ، فإن المشرك حين يسمع المسلم يقول لأخيه وقد أقبل عليه : أمت أمت ، أي : أقتل أقتل ، تطير نفسه شبعاعاً من أصحاب الشعار .

وإن الشعار بحد ذاته بمثابة كلمة سر للمعركة العسكرية عند العسكريين بها يتعارف المقاتلون ويتميز المؤمنون من الكافرين .

وفي غزوة خيبر تؤكد المعلومات أن فلول اليهود من المدينة وخاصة يهود بني النضير قد جاءت إلى خيبر ، على أمل أن تعد العدة وتهاجم المدينة وتقضي على الدولة الإسلامية بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ومن ثم يعود الحكم والهيمنة إلى هؤلاء اليهود ، وقد حاول زعماء بني النضير وعلى رأسهم حيي بن أخطب ذلك ، فأقنع القبائل العربية وبني قريظة بضرورة قتال المسلمين واستئصال شأفتهم ، وكونوا جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل في غزوة

(١) المرجع السابق .

(٢) أنظر فتح الباري ٣٥٣/٨ والفتح الرباني ٥٢/٢١-٥٣ والتاج الجامع للأصول ٤/ ٤١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٢٩/٣ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٠٦/٨ والسيرة الحلبية ٤٩٦/٢ .

(٣) غزوة أحد للدكتور محمد أبو فارس ص ٦٢ .

الأحزاب ، ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً ، وعادوا يجرون أذيال الهزيمة .

ولكن يهود بني النضير ويهود خيبر لم يتوقفوا عن المكر والتدبير لتقويض بنيان الدولة الإسلامية في المدينة ، وأخذوا يعدون الأسلحة ، ويحوزون الأسلحة الهجومية كالمنجنيق ، والمنجنيق كما هو معلوم ليس للقتال الدفاعي وإنما هو لمهاجمة المدن وتدميرها .

لقد أكدت المعلومات أن وجود اليهود في خيبر يهدد أمن الدولة الإسلامية في المدينة فكان القرار العسكري النبوي القضاء على يهود خيبر وكانت الخطة على النحو التالي :

الهدف : مهاجمة خيبر واحتلالها ، وتوزيع أموالها على المسلمين .

القوة المناسبة : لا بد من إعداد قوة مناسبة لتحقيق ذلك فكانت هذه القوة أهل بيعة الرضوان الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أنتم خير أهل الأرض ، وكانوا ألفاً وستمائة مقاتل منهم مائتا فارس ، وقد بشرهم الله بفتح خيبر على أيديهم .

الوقت المناسب : كان بعد القضاء على اليهود في المدينة وبعد توحيد قريش قلعة الشرك في العام السابع من الهجرة أي بعد غزوة الحديبية التي انتهت بهدنة بين قريش والمسلمين .

قطع الإمدادات المتوقعة : لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدرك الصلة الوثيقة بين يهود خيبر وغطفان ، وأن غطفان حليف عسكري لليهود ، ولا تدع يهود خيبر يتعرضون للهجوم ، بل تتدخل فتمدهم بقوة هائلة من المقاتلين ، ولذلك كانت الخطة النبوية أن يعزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غطفان عن خيبر وأن يمنع أي مدد ومساعدة من غطفان إلى يهود خيبر ، فاتخذ تدبيرين . لقد أرسلت غطفان أربعة آلاف مقاتل بقيادة عيينة بن حصن إلى يهود خيبر وساروا في الطريق إلى خيبر ، فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى ديار غطفان مفرزة من أصحابه لمباغته ديار غطفان ، بعد أن تركتها قوات غطفان الضاربة لمعاونة اليهود ، ونجحت هذه المفرزة في إلقاء الرعب في ديار غطفان ، مما اضطر هذه القبيلة إلى الإسراع بالعودة إلى ديارها لحمايتها من تهديد المسلمين ، وتركت يهوداً وحدهم أمام المسلمين

وهكذا نجحت خطة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في عزل يهود عن غطفان حلفائهم^(١).

ولكن ينبغي أن يكون القائد المحنك حذراً من أن تعود غطفان إلى مد يهود خيبر وخاصة عند حصار المسلمين لخيبر ومهاجمتها ، وذلك بفك الحصار عن حلفائها .

ولهذا كان من خطة (صلى الله عليه وسلم) أن ينزل الجيش قبل ساعة الصفر بوادي الرجيع ، وهو يقع بين خيبر وغطفان ، حتى يقطعوا المدد عن يهود خيبر من قبيلة غطفان .

سلوك الطريق الآمن : ولقد سلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طريقاً آمناً من المدينة إلى خيبر إذ لم يشعر به أحد ، ولم تتسرب أخبار هذه الطريق التي سلكها إلى أحد من يهود خيبر ولا من حلفائها غطفان .

ومحافظة على أمن الجيش الإسلامي كانت خطة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقضي بوضع فرقة استطلاعية عسكرية مقدمة للجيش ترصد جواسيس الاعداء وحركاتهم ، كما تبحث عن كمائن للعدو فيخبروا عنها. وفي هذه الغزوة استطاع قائد السرية العسكرية الاستطلاعية أن يقبض على جاسوس ليهود خيبر من قبيلة أشجع . وأن يستفيد منه حقيقة الموقف العسكري والمعنوي ليهود خيبر وحفاظاً على سرية التحرك واختفاء هذه الحركة للجيش عن يهود خيبر كانت خطة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يسير الجيش ليلاً وأن يكمن في النهار ، وظل كذلك حتى نزل مشارف خيبر ، فنام تلك الليلة وقام الجيش قبل الفجر فاستعدوا للصلاة فصلوا وقد اقتربت ساعة الصفر .

ساعة الصفر : وقد كانت خطة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يهاجم يهود خيبر ويفاجئهم بالضربة وقد خرجوا من حصونهم فيلقي الرعب في قلوبهم ويحطم معنوياتهم والروح العسكرية عندهم بعد أن يولوا مدبرين لا يقفون في وجه جيش الإسلام..

(١) الرسول القائد ص ٢٩٤ وانظر خاتم النبیین ١٠٤٢/٢ - ١٠٤٣ .

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أتى خيبر ليلاً ، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح ، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاثلهم ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين^(١) .

وفي رواية أخرى للبخاري عن أنس : صبحنا خيبر بكرة ، فخرج أهلها بالمساحي فلما أبصرو النبي قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ، فقال النبي : الله أكبر ، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين^(٢) .

مقر القيادة : واتخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مقر قيادة العمليات العسكرية بعد مشاورة أهل الخبرة والاختصاص من أصحابه بعيداً عن مرمى سهام الأعداء ، فلا تصله سهامهم ، وكان المسلمون ينطلقون من المعسكر مزودين بأوامر القيادة العسكرية النبوية وتوجيهاتها ثم يعودون إلى المعسكر يصلون وينامون الليل ، ثم ينطلقون للقتال منه ، ويرسل إليه من جرح لاسعافه .

فرق الاسعاف : ومن البدهي أن أي معركة من المعارك يتوقع أن يقع فيها شهداء وجرحى والمعركة مع يهود خيبر في حصونهم ومع قاداتهم وأبطالهم من الشيء الطبيعي أن يسقط فيها شهداء وجرحى ، فلا بد أن يعد للأمر عده قبل وقوعه حتى إذا وقع كان العلاج جاهزاً .

إن كتب السيرة تذكر لنا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد اصطحب معه عشرين امرأة من نساء المسلمين إلى خيبر ، يسقين المقاتلين ، ويسعفن الجرحى ويخدم المقاتلين وكانت أم سلمة رضي الله عنها قد خرجت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذه الغزوة ، كما خرجت معه في غزوة الحديبية التي كانت فتحاً مبيناً أنتجت فتح خيبر الذي سماه القرآن الكريم

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ٤٦٧/٧ رقم الحديث ٤١٩٧ .

(٢) المرجع السابق ٤٦٧/٤ رقم الحديث ٤١٩٨ .

والمساحي : جمع مسحاة وهي المجرفة من الحديد . والمكاثل : جمع مكثل وهو المقطف الكبير .

: « الفتح القريب » .

ولقد قامت المرأة المسلمة في هذه الغزوة بواجبها نحو الجيش خير قيام ^(١) .

مناطق العمليات العسكرية ^(٢)

لقد كانت خطة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يجري القتال في ثلاث مناطق عسكرية وأن يبدأ بأقواها وأحصنها ، وهذه المناطق عبارة عن حصون على النحو التالي :

المنطقة العسكرية الأولى : منطقة النطا

المنطقة العسكرية الثانية : منطقة الشق .

المنطقة العسكرية الثالثة : منطقة الكتبية

وهذه المناطق كل منطقة مكونة من عدة حصون يجري القتال فيها بالترتيب على النحو التالي :

فمنطقة النطا تتكون من حصون عديدة أهمها ثلاثة حصون هي :

حصن ناعم

حصن الصعب بن معاذ

حصن قلعة الزبير

ومنطقة الشق أهم حصونها حصنان هما :

حصن أبي

حصن النزار أو البزاة والبري

ومنطقة الكتبية أهم حصونها ثلاثة حصون وهي :

(١) الصراع مع اليهود للدكتور محمد أبو فارس ٤٦/٣ - ٤٧ .

(٢) انظر الفتح الرباني ١١٨/٢١ - ١٢١ وصحيح البخاري ٤٧٦/٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٢١٦/٣ - ٢١٩ وإمتاع الأسماع ٣١٣/١ وجوامع السيرة ١١٢ وبهجة الأمثال وشرحها ٣٤٨/١ والسنن الكبرى ١٣١/٩ - ١٣٢ وعون الباري ٣٩٥/٤ - ٣٩٦ والمغازي للواقدي ٦٤٥/٢ - ٦٦٦ .

حصن القموص

حصن الوطيح

حصن السلالم

وكان القتال شرساً والمقاومة شديدة وخاصة في المنطقة العسكرية الأولى وبالذات في فتح حصن ناعم ، وعلى الرغم من هذا فتح المسلمون الحصن فهرب الناجون إلى الحصون الأخرى، وأخذ يطاردهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حصن إلى حصن ، حتى فتح جميع الحصون .

محصلة العمليات العسكرية بموجب الخطة النبوية :

لقد حققت الخطة النبوية العسكرية من خلال العمليات العسكرية التي قام بها الجيش الإسلامي بقيادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحملة الرايات والألوية، وسائر الجنود، النتائج التالية:

١- احتلال حصون خيبر ونخيلها والاستيلاء على ما فيها .

٢- ملك أرض خيبر ونخيلها .

٣- غنم الغزاة الأموال المنقولة ووزعت بينهم بعد أن خمست .

٤- سبي بعض نساء خيبر وذريتهم .

٥- قتل المسلمون ثلاثة وتسعين رجلاً من أهل خيبر .

٦- خسارة المؤمنين في القتلى : تتراوح بين خمسة عشر شهيداً وواحد وعشرين شهيداً .

الإعداد للقتال

الإعداد للقتال^(١)

إن الإعداد والاستعداد في العلوم العسكرية مرحلة في غاية الأهمية بالنسبة للأمة ، وهي تسبق مرحلة القتال الحاسم ، ولها أثر فعال على نتيجة القتال ومصير المقاتلين ، وإن مدى التهيؤ والاستعداد في هذه المرحلة يحكم بقرب النصر وبعده .

فالأمة التي تستغل كل فرصة في حياتها فتعد وتستعد وتبذل قصارى جهودها في الإعداد والاستعداد للتصدي لأعدائها ينبغي أن تتفائل بالنجاح والنصر لأنها أخذت بالأسباب الموصلة إليه ، والأمة التي يصيبها الجبوت والكسل ، وترهل فلا تعد ولا تستعد الاستعداد الكافي لنزال أعدائها ، وتتوانى عن حشد كل طاقاتها وقدراتها لا تلومن إلا نفسها إذا منيت بالهزائم الساحقة ، والنكبات الماحقة ، وأصبحت نهياً لكل طامع ، وهدفاً لكل غاز ، فاستبيحت أراضيها ودنست مقدساتها ، وامتهنت كرامتها ، وصودرت حررتها ، وقتلت شخصيتها ، وخيم عليها هذا البلاء الذي لا يرفع إلا إذا فاءت إلى رشدتها فأعدت واستعدت لغسل العار .

إن الله تبارك وتعالى أوجب على المؤمنين أن يقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة ، وهذا الواجب يستوجب الإعداد التام ، والتهيؤ الشامل للقتال قبل وقوعه .

ومن هذا المنطلق فإن المدرسة النبوية العسكرية تعتمد الإعداد العام الشامل لجميع المكلفين من أفراد هذه الأمة ، فقد أمر الله تبارك وتعالى المسلمين وفي مقدمتهم قائدهم ورائدهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يعدوا أنفسهم للجهاد ، وإن يكونوا على أهبة الاستعداد للتصدي لكل عدو يتربص بهم ، أو يضمّر لهم شراً ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

(١) انظر تفسير سورة الانفال للدكتور محمد أبو فارس ص ١٢٤ - ١٣٢ .

وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون .

إن هذه الآية الكريمة تعرض بوضوح لا لبس فيه ولا غموض النظرية الإسلامية في الإعداد العسكري ، وإننا لو تأملناها بتدبر نستخلص منها الأمور التالية وهي بمثابة نظرية متكاملة في الإعداد العسكري :

١- الإعداد والاستعداد للقتال واجب في هذا الدين ، فهو من الجهاد وبعبارة أدق هو جهاد ، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة ، لا يبطله جور جائر ، ومن هنا يحرم على الأمة الإسلامية أن تتوقف عن الإستعداد والإعداد والذي دلنا على الوجوب قوله تعالى يخاطب المؤمنين : ﴿وَأَعِدُوا﴾ ، وأعدوا : فعل أمر والأمر يقتضي الوجوب ما لم ترد قرينة تصرفه من الوجوب إلى غيره ، ولا قرينة ، بل النصوص الأخرى تؤكد الوجوب .

٢- إن الإعداد الذي يؤثر على العدو تأثيراً قوياً هو الإعداد الجماعي ، إذ لا بد من تضافر الجهود وحشد الطاقات والكفاءات لمواجهة هذا العدو ودحره ، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى : (وَأَعِدُوا) فالخطاب موجه للجماعة ، ولهذا هو من فروض الكفاية ، تشرف الدولة عليه ، وتوفره ، وإن أي نوع من الإعداد إذا حصر في فرد من الأفراد أصبح فرض عين ، يجب على الجماعة أن تلتزم به ، وأن تؤدبه إن أبى وإلا فهي آثمة ومفرطة بحق الأمة .

٣- ينبغي أن يوجه الإعداد ، ويسدد السلاح إلى صدور الأعداء ، للتنكيل بهم ، لا أن يوجه السلاح ويخزن لإذلال الشعوب وقهرها وكنم أنفاسها ، يدل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ﴾ .

إن مما يؤسف له أن نرى في بعض البلاد أن الرصاص والقنابل والصواريخ توجه إلى صدور الأمنين ، وصدور الأعداء لا ترمى إلا بالورود والزهور والعطور .

٤- الإعداد ليس محصوراً في صورة واحدة ، بل له صور كثيرة متعددة ، إنه يستوعب كل صور الإعداد المادية والمعنوية والفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها . فكلمة (ما) اسم موصول ، والاسم الموصول من ألفاظ العموم والصيغة من صيغ العموم فهي تستوعب كل صور

الإعداد المعروفة في الماضي والحاضر ، والمجهولة في المستقبل .

٥- يجب بذل أقصى ما في الوسع واستفراغ الجهد الذي تقدر عليه الجماعة في الحصول على جميع أسباب القوة وأنواعها ، ابتداء بالكلمة القوية وانتهاء بالطائرة والصاروخ وغير ذلك من الوسائل المستجدة .

فكلمة (قوة) منكرة وهي من الألفاظ المطلقة ، لم تقيد بوصف من الأوصاف فبقيت على إطلاقها لتشمل جميع أنواع القوة التي يمكن الحصول عليها .

٦- لقد خصت الآية الكريمة رباط الخيل مع أنه صورة من صور القوة ونوع من أنواعها المطلوب إعدادها والحصول عليها ، اهتماماً برباط الخيل ، لأنه أقوى سلاح في ذلك الوقت تحمى به الثغور .

والخيل وسيلة الإغارة على العدو لسرعتها وطاعتها واستجابتها للفراس قال تعالى (والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً) ^(١) .

ويؤخذ من هذا وجوب الاهتمام بكل وسائل الإغارة كالتائرات على اختلاف أنواعها ، والصواريخ العابرة للقارات ، وما إلى ذلك مما يخترعه الإنسان في المستقبل .

ومما يجدر ذكره أن الخيل كانت وسيلة سريعة لنقل البريد والأخبار من الثغور إلى العواصم ومن أجل هذا عظم الشارع أمر الخيل ، وأمر بإكرامها ، ولا يزال للفرسان نصيب كبير في الحرب في هذا العصر الذي ارتقت فيه الفنون العسكرية في الدول الحربية ، إذ تصل الخيل إلى ما لا تصل إليه كثير من الوسائل الحديثة ^(٢) .

٧- لقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد فسر القوة بالرمي فقال : « ألا إن القوة الرمي » ^(٣) وإذا كان الرمي في عهده (صلى الله عليه وسلم)

(١) الآيات ١-٥ من سورة العاديات .

(٢) تفسير المراغي ٢٥/١٠ .

(٣) مختصر صحيح مسلم للمنذري ٥٢/٢ رقم الحديث ١١٠٢ .

يتمثل في السهام والنبال ، ورميها فليس المقصود حصر القوة في الرمي ، وإنما ذكر ذلك على سبيل الاهتمام ، كقوله (صلى الله عليه وسلم) : « الحج عرفة » ^(١) أي أهم أفعال الحج عرفة . وليس المقصود أن من وقف بعرفة ولم يؤد سائر المناسك فحجه صحيح لا غبار عليه .

وعلى أي حال فكلمة الرمي تشمل كل رمي من سهم أو رصاصة أو قذيفة أو قنبلة عادية أو هيدروجينية أو ذرية أو عنقودية أو جرثومية أو غير ذلك .

ومما يجدر ذكره أن النبي (صلى الله عليه وسلم) يتقن الرمي ، ويشجع على الرمي فقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بإسناده عن سلمة بن الأكوع قال : « مر النبي (صلى الله عليه وسلم) على نفر من أسلم ينتضلون بالسهام ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : « أرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، وأنا مع بني فلان » ، قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « ما لكم لا ترمون ؟ » قالوا : وكيف نرمي وأنت معهم ! فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « ارموا وأنا معكم كلكم » ^(٢) .

وزاد الحاكم في روايته : فلقد رموا عامة يومهم ذلك ، ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضاً ^(٣) .

٨ - إن الإسلام يحرص أن يكون المسلمون أقوياء حتى يحافظوا على حقوقهم ، ولا يطمع فيهم عدو من أعدائهم ، لأن الضعيف يطمع فيه ، لانعدام قوة تحميه فتضيع حقوقه ، أو تكون مهددة بالضياح في أي وقت ، ورحم الله القائل : القوة أضمن طريق لإحقاق الحق ، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنباً إلى جنب ، فالحق كما علمت بدون قوة تحميه ضائع ، والقوة بلا حق ظلم وعدوان ، والإسلام حرم الظلم والتفريط بالحقوق .

وخير وسيلة تحرص عليها الدول للمحافظة على أمنها وعلى حدودها وعلى مصالحها أن تكون قوية مرهوبة الجانب ، فلا يجرؤ أحد على النيل منها أو الاعتداء عليها ، لوجود قوة

(١) قال في الجامع الصغير ٢٥٨/١ : رواه الإمام أحمد والأربعة والبيهقي عن عبدالرحمن بن يعمر وهو صحيح .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٨٦١/٢ ؛ والجامع لأحكام القرآن القرطبي ٣٦/٨ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٨٦١/٢ .

زاجرة تروعه وتصده وتزجره .

بل إن المحافظة على الأمن والسلام والحياد لا تكون إلا بالقوة ، والمسالمة الضعيف لا وزن له ، والحايد لا وزن لحياده إن لم يكون قوياً .

إن الواقع الدولي اليوم يؤكد صدق النظرة القائلة إن خير وسيلة للمحافظة على السلام أن تكون قوياً .

٩- إن قوة المسلمين سبب في إراهاب الأعداء الباطنيين كالمنافقين والأحزاب السرية ، والحركات التي تعمل في الخفاء لتقويض أركان الدولة .

إن المنافق يتظاهر بالإسلام ، وحب أهله ، ويبطن الكفر والحقده على أهل الإسلام حينما يكون المسلمون أقوياء ، تجنباً لبطش المسلمين . أما حين تضعف الدولة فإن أعداءها السريين الذين لا يعرفهم كثير من المسلمين سرعان ما يظهر على الساحة ويزداد نشاطهم وتحديهم وتمردهم في النهاية .

والمتبع لأحداث التاريخ والمستقرئ لها يجد أن الحركات السرية والحركات الهدامة لا تنشط إلا حين يضعف المسلمون .

لقد نشط النصارى أيام الغزو التتري نشاطاً ظاهراً ، وآذوا المسلمين فيه إيذاءً شديداً ، يخبرك عن هذا ابن تغري بردي الأتابكي في كتابه النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة فيقول : (وكان النصارى بدمشق قد شمعوا وتجروا على المسلمين ، واستطالوا بتردد التار إلى كنائسهم . وذهب بعضهم إلى هولاكو ، وجاءوا من عنده بفرمان يتضمن الوصية بهم والاعتناء بأمرهم ، ودخلوا بالفرمان من باب توما وصلبانهم مرتفعة ، وهم ينادون بارتفاع دينهم واتضاع دين المسلمين ، ويرشون الخمر على الناس وفي أبواب المساجد ، فحصل عند المسلمين من ذلك هم عظيم ... وكانت النصارى في تلك الأيام ألزموا المسلمين بالقيام في دكاكينهم للصليب ومن لم يقم أحرقوا به وأهانوه)^(١) .

(١) النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة ٧/ ٨٠ - ٨١ .

١٠ - والقوة ضرورية لحماية الدعوة إلى الله ، وتمكينهم من تبليغ الدعوة الإسلامية بحرية وتوفير الحرية للناس حتى يختاروا دينهم وعقيدتهم بحرية ، لا يقعون تحت طائلة الإكراه ، ولا يرهبون ، ولا يحاطون بجو يشيع فيه الإرهاب الفكري المبني على الإرهاب العسكري والتنكيل والتعذيب .

هذه القوة تحطم هذا الإرهاب ، تقضي على الأنظمة الإرهابية وتزيلها من الوجود لتوفر للناس الحياة الحرة الكريمة .

١١ - إن الإنفاق المالي على المجاهدين والتسليح جهاد ، ولهذا حث الإسلام عليه وذكره في آية الإعداد ، وجعل للبازل المال في سبيل ذلك من الفضل والمثوبة ما للمجاهد الغازي . فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا » ^(١) .

والذي ينفق على أسرة الغازي له ثواب من يغزو . قال (صلى الله عليه وسلم) : « ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا » ^(٢) .

وتعلم صناعة الأسلحة وصناعتها جهاد فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : « إن الله يدخل ثلاثة نفر الجنة بسهم واحد ، صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي ومنبله » ^(٣) .

ولإطعام المجاهدين وخدمتهم جهاد .

وكل بذل لأي غرض من أغراض الجهاد جهاد .

قال تعالى : ﴿ وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ .

قال المراغي في تفسيره : (وفي هذا إيماء إلى أن إعداد المستطاع من القوة الحربية والمرابطة في سبيل الله لا يمكن تحقيقها إلا بالإنفاق الكثير من المال ، ومن ثم رغب سبحانه عباده

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم الحديث ١٠٩٢ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم الحديث ١٠٩٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٦/٨ .

المؤمنين في الإنفاق في سبيله ، ووعدهم بأن كل ما ينفقون يوف إليهم ^(١) .

١٢- ليس هناك حد أدنى ولا حد أعلى في الإنفاق على الجهاد والمجاهدين ، وكل مسلم فقير أو غني يمكنه أن يتبرع بما يقدر عليه ، وهو مأجور على ذلك ، سواء كان المال الذي بذله قليلاً أو كثيراً ، إذا كان ذلك مشفوفاً بالإخلاص ، بعيداً عن الرباء وطلب الجاه والسمعة .

كما يستطيع الموسر أن يقدم الأموال الطائلة ، ولو استوعبت كل ماله فهو ممدوح على ذلك ، ولا يدخل هذا التصرف في الإسراف ، فإنه لا إسراف في الخير ، إنما الإسراف هو تبذير الأموال على المتع الشخصية .

أخذ هذا من قوله تعالى : ﴿ وما تنفقوا من شيء ﴾ فشيء لفظ مطلق ينضوي تحته الأموال القليلة والأموال الكثيرة .

١٣- الغاية من الإنفاق في الجهاد وغيره هي رضوان الله ونصرة دينه وإعلاء كلمته ، ليس للمنفق أن يتخذ غاية تتعارض مع هذه الغاية ، فلا يتبع ما أنفق مناً ولا أذى ولا فخراً ومفاخرة على الأقران .

وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة في سبيله ، من كل غاية أرضية ومن كل دافع شخصي ، ومن كل شعور قومي أو طبقي ، ليتمحض خالصاً لله « في سبيل الله » لتحقيق كلمة الله ابتغاء مرضاة الله .

ومن ثم ينفي الإسلام من حسابه - منذ الوهلة الأولى - كل حرب تقوم على أمجاد الأشخاص والدول . وكل حرب تقوم للإستغلال وفتح الأسواق . وكل حرب تقوم للقهر والإذلال . وكل حرب تقوم لتسويد وطن على وطن ، أو قوم على قوم ، أو جنس على جنس ، أو طبقة على طبقة ... ويستبقى نوعاً واحداً من الحركة ... حركة الجهاد في سبيل الله والله سبحانه لا يريد تسويد جنس على جنس ولا وطن ولا قوم ولا طبقة ولا فرد ولا شعب . إنما يريد أن تسود ألوهيته وسلطانه وحاكميته ، وهو غني عن العالمين . ولكن سيادة ألوهيته هي وحدها

(١) تفسير المراغي ٢٦/١٠ .

التي تكفل الخير والحرية والكرامة للعاملين) ^(١) .

١٤- فائدة الإنفاق : إن الإنفاق في الجهاد يعود على أصحابه بالنفع في الدارين الدنيا والآخرة . أما النفع الذي يعود على صاحبه في الدنيا فتعويض الله عليه ما أنفق وزيادة . فالإنفاق سبب للنصر ، والنصر يترتب عليه غنيمة ويستتبع ذلك الخراج والجزية والعطاء الذي يعود منه شيء على المنفق بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، بالاستفادة من المؤسسات العامة والخدمات العامة التي تبذلها الدولة . والنفع يكون بالمحافظة على ماله من الأعداء ، فحين يتوقف عن البذل يضعف المجاهدون وفي النهاية تكون الهزيمة ، وتنتهي إلى أمواله والإستيلاء عليها : فإنفاقه في الجهاد كان سبباً في المحافظة على ماله ونمائه بعد بقاءه . كثير من أغنياء المسلمين كان يدعى إلى البذل والتبرع ببعض ماله للحركات الجهادية ، التي تدافع عنه وعن عرضه فكان الشح يحول بينه وبين ذلك ، فماذا كانت النتيجة ، لقد احتل الأعداء الديار ، واستولوا على أمواله كلها ، وطرده من عقاراته ، وعاش طريداً شريداً بعيداً عن دياره وأمواله .

إن هذا الذي بلغ به الشح هذا المبلغ أليس الأفضل له أن يبذل بعض ماله أو قليلاً من ماله ليسلم له ماله كله . ويعيش عزيزاً في دياره ووطنه .

والنفع يعود على المنفق بمباركة الله عز وجل في هذا المال ، إذا الصدقة العادية - فكيف الصدقة في الجهاد - لا تنقص المال بل تباركه وتنمي . على هذا أقسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأخبر « ما نقص مال من صدقة » ^(٢) .

وأما النفع في الآخرة فيثيبه الرب (تبارك وتعالى) على ما أنفق في الجهاد بثواب المجاهدين ، وينزله منزلة المجاهدين ، ويضاعف ثوابه مئات الأضعاف فقد روى أبو داود في سننه عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قوله : « إن الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله سبعمائة ضعف » ^(٣) .

هذا ونجد من المفيد والمجدي أن نشير إلى أن التدريب بكافة صوره يدخل ضمن الإعداد

(١) في ظلال القرآن ١٠/١٥٤٤ - ١٥٤٥ .

(٢) الذي في مختصر صحيح مسلم للمندري رقم ١٧٩٠ نصه : ما نقصت صدقة من مال .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٣٤٠ .

والإستعداد ، وما معظم السرايا التي أرسلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخاصة قبل غزوة بدر الكبرى إلا للتدريب على القتال وفنونه .

لقد كانت السرايا التي أرسلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل غزوة بدر الكبرى مقتصرة على المهاجرين قيادة وجنداً كما ذكر أكثر من واحد من كتاب السير^(١) ، ويتضح هذا إذا استعرضنا أسماء الذين قادوا هذه السرايا وشاركوا فيها . وقد كانت هذه السرايا قد حققت أهدافاً منها :

١- تجرأ المستضعفون من المهاجرين على الذين استكبروا من طواغيت مكة فما عاد لهم وزن في نفوسهم .

٢- تعرف المهاجرين على طبيعة الأرض التي سيقاتلون عليها : لقد كان حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) أن تكون السرايا والمناوشات الأولى مقصورة على المهاجرين دون الأنصار يهدف أن يتعرف المهاجرون على طبيعة الأرض الجديدة التي سيقاتلون عليها ، فلا بد والحالة هذه أن يجوبوا المنطقة بدقة ، ويعرفوها شبراً شبراً ، وأن يتعرفوا على تضاريسها بسهولها وجبالها وتلالها وعيونها ومياهها ووديانها وطرقها ، حتى يتمكنوا من التحرك عليها بسهولة ويسر ويقدرُوا على القتال عليها ، ويتسنى لهم رسم خططهم الهجومية والدفاعية .

إن هذه الأرض ستكون فيما بعد مسرحاً للمعارك بين المسلمين والمشركين فلا بد من دراستها دراسة ميدانية والتعرف على أهلها ومدى إمكانية الإستفادة منهم .

٣- استمرار التدريب العملي :

إننا نعلم أن المهاجرين كانوا مستضعفين في مكة وكانوا منشغلين في الدعوة إلى الله ، وكان القتال محرماً عليهم وظل كذلك حتى أذن الله لرسول (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة وأمر المسلمين القادرين عليها بها ، وفرض القتال بعد ذلك . لعل هذه الفترة التي انشغل المسلمون بها في الدعوة وعن فنون القتال أحدثت إنقطاعاً في التدريب الجاد ، ومن ثم فلا بد من استئناف هذا التدريب وتصعيده واستمراره في

(١) قال ابن سعد في الطبقات الكبرى ٦/٢ : « واجتمع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين ، ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من الأنصار حتى غزا بدرأ » .

ظروف مواتية . ولقد كانت السرايا بعد الهجرة ظرفاً مواتياً ليعود الأنس بالسلاح واستخدامه ويصاحب ذلك مشقة وشظف في العيش . فأصبح هؤلاء على أهبة الإستعداد النفسي والفني لقتال أعدائهم في أي معركة حاسمة والأنتصار عليهم .

٤- التدريب على السرية في التحرك : ومن أهداف السرايا تعويد المسلمين المقاتلين وتدريبهم على السرية في القتال ، والسرية في الهدف الذي يريدون تحقيقه ، وتدريبهم على ذلك من خلال الممارسة العملية والأحداث الواقعية .

لقد كانت سرية عبدالله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة ومعه كتاب من الرسول لا يعرف ما فيه كما لا يعرف أفراد السرية ما فيه ، أمره أن يقرأه بعد مسيرة يومين وأن ينفذ ما فيه ولا يكره أحداً من الجنود علي ذلك .

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد سبق في هذا العمل العسكري الرائع قادة الجيوش العصرية فيما يسمى بالرسائل المكتوبة ، حفاظاً على سرية العمليات العسكرية^(١) .

٥- اختبار الرجال والتعرف على معادنتهم ومقدار ولائهم لقضيتهم وتضحيتهم من أجلها ، يؤخذ هذا مما جاء في كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) لعبدالله بن جحش أن يسير حتى ينزل نخلة بين مكة والطائف وألا يستكره أحداً من الجنود على السير معه ، فقد قال لهم : فمن كان فيكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

فماذا كانت نتيجة هذا الإختبار ؟

وماذا كان معدن الرجال الذين معه ؟

لقد كان الجواب من الجميع الإستجابة بحماس فساروا جميعاً ولم يتخلف منهم أحد .

٦ - التدريب على جمع المعلومات عن العدو للإستفادة منها وهذا الهدف كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحققه من خلال السرايا الإستطلاعية ، فقد كان يرسلها لرصد تحركات الجيوش المعادية وجمع المعلومات عنها من حيث العدد والعدة والمكان

(١) انظر غزوة بدر الكبرى ص ١٩ .

الذي يعسكرون فيه .

إن هذه المعلومات التي يجمعها عن أعدائه ذات فائدة جلية بالنسبة له ولأي قائد عسكري ، إنها تساعد على وضع خطة راشدة للتصدي لعدوه و احراز النصر عليه .

وهذا وجدناه أيضاً في سرية عبدالله بن جحش إلى نخلة فقد جاء في كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) : إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم ^(١) .

هذا وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يرسل السرايا والبعوث ليستطلع أخبار عدوه قبل أن يقدم على غزوه .

قال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد : (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أغار في أرض العدو بعث سرية بين يديه) ^(٢) .

٧- اختبار قوة العدو ومعرفة امكاناته الحربية من حيث العدد والعدة والتخطيط ونقاط الضعف ونقاط القوة حتى يأتي المسلمون أعداءهم من نقاط الضعف عندهم .

لقد كانت هذه السرايا الصغيرة والمناوشات المحدودة بمثابة إعداد جنودها القلائل ليكسب المسلمون حرباً حاسمة . كما كانت بعض السرايا عبارة عن جس نبض لموقف العدو ، ومعرفة رد فعله وقوة هذا الرد .

٨- البراعة العسكرية في التحرك : قال سعد بن أبي وقاص في سرية الخرار : كنا نكمن النهار ونسير الليل ، وفي هذا القول براعة عسكرية تدل على مدى فهمه لأسلوب التحرك العسكري ، إذا أنه يضع مبدأ عسكرياً هاما هو السرية والمحافظة على أمن القوات المتحركة ، فعلى عاتق القائد تقع مسؤولية المحافظة على قواته ، ومن أجل ذلك تبذل القيادات أقصى الجهد لتحقيق هذه السلامة ، ومن وسائل تحقيقها إخفاء التحركات حتى تكون بعيدة عن أعين العدو ، ولا شك فإن التحرك نهاراً يمكن كشفه بسهولة بالإضافة إلى أنه يجعل القوات هدفاً سهلاً للعدو ، وإنه مما لا شك فيه أن التحرك ليلاً يحمي القوات من أعين العدو ، وبالتالي من تدخلها ضدها ومن ثم إرباكها .

وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يعرف قواته تتحرك في منطقة صحراوية لا ظل

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٦٠٢/١ .

(٢) زاد المعاد ١٠١/٣ .

فيها. حرارتها مرتفعة نهاراً ، ورمالها ساخنة بفعل حرارة الشمس ، وهذا يسبب اجهاذاً للقوات المتحركة ، ولهذا فضل أن يكون التحرك ليلاً في جو معتدل قليل الحرارة رقيق الهواء مما يخفف العبء عن قراته .

وهذا التفكير العسكري يسبق به سعد كافة القيادات العسكرية التي جاءت بعد الإسلام، فالملاحظ أن كافة تحركات القوات وعمليات الهجوم والإنسحاب تتم ليلاً ، حتى تضمن القوات العسكرية حرية الحركة ، دون تدخل من العدو الذي ييث دائماً عيونه ودورياته الإستطلاعية للوقوف على تحرك القوات وجمع المعلومات عنها^(١) .

(١) غزوة بدر الكبرى للدكتور محمد أبو فارس ص ٢٤-٢٥ نقلاً عن العبقريّة العسكرية في غزوات الرسول ٢٣٢-٢٣٣ .

العقيدة القتالية

العقيدة القتالية

لقد حدد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بشكل واضح وثابت لأتباعه وجنوده العقيدة القتالية ، والأهداف الإستراتيجية ، وكان دقيقاً في ذلك غاية الدقة ، فأخبرهم أن القتال ينبغي أن يكون لغاية نبيلة وهدف أسمى ، وحظر على أتباعه أن يكون القتال من أجل سمعة أو رياء أو لعاعة من لعاعات الدنيا ، بل الهدف هو لرفع راية الإسلام لتكون كلمة الله هي العليا ، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه بإسناده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رجلاً أعرابياً أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : من قاتل لتكون كلمة الله أسمى فهو في سبيل الله ^(١) .

وحذر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين من هدف الرياء في القتال فإن ذلك يذهب الأجر ويسخط الرب ويستوجب النار ، روى الإمام مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ^(٢) .

(١) مختصر صحيح مسلم للمصري ٤٨/٢ رقم الحديث ١٠٨٨ .

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري ٤٩/٢ رقم الحديث ١٠٨٩ وتام الحديث : (ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ، ولكنك تعلمت القرآن ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قاريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق منها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار) .

إن هدف القتال في الإسلام لنشر الإسلام ، وإزالة العقبات التي تقف في طريقه ، سواء كانت هذه العقبات أنظمة أو أحزاباً أو منظمات تستخدم القوة في سبيل الصد عن هذا الدين قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١) .

فالآية وضحت أن القتال شرع لتوفير الحرية للناس حتى يختاروا هذا الدين أو يجددوا موقفهم منه دون أن يتعرضوا لاضطهاد مضطهد أو فتنة طاغية .

وهذا ما أكدته ربعي بن عامر رضي الله عنه حين قال لزعيم الفرس الله ابتعثنا لنخرج من ثناء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

والمقاتل قد استقر في روعه أن نتيجة القتال مهما كانت فهي لخيره في الدنيا والآخرة ، فإما النصر والغلبة على الأعداء والثواب الجزيل يوم القيامة على الجهاد والصبر واحتمال الأذى في سبيل الله وأما الشهادة إذ لا موت بل هي الحياة التي حدثنا عنه القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيُسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

ومع هذا الشعور النبيل والاعتقاد الجازم في المصير الحسن الذي ينتظره فهو يأمل في نصر الله له على عدوه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ أَحَدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ (٤) .

(١) الآية ٣٩ من سورة الأنفال .

(٢) الآية ١٥٤ من سورة البقرة .

(٣) الآيات ١٦٩ - ١٧١ من سورة آل عمران .

(٤) الآية ٥٢ من سورة التوبة .

ومن العقيدة القتالية التي يربي المقاتل المسلم عليها أن النصر من عند الله ، والله ينصر عباده المجاهدين الذين ينصرونه على أنفسهم وأهوائهم وشهواتهم وعلى شياطين الإنس والجن ، وينصرونه بالتزام أوامره والكف عن نواهيه ، إنهم يحلون حلاله ويحرمون حرامه .

وعلى هذا فالمقاتل لا يغفل عن ذكر الله ، يدعو في السر والعلن ، وفي الرخاء والشدة ، ويضرع إليه سبحانه أن يؤيده على عدوه ، فإذا علم الله تبارك وتعالى منه إخلاصاً ، واستقامة نصره على عدوه ، وأيده بملائكته ، قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرًا ، وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

والذي يقرأ سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزواته وسراياه يجد أن هذه العقيدة القتالية بعناصرها ومفاهيمها كانت واضحة كل الوضوح ، في عقول صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقلوبهم ، وكانوا يترجمونها إلى مواقف بطولية رائعة .

ولقد عبر عن هذه العقيدة القتالية أدق تعبير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نهاية غزوة أحد رداً على أبي سفيان وكلف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) باسماع أبي سفيان هذا الرد على ملأ من المشركين والمسلمين .

فقد روى الإمام البخاري رحمه الله بإسناده عن البراء رضي الله عنه قال :

وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟

فقال : لا تجيبوه .

فقال : في القوم ابن أبي قحافة ؟

فقال : لا تجيبوه .

فقال : في القوم ابن الخطاب ؟

(١) الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الأنفال .

فقال : إن هؤلاء قد قتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا .

فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ابقى الله عليك ما يحزنك .

قال أبو سفيان : اعل هبل .

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : أجيبوه

قالوا : ما نقول ؟

قال : قولوا الله أعلى وأجل .

فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم .

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : أجيبوه .

قالوا : ما نقول ؟

قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثله لم آمر بها ولم تسؤني ^(١) .

وزاد ابن هشام في سيرته أن عمر بن الخطاب قد رد بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أبي سفيان حينما قال : يوم بيوم بدر بقوله : لا سواء قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار ^(٢) .

لقد تضمن هذا الحوار اسس العقيدة القتالية عند المسلمين وهي :

١- ان المسلم يقاتل في سبيل الله وتوحيده وتعظيم شأنه .

٢- إن المسلم يعتمد على الله في قتاله لأعدائه ، فهو يتوكل عليه في إحراز النصر ، لأن النصر منه سبحانه .

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ٣٥٥/٨ - ٣٥٦ والفتح الرباني ٥٢/٢١ - ٥٤ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٩٣/٢ - ٩٤ .

٣- إن المسلم إذا قتل شهيداً دخل الجنة ، وأن الكافر إذا قتل كان مصيره النار .

إن العقيدة القتالية التي تقوم على أسس منها : أن من يقتل من المسلمين شهيداً يفوز بالجنة وينقذ من النار ، تجعل صاحبها يستصغر كل ما يجده من آلام وجراح في سبيل هذا الهدف الأسمى وإذا اتخذته الله شهيداً فرح واستبشر .

بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المنذر بن عمرو على رأس سبعين من قراء الصحابة ، رضوان الله عليهم ، فساروا حتى وصلوا إلى بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم . ولما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فانطلق رجلاً ، وقال لهما : كونا قريباً مني آتيهم فإن آمنوني كنتم قريباً ، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم ، فقال : أتؤمنوني أن أبلغ رسالة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ فجعل يحدثهم فأومأوا إلى رجل من خلفه فطعنه بالرمح حتى أنفذه من شقه الآخر فقال حرام : الله أكبر فزت ورب الكعبة ^(١) .

وروى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه : إنه لما قتل الذين بيئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ فأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية ، هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إنني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع فأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فنعاهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا وأنهم قد سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ، ورضيت عنا فأخبرهم عنهم ^(٢) .

ويذكر أن الذي قتل عامر بن فهيرة جبار بن سلمى الكلابي ، ثم أسلم ، فكان يحدث عن سبب إسلامه فيقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أنني طعنت رجلاً يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتة يقول : فزت والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ؟ أأست قتل الرجل ؟ قال حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا : للشهادة ، فقلت :

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ٣٩٠/٨ - ٣٩١ .

(٢) صحيح البخاري بفتح الباري ٣٩١/٨ - ٣٩٢ .

فاز لعمره الله ^(١) .

وجاء رجل من الأعراب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فأمن به واتبعه ، فقال : أهاجر معك ، فأوصى به بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر ، غنم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً ، فقسمه وقسم للأعرابي ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا قسمة قسم لك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأخذه فجاء به للنبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : ما هذا يا رسول الله ؟ قال قسم قسمته لك ، قال : ما على هذا تبعتك . ولكن تبعتك على أن أرمى ها هنا ، وأشار إلى حلقه بسهم ، فأموت فأدخل الجنة . فقال : إن تصدق الله يصدقك ، ثم نهض إلى قتال العدو ، فأتى به إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو مقتول ، فقال : أهو هو ؟ قالوا نعم . قال صدق الله فصدقه .

فكفنه النبي (صلى الله عليه وسلم) في جبهته ، ثم قدمه فصلى عليه ، وكان من دعائه له : اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك ، قتل شهيداً وأنا عليه شهيد ^(٢) .

هذه هي العقيدة القتالية التي كان يتمتع بها هذا الأعرابي ، فالهدف واضح عنده ، إنه يقاتل في سبيل الله ، ويدافع عن دين الله ، ويرجوه الشهادة ، فلا يطمع في الدنيا وما فيها ، ولا يؤرقه اللهاث وراء زخرفها وزينتها .

إن هذه العقيدة القتالية التي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يغرسها في نفوس أتباعه وقلوبهم تجعل صاحبها ذا روح معنوية عالية ، وقدرة كفائية فائقة ، ترهب أعداء الله تبارك وتعالى . ولتعلم أن الإخلاص في كل شيء وخاصة في القتال أساس قبول الأعمال والفوز في الدنيا والآخرة .

لقد شهد له بالاخلاص قائده العسكري ، وشهد له بالولاء والانتماء لهذه العقيدة قائدها العسكري سيد ولد آدم وشفيعهم يوم القيامة ، تأمل هذه الشهادة ما أروعها : اللهم هذا عبدك

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١٨٧/٢ والسيرة النبوية لابن كثير ١٤١/٣ ، وضع الباري ٣٩٣/٨ .

(٢) قال المحقق في حاشية زاد المعاد ٣٢٤/٣ : أخرجه النسائي ٦٠/٤ والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/٢٩١ والحاكم ٥٩٥/٣ ، والبيهقي ١٥/٤ - ١٦ ، وإسناده صحيح .

خرج مهاجراً في سبيلك ، قتل شهيداً وأنا عليه شهيد .

إن كل الأوسمة والنياشين وعبارات التبجيل من كبراء الدنيا وطواغيتها ، تتلاشى أمام شهادة الرسول المعصوم ، إنها شهادة منبعها الوحي والعصمة ، فهو لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

أقول :

إن جميع الذين شاركوا في غزوة أحد من الصحابة قد قاتلوا قتال الأبطال ، وجرح معظمهم جروحاً بليغة ، واستشهد سبعون من أبطالهم . إنهم قادة وجنداً يقاتلون من أجل رسالة سامية ، وغاية نبيلة ، فضحوا من أجل غايتهم ورسالتهم بأموالهم وأنفسهم وراحتهم ، وهذه الرسالة تتلخص في توحيد الله تبارك وتعالى وعبادته ، وتحرير البشر من العبودية لغير الله .

غايتهم رضوان الله ، عز وجل ، بإسعاد البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور ، وإحيائها بعد موات ، فالمسلم من يحمل رسالة حية ، تحيي القلوب والنفوس بنور الإسلام ، قال تعالى : ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(١) .

وفي المقابل كان المشركون يدافعون عن رسالة الشرك ، وعبادة الأوثان ، وكان الزعماء يقاومون رسالة الإسلام ، لأنها تدعو لتحرير الناس من الظلم والعسف الذي لحقهم من ساداتهم وكبرائهم .

والمسلمون اليوم ومنهم العرب خاضوا حروباً مع أعدائهم ، وكانت هذه الحروب تسفر عن هزائم مخزية وذل في رقاب العباد ، واحتلال بغيض للأوطان المقدسات .

أليس من حقنا أن نتسائل لم كانت هذه الهزائم ؟ .

أليس من حق كل رجل مخلص لزمه ودينه ووطنه أن يتسائل ما الرسالة التي نقاتل من

(١) الآية ١٢٢ من سورة الأنعام .

أجلها ؟

وما الغاية المنشودة في قتالنا وحروبنا مع أعدائنا ؟

وإذا كان لنا غاية منشودة وأهداف محدودة ، فما هذه الغاية المنشودة ، وما هذه الأهداف المرسومة ؟

وإذا كان لنا غاية ورسالة وأهداف فهل ربينا الجنود عليها وأرضعناهم لبانها ؟

ولو سلمنا جدلاً أن للذين قاتلوا وجنوا الهزائم المتلاحقة رسالة وغاية ، فهل كانت هذه الغاية إنسانية ، وهل كانت هذه الرسالة رفيعة ، تدفع الجندي لأن يضحي من أجلها ويذبل دمه الزكي في سبيلها ؟

هل بقاء حزب من الأحزاب في دفة الحكم غاية تستحق من الجندي أن يقاتل من أجلها ؟

هل بقاء نظام من أنظمة الحكم الفاشية المستبدة أو زعيم قد تسلط على رقاب الناس وسامهم العذاب . فداس شرفهم وكنم أنفاسهم رسالة تستحق من الجندي أن يقاتل من أجلها ؟

هل ربي الجنود على العزة والكرامة وأبوة النفس وعلى الحياة الحرة الكريمة ؟

هل ربي الإنسان العربي على حب الموت وكرهية الحياة الذليلة والتمرد عليها أيا كانت ومن أي جهة جاءت أم ربي على التعلق بالدنيا والقصور الفارهة والسيارات الأنيقة الثمينة ؟

هل ربيت الشعوب على الجهاد ودربت على حمل السلاح وجندت لميادين القتال كما ربي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصحابه رضوان الله عليهم ؟

إننا نقول بكل صراحة ووضوح أن هذه الأمة قد جنت ما جنته من الهزائم بسبب بعدها عن دينها ، وأنه لا خلاص لها من هذا الواقع الآسن المتخل إلا بالعودة إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، وأن تربى التربية العسكرية وفق المدرسة النبوية العسكرية .

اشراك الآخرين في القرار العسكري

إشراك الآخرين في القرار العسكري

إن القرار العسكري قرار مصيري بالنسبة للأمة بأسرها وقرار مصيري وجوهري بالنسبة للمقاتلين والقادة . فيه يتحدد مصيرهم ومستقبل أجيالهم وأوطانهم ومقدساتهم ، وعزتهم ومجدهم ، فإن كان صواباً وسديداً كان النصر وكان التوفيق بإذن الله سبحانه ، وإن كان القرار مبتسراً وفردياً تسلطياً واستبدادياً بني على الهوى الشخصي والمزاج الفاسد ترتب عليه عواقب وخيمة تضر بالبلاد والعباد والمقدسات ولما كان هذا القرار له من الأهمية القصوى والخطورة العظمى على حاضر الأمة ومستقبلها أوجب الإسلام على القائد ألا يستبد في إصدار القرار العسكري ، وحرّم عليه الإنفراد في الرأي دون مشاورة أهل الاختصاص ، وهم العسكريون في القرار العسكري ، فقال سبحانه لرسوله (صلى الله عليه وسلم) : (وشاورهم في الأمر)^(١) .

وحين أوجب الإسلام على القائد العسكري أن يستشير القادة العسكريين قصد تحقيق فوائد جمة للأمة على كل الأصعدة^(٢) .

إن الشورى مدرسة تربية للأمة تظهر من خلالها شخصيتها وتحقق ذاتها من خلال ممارستها حرّيتها في إبداء رأيها في أمورها ، وتعبر عن إرادتها وقناعتها ومواقفها في قضاياها المصيرية .

إنها تدرب المستشار على المساهمة في القيادة وتغنيه بالتجربة ، وجودة الرأي والتفكير ، وهي خير وسيلة تكشف عن الكفاءات والقدرات ، وبها يظهر الأكفاء ، وتستفيد الأمم من

(١) آل عمران من الآية ١٥٩ .

(٢) أنظر هذه الفوائد مفصلة في كتاب النظام السياسي في الإسلام للدكتور محمد أبو فارس ص ٨٥ - ٨٩ وكتاب حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها ص ١٠ - ١٢ .

كفاءاتهم.

إن الشورى توزيع للمسؤولية مهما كانت نتيجة القرار الشورى ، سواء كان سلبياً أو إيجابياً ، فإن كانت النتيجة إيجابية كاحراز نصر ومجد نسب هذا النصر وهذا المجد إلى الأمة فهي التي انتجت هذا النصر ومن ثم هي التي حصلت هذا الشرف . وإن كانت النتيجة سلبية كحدوث فشل أو هزيمة فإن الأمة التي اسهمت في صنع هذا القرار تتحمل المسؤولية ، ومن ثم فلا تلاوم ولا تشكك ولا تدمير ولا فتنة .

وعلى أي كان الأمر وكانت النتيجة فإن هذا تاريخ الأمم و تاريخ الأمم لا يصنعه فرد مهما كان هذا الفرد ، إن تاريخ الأمم تصنعه الأمم بقادتها ومفكراتها ، وانه لوهم خاطئ وخطأ فادح قاتل أن يتصور متصور اغفال كفاءات الأمة ومفكراتها وقادتها وتعطيلها وتذويبها في شخصية فرد مهما كان هذا الفرد .

إن أي قائد عسكري مهما بلغ من رجاحة العقل ، وسعة الاطلاع ، وكثرة الخبرة والدربة والتجربة إذا اتخذ قراره دون مشورة أحد فإن قراره ورأيه يكون أقل صواباً مما لو استشار أصحاب العقول والأفهام من القادة العسكريين الخبيرين بفنون الحروب والقتال .

إن اشراك هؤلاء القادة العسكريين من أهل الاختصاص في القتال في اصدار القرار في الحقيقة مشاركتهم في عقولهم ، واستفادة من خبراتهم وقدراتهم . فالقائد إذا استبد برأيه ولم يستشر غيره تأثر بهواه ، ومن تأثر بهواه فقد ابتعد عن الصواب .

مثل حكيم فليل له : (ما بال العاقل ذي اللب مشورته على نفسه تقصر عن اصابة الصواب ، وادراك المطلوب ومشورة غيره له تظفره بذلك ؟ فقال : إن مشورة الإنسان لنفسه ممزوجة بالهوى ، ومشورته غيره سالمة من ذلك ، ولا إصابة مع الهوى)^(١) .

ولما كانت الشورى هي تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المتباينة المطروحة في أمر عسكري واختبارها من أصحاب العقول والأفهام من أهل الاختصاص وهم هنا العسكريون في

(١) العقد الفريد للملك السعيد لابي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ صفحة ٤٣ .

القرار العسكري حتى يتوصل إلى الصواب منها أو إلى أصوبها وأحسنها ، ليعمل به حتى تتحقق أحسن النتائج فقد اعتبرت قاعدة من قواعد الحكم وفريضة من فرائض الدين .

ولقد ترجم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من خلال سيرته النبوية الشريفة هذا المبدأ العسكري الجليل في اصدار القرار ، كما ترجمه من خلال كونه حاكماً فحكم الأمة بالعدل وساسها بالشورى ورباها عليها .

وإننا سنقتصر على الشواهد من سيرته فيما يتعلق بالقرار العسكري . فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يفسح المجال لكل قائد ، ولكل جندي صاحب فكرة وخبرة ، أن يبدي رأيه ويسمع لهذا الرأي بكل اهتمام وجدية ، ويأخذ برأيه وإن كان هذا الرأي قد رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القائد المحارب غيره .

ففي غزوة بدر الكبرى حينما نزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في موقع اعترض عليه الحباب بن المنذر قائلاً : رأيت هذا المنزل ، أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه . أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لقد أشرت بالرأي ، فنهض ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، وغور القلب ، ثم بنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه ^(١) .

وحين اختار المسلمون البقاء في المدينة والتحصن بها في قتال الأحزاب وعدم المصادمة الخارجية مع قوى الأحزاب أشار الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق في الجهة المكشوفة من المدينة ، يحول بين العدو وبين دخول المدينة ، وفكرة حفر الخنادق حول

(١) انظر السير النبوية لابن هشام ٦٢٥/١ ولطبقات الكبرى لابن سعد ١٥/٢ وعيون الأثر ٢٥١/١ والقلب هو البئر والجمع قلب .

المدن فكرة عسكرية فارسية أخذها سلمان رضي الله عنه عن قومه وأشار على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بها بقوله : (إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا حولنا)^(١) .

وهناك أسلوب آخر للشورى وهو أن يوجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) سؤاله لأهل الاختصاص من العسكريين قائلاً : اشيروا على أيها الناس .

ففي غزوة بدر الكبرى حينما نجت قافلة قريش وخرجت قريش لقتال المسلمين قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أشيروا علي أيها الناس .

فأبدى أبو بكر الصديق رضي الله عنه رأيه في ضرورة قتال قريش وأيده في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم تكلم المقداد بن الأسود فقال : (لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكننا نقول : نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك)^(٢) .

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) موجهاً كلامه للأَنْصار أشيروا علي أيها الناس ، لأنه لم يسمع منهم ، فقال سعد بن معاذ : كأنك تريدنا يا رسول الله ، يا رسول الله صل بنا جبل من ثبت ، واقطع بنا جبل من ثبت وخذ من أموالنا ما شئت ودع من أموالنا ما شئت ، فإنما تأخذه من أموالنا أحب إلينا مما تدع ، يا رسول الله إمض لما أمرك الله ، فالوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وإننا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء وسيريك الله منا ما تقر به عينك^(٣) .

ألا ترى أن الأغلبية أفصحت عن رأيها في الرغبة بقتال المشركين والتصدي لهم ، وعبر عن هذه الأغلبية قادة المهاجرين والأنصار ووافقت الأغلبية على ذلك .

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حريصاً على معرفة رغبة الجيش قادة وقاعدة

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٩٥/٨ .

(٢) صحيح البخاري متن فتح الباري ٢٨٩/٨ والمسند ٢٥٩/٥ رقم ٣٦٩٨ .

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام : ٦١٥/١٢ - ٦١٩ وتفسير الطبري ١٦/١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ٣٩٢/٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ١٤/٢ وزاد المعاد ١٧٣/٣ .

وقيادة وجنداً لأن هذا أمر ضروري جداً في نتيجة المعركة ، ذلك لأن النصر في عالم الأسباب المادية التي أمرنا الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) الأخذ بها ، وأوجب ذلك إيجاباً لا يتحقق إلا من خلال عوامل كثيرة وفي مقدمتها بل وأهمها إندفاع المقاتل برغبة ذاتية لقتال عدوه دون إكراه .

ولو تصورنا أن الأكثرية الساحقة في بدر كانت لا تريد أن تقاتل وأكرهت عليه اكراها ، وسيقت إليه سوقاً بالعصا ، وتحت وطأة التهديد فماذا تكون النتيجة ؟

إنها لا شك ليست إيجابية كما لو كانت الأكثرية راغبة في القتال متحمسة له ، راجية النصر أو الشهادة .

وبعد انتهاء غزوة بدر الكبرى بانتصار المسلمين على المشركين وقتل سبعين منهم وأسر سبعين ، ولم يكن قد نزل حكم الأسرى في القرآن ، استشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين في شأن الأسرى فظهرت ثلاثة آراء . ولم يبد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأيه في الأمر .

الرأي الأول : أن يأخذ المسلمون الفداء من الأسرى . وقال بهذا الرأي الخليفة العادل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ومال إليه أكثرية المسلمين

الرأي الثاني : قتل الأسرى جميعاً وعدم أخذ الفدية من أحد . وقال بهذا الرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر وعمر : ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟

فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن نأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ما ترى يا ابن الخطاب ؟

فقال عمر : لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكنني أرى أن تمكنا

فنضرب أعناقهم ، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكني من فلان ، نسيباً لعمر ،
فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها (١) .
الرأي الثالث : أن يقتل الأسرى حرقاً .

وهذا رأي عبدالله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه . فقد قال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أنت في واد كثير الخطب ، فأضرم الوادي عليهم ناراً ، ثم ألقهم فيه (٢) .

نتيجة الشورى في الأسرى : وبعد أن استمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى ما
قال به أبو بكر الصديق وعمر وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم ، ورأى أن أكثرية الناس
مالت إلى رأي أبي بكر . قال (صلى الله عليه وسلم) : أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو
بضربة عنق (٣) .

لقد سبق أن قلنا أن الشورى توزيع للمسؤولية أياً كانت نتيجة الشورى ، وهذا الذي
حدث فعلاً إذ أنكر الله على المسلمين أخذ الفدية وطلب منهم الاثخان أي قتل الأسرى ، وقد
تحمل هذه النتيجة الأكثرية التي رأت ذلك .

أقول : إن الاجتماع الذي عقده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمثابة مجلس
عسكري تمت فيه مداولات وطرحت فيه آراء متباينة . كل رأي له ما يؤيده عند أهله وأصحابه .
ثم انتهت المداولات إلى اتخاذ القرار العسكري المناسب .

ويؤخذ من هذا أن الأصل الذي اعتاده المسلمون قبل كل معركة أن يجتمع العسكريون
المختصون قبل اتخاذ القرار العسكري ، يدرسون احتمالات الموقف المتوقعة دراسة مستفيضة ،
ويتداولون الآراء حولها والحلول لها ، ثم يخرجون بالقرار العسكري المناسب .

وما حدث في أحد ما هو إلا نموذج لاتخاذ القرار العسكري في المدرسة النبوية العسكرية.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٥/١٢ - ٨٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٣٤٦ وانظر عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذي ٢١٦/١١ - ٢١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ٤٥٩/٢ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٤٥٩/٢ .

وهناك أسلوب ثالث للشورى كان يستخدمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، قد يبدو له إجهاد في مسألة عسكرية ولا يريد أن يخرجها إلى حيز التنفيذ إلا بعد مشاورة العسكريين ثم اتخاذ القرار العسكري على ضوء ذلك ، ففي غزوة أحد جمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين واستشارهم في أرض المعركة ، وأعلمهم أنه يرى التحصن في المدينة وعدم الخروج للقاء جيش المشركين في أحد .

ولكن الأكثرية من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفيهم الشباب والكهول رأيت غير رأيه وأصرت على ضرورة الخروج من المدينة والتصدي للمشركين وقتالهم . ولما رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأكثرية ترى الخروج تنازل عن رأيه ونزل عند رأي الأكثرية .

ولبس لأمنته (سلاحه) وقاد المسلمين إلى موقع المعركة وهو أحد .

وفي غزوة الحديبية لما علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخروج قريش بخيلها وخيلائها تلقى فلذات أكبادهما في حلبة الصراع ، مصرة على منع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والذين خرجوا معه من زيارة البيت الحرام وتعظيمه . أراد أن يتخذ تدبيراً عسكرياً وهو مهاجمة ذراري أهل مكة لإشغالهم وإرباكهم . إلا أنه لم ينفرد بتنفيذ ما خطر بباله من اجراء عسكري ، بل استشار المسلمين ليرى رأيهم . فقال : أشيروا أيها الناس علي أترون أن أصل إلى عيالهم وذريهم هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ؟ فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع علينا المشركين وإلا تركناهم محروبين (محزونين) فقال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً هذا البيت لا تريد قتل أحد ، ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه ، قال (صلى الله عليه وسلم) : امضوا على اسم الله ^(١) .

تأمل هذا الدرس في الشورى في اتخاذ القرار العسكري ، فالرسول الموحى إليه من السماء ، والمتصف بأرقى صفات الكمال البشري من حيث الذكاء ورجاحة العقل ، وقوة التفكير ، وتحري الصواب ، لم ينفرد برأيه ولم يتخذ قراره العسكري إلا بعد مشورة ، وكان

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٤٥٩/٨ .

القرار عكس ما بدا له من رأي . فقد أخذ برأي أبي بكر واستصوبه وفضله على رأيه . ليعلمنا أن نسلك هذا الطريق في حياتنا العسكرية والسياسية والعلمية والاقتصادية وغيرها .

هكذا ينبغي أن يربي القائد العسكري جنوده ، وهكذا ينبغي أن يربي الحاكم العادل النزيه رعيته على حرية الرأي والشورى حتى تصبح لها شخصيتها المستقيمة المتميزة المستقلة ، التي لا تنماع في شخصية أي أنسان بل تسهم في تقرير مصيرها في الملومات وإذا ادلهمت الخطوب واحلولكت الليالي .

إن الحكم الفردي المستبد حكم مجرم ، يقترف جريمة من أكبر الجرائم ، بل هي في الحقيقة أكبر الجرائم على الإطلاق إنها جريمة قتل شخصية الأمة ، فلا تقوى على الدفاع عن شيء أو اتخاذ قرار مصيري بالنسبة لها ، إنه مجرم أفاك يقتل الطاقات الإبداعية في الأمة ، ويسلب منها كرامتها وعزتها ورمز وجودها ، فتركن إلى الذل ، وترضى بالضميم وتستمرىء الحياة المهينة ، ومن ثم تكون فريسة سهلة المنال في صراعها مع أعدائها وجروبها ^(١) .

وفي غزوة الأحزاب تذكر لنا كتب السيرة النبوية أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لما رأى أن الأحزاب قد اجتمعوا حول المدينة وحاصروها ، وأن بني قريظة قد نقضوا العهد مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ومزقوا صحيفة العهد حاول (صلى الله عليه وسلم) أن يوجد شرخاً في جبهة الأحزاب وأن يمزق شملهم . فاستدعى عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف زعيمى غطفان ، وعرض عليهما أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، وكتبوا كتاب الصلح بل كان الأمر عبارة عن مفاوضات ، ولم يلتزم المسلمون بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نحوهم بشيء .

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد عود المسلمين أن يستشيرهم ، وبخاصة المعنيين بالأمر وهما هنا سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فهما زعيما الأوس والخزرج والنخيل لهم ، فأرسل وراء السعدين ليستشيرهم في الأمر ، فقالا : يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا ؟

(١) انظر غزوة الحديبية للدكتور محمد أبو فارس ص ٨٨ .

فقال : بن شيء أصعبه نكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله ، وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : أنت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا ^(١) .

مما تقدم ظهر لك جلياً أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرى أن يعطي ثلث ثمار نخل المدينة إلى غطفان شريطة أن يعودوا ولا يقاتلوا المسلمين مع الأحزاب ، فاستشار سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد رضي الله عنهما فخالفاه ، ولم يريا رأيه . فتنازل (صلى الله عليه وسلم) عن رأيه واتبع رأي الأكثرية سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، وإذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أخذ برأي الأكثرية وترك رأيه فأولى بغيره من الحكام والأمراء والخلفاء أن يأخذوا برأي الأغلبية ولا يتعصبوا إلى آرائهم ويجمدوا عليها .

لقد أخذ سعد بن معاذ الصحيفة ومحا ما فيها من كلام ومزقها فأقره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك ولم ينكر عليه ، ويؤخذ من هذا درس في غاية الأهمية نبه إليه الشيخ شلتوت رحمه الله ، فقد قال يعقب على هذا الحديث وعلى تمزيق الصحيفة : (وهذه الحادثة تضع تقليداً دستورياً هاماً ، وهو أن الحاكم - ولو كان رسولاً معصوماً - يجب عليه ألا يستبد بأمر المسلمين ، ولا أن يقطع برأي في شأن هام ، ولا أن يعقد معاهدة تلزم المسلمين بأي التزام دون مشورتهم ، وأخذ آرائهم ، فإن فعل كان للأمة حق إلغاء كل ما استبد به من دونهم ، وتمزيق كل معاهدة لم يكن لهم فيها رأي) ^(٢) .

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٢٤/٢ ولابن كثير ٢٠١/٣ وطبقات ابن سعد ٦٩/٢ والدرر في اختصار المغازي والسير ١٨٤ والروض الأنف ١٧٨/٢ وانساب الأشراف ٣٤٦/١ ومغازي الزهري ص ٧٩ والأموال لابي عبيد ٢٣٥ - ٢٣٦ وزاد المعاد ٢٧٣/٣ والكامل في التاريخ ١٨٠/٢ - ١٨١ .

(٢) من توجيهات الإسلام ص ٥٢٢ - ٥٢٣ .

وفي - حصار الطائف :

روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه بإسناده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لما حاصر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الطائف ، فلم ينل منهم شيئاً ، قال : إنا قافلون إن شاء الله ، فثقل عليهم ، وقالوا : نذهب ولا نفتح ؟ ... فقال : اغدوا على القتال ، فغدوا فأصابهم جراح ، فقال : إنا قافلون غداً إن شاء الله فأعجبهم ، فضحك النبي (صلى الله عليه وسلم) ^(١) .

وروى ابن كثير في سيرته عن الواقدي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نوفل بن معاوية الديلي فقال : يا نوفل ما ترى في المقام عليهم ؟ قال : يا رسول الله ، ثعلب في جحر ، إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك ^(٢) .

وفي هذا الحديث نجد بوضوح أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد رأى فك الحصار عن الطائف والانسحاب بعد ذلك ، وأن الصحابة رأوا غير ذلك ، وكرهوا الانسحاب ، ورغبوا في الاستمرار في الحصار حتى يفتحوا الطائف ، فلم يستبد برأيه ، ولم يلزمهم به رغم صوابه ، فنزل عند رأيهم ، فلم ينسحب ، وأمرهم بالقتال وهو ما فضلوه ، فقاتلوا فاقتنعوا بعد ذلك بخطأ رأيهم ، وأن الصواب فيما ذهب إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولما عرض عليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأيه الأول الذي عارضوه وافقوا عليه في المرة الثانية ، ولم يعارضه أحد في هذه المرة . فضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

أرأيت كيف يعلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كل قائد عسكري يقود جنده ، ويشركهم في قراره ، وكل حاكم كيف يحكم الأمة ويسوسها بقاعدة الشورى ، ويعلمها كيف يأخذ برأي الأغلبية ، وإن كان رأي الأغلبية يخالف رأيه ، وإن كان رأيه صواباً إلا أنه لم يظهر لهم صوابه في المرة الأولى .

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ١٠٦/٩ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٦٦١/٣ - ٦٦٢ .

إنه منهاج النبوة في إخراج خير أمة في تاريخ البشرية ، خير أمة في تربيتها العسكرية
وضبطها وفي حكمها وفي سياستها وفي قضائها وفي دعواتها وفي عدلها وفي معادلاتها مع
اصدقائها ومع أعدائها .

التعبئة المعنوية

التعبئة المعنوية

إن القتال في الحقيقة بين إرادتين إرادة قوية مصممة على القتال والإستمرار فيه حتى النهاية ، وإرادة ضعيفة منهزمة منهارة لا تقوى على الثبات منذ الصدمة الأولى ولا تقوى على الإستمرار في القتال .

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يربي أصحابه على أن يكونوا أصحاب إرادات قوية راسخة ثابتة ثبات الشم الرواسي . فيملأ قلوبهم شجاعة وجرأة وأملاً في النصر على الأعداء .

وكان يسلك في سبيل تكوين هذه الإرادة القوية أسلوب الترغيب والترهيب . الترغيب في اجر المجاهدين الثابتين والترهيب من التولي يوم الزحف ، والفرار من ساحات الوغى ، كما كان يحدثهم عن عوامل النصر وأسبابه ليأخذوا بها ويلتزموها ، ويحذرهم من أسباب الهزيمة ليقلعوا عنها ، وينأوا بأنفسهم عن الاقتراب منها .

وكان (صلى الله عليه وسلم) يوضح لهم حقيقة أعدائهم ومبعث عداوتهم وخطرهم على دينهم ودولتهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم ومقدساتهم ، وألا علاج لهؤلاء الأعداء إلّا بقتالهم .

وكان يوجد حاجزاً نفسياً ، نحو هؤلاء الأعداء يزداد متانة يوماً بعد يوم ، وأن هذا الحاجز النفسي يقوم على العقيدة والمبدأ لا على المصالح الذاتية الفانية .

وهذا المنهج التعبوي المعنوي يعتمد على كتاب الله تبارك وتعالى ، وسنة رسول (صلى الله عليه وسلم) ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم من أعدائه .

فقد حدثنا القرآن أن قتال الأعداء فرض علينا أن نقوم بهذا الفرض ، قال تعالى : (كتب

عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (١) وقال تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) (٢) ، وقال تعالى : (ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (٣) .

وقال تعالى : (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم ويشف صدور قوم مؤمنين) (٤) .

ولقد حدثنا القرآن عن طبيعة عداوة المشركين واليهود والنصارى ، فقال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (٥) .

وقال تعالى : (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) (٦) ، وقال تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (٧) .

وقال تعالى : (وكيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) (٨) .

ويذكرهم القرآن بقدرهم وخيانتهم حتى يحشد نفوس المسلمين على قتالهم ، قال تعالى : (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله

(١) الآية ٢١٦ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٣٦ من سورة التوبة .

(٣) الآية ١٤ من سورة التوبة .

(٤) الآيتان ١٤ - ١٥ من سورة براءة .

(٥) الآية ٨٢ من سورة المائدة .

(٦) الآيتان ٥٥ - ٥٧ من سورة الأنفال .

(٧) الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

(٨) الآية ٨ من سورة براءة .

أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين (١) .

ويؤكد القرآن أن النصوص في النهاية للمؤمنين المجاهدين الصابرين والهزيمة والخذلان للكافرين ، وهذا يرفع الروح المعنوية عند المؤمنين ، فعلم المقاتل أنه منتصر على عدوه يبعث في نفسه الأمل والثبات . قال تعالى : (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) (٢) .

وقال تعالى : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) (٣) .

ومن التعبئة المعنوية أن يرغب المقاتل في القتال والثبات والصبر بما سيحققه من فوز عظيم ومثوبة جلية ، قال تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (٤) .

وفي غزوة بدر الكبرى روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه يوم بدر قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فقال عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : نعم ، قال : بخ بخ (كلمة تعجب) .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ما يحملك على قولك : بخ بخ ؟

قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها .

(١) الآية ١٣ من سورة براءة .

(٢) الآيتان ٣٦ - ٣٧ من سورة الأنفال .

(٣) الآية ٤٩ من سورة هود .

(٤) الآية ١١ من سورة براءة .

قال : فإنك من أهلها .

فأخرج ثمرات من قرنه (جعبة النشاب) فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة . قال : فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل (١) .

وفي رواية : قال أنس : فرمى ما كان معه من التمر ، وقاتل وهو يقول :

ركضاً إلى الله بغير زاد

إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد

وكل زاد عرضة للنفاد

غير التقى والبر والرشاد

فقاتل حتى استشهد رحمه الله ورضي عنه (٢) .

ومن صور التعبئة المعنوية أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يشرهم بقتل صناديد المشركين ، وزيادة في التطمين لهم كان يحدد مكان قتل كل واحد منهم (٣) ، كما كان يشر المؤمنين بالنصر قبل بدء القتال فيقول : أبشر يا أبا بكر . ووقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول للصحابة رضوان الله عليهم : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا ادخله الله الجنة (٤) .

ولقد أثرت هذه التعبئة المعنوية في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم والذين جاءوا من بعدهم بإحسان . فقد ذكر ابن اسحق رحمه الله وغيره أن معاذ بن عمرو بن الجموح قد شارك في قتل أبي جهل وقد حدث رضي الله عنه عن ذلك فقال : رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون : أبو الحكم لا يخلص إليه ، فلما سمعتها عمدت نحوه ، وحملت عليه فضربتة ضربة

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ٧٠/٢ رقم الحديث ١١٥٧

(٢) انظر صفة الصفوة ٤٨٨/١ والسيرة النبوية والآثار المحمدية لزيني دحلان ٢٠١/١ وزاد المعاد ٣/ ١٨٢ .

(٣) انظر جامع الأصول ٢٠٢/٨ قال : أخرجه مسلم وأخرج النسائي نحوه .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١٦٦/١ .

اطنت قدمه بنصف ساقه ، أي أسرعت قطعه ، فضر بني ابنه عكرمة رضي الله عنه على عاتقي
فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جسمي ، وأجهضني القتال ، أي شغلني ، فلقد قاتلت عامة
يومي وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذنتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ،
ثم جئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال في الإصابة بعد ذكر هذه الحادثة : قال البخاري وغيره ^(١) .

وفي غزوة بدر ندب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين إلى الخروج فتنافس
الرجل سعد بن خيثمة وابنه على الخروج ، فقال الأب لولده : لا بد لأحدنا أن يقيم فأثرتني
بالخروج ، وأقم مع نسائك ، فأبى ولده سعد وقال : لو كان غير الجنة آثرتك به ، إني لأرجو
الشهادة في وجهي هذا ، فاستهما (اقتريا) فخرج سهم سعد فقتل يوم بدر ^(٢) .

وفي غزوة أحد خرج عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان صغيراً يتوارى حتى لا يراه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرده . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : رأيت أخي
عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم بدر يتوارى فقلت :
مالك يا أخي ؟

قال : إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرنى فيردني ، وأنا
أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة . فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم رده
لصغره فبكى رضي الله عنه فأجازه (صلى الله عليه وسلم) فعقد عليه حمائل سيفه وخرج ^(٣) .

ومن صور التعبئة ما رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده بإسناده إلى أنس بن مالك
رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفاً يوم أحد فقال : من يأخذ
هذا السيف ؟ فأخذه قوم فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : من يأخذه بحقه ؟ فأحجم القوم ، فقال

(١) انظر الإصابة ٤٢٩/٣ والسيرة النبوية والآثار المحمدية ٢٠٦/١ .

(٢) صفة الصفوة ٤٦٨/١ .

(٣) انظر صفة الصفوة ٣٩٤/١ والإصابة ٣٥/٣ والمستدرک ١٨٨/٣ .

أبو دجانة : أنا آخذه بحقه ففلق هام المشركين ^(١) .

وزاد ابن هشام في سيرته : حتى قام أبو دجانة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ نال : أن تضرب به العدو حتى ينحني ... وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل . فلما أخذ السيف من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، وجعل يتبخر بين الصفين ، ولما رآه النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : إنها لمشية ييغضها الله إلا في مثل هذا الموطن ^(٢) .

ولقد قام أبو دجانة رضي الله عنه بالشرط الذي اشترط الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث ضرب بالسيف حتى انحني وصار كالمنجل ^(٣) .

لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يث في الصحابة في كل غزواته وسراياه روحاً معنوية عالية في القتال .

وفي غزوة أحد ترى هذه الروح المعنوية العالية في القتال تبدو في أمور واحداث كثيرة منها حينما استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في غزوة أحد كانت الأكثرية تريد الخروج والتصدي للمشركين ، وظهرت على ألسنتهم المعبرة عما في قلوبهم روحاً معنوية عالية ، وحماساً شديداً منقطع النظير . وتباروا في التعبير عن سرورهم وحماسهم للقتال .

فقال عبدالله بن جحش : يا رسول الله إن هؤلاء القوم قد نزلوا حيث ترى ، وقد سألت الله فقلت : اللهم إني أقسم عليك أن تلقى العدو غداً فيقتلونني ويمثلوا بي ، فألقاك مقتولاً ، قد صنع هذا بي ، فيقول : فيم صنع بك هذا ؟ فأقول فيك ، وأنا أسألك أخرى أن تلي تركتي من بعدي ، فقال : نعم ^(٤) .

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٥٨/٢١ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٦٦/٢ - ٦٧ .

(٣) غزوة أحد للدكتور محمد أبو فارس ص ٦٦ .

(٤) امتاع الأسماع ١٥٥/١ .

وقال عمرو بن الجموح بعد أن أقبل على القبلة : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً^(١) .

وقال النعمان بن مالك رضي الله عنه : يا رسول لا تحرمنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها والبقر المذبح قتلى من أصحابك وأنا منهم^(٢) .

وقال حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة^(٣) .

وقال إياس بن أوس بن عتيك : نحن بنو عبدالأشهل ، وإنا لنرجو أن نكون البقر المذبح^(٤) .

وقال قائلهم : هي إحدى الحسين الظفر أو الشهادة ، والله لا تطمع العرب في أن يدخل علينا منازلنا ، ولا يظن ظان أنا هبنا عدونا فيتجرئ علينا^(٥) .

ولقد بلغت الروح المعنوية العالية قمته في تنافس الصغار الذين لم يبلغوا خمسة عشر عاماً على الخروج لقتال صناديد قريش الحاقدين الموتورين الذين جاءوا ليثأروا لقتلاهم وأسراهم في بدر .

وكتب السيرة تحدثنا عن ذلك فتقول : وتنافس الصبيان في الخروج لقتال المشركين ، وتدافع الناس ، إلا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد رد الصبيان الذين لم يتجاوزوا في أعمارهم خمسة عشر عاماً ، وكان قد رد سبعة عشر منهم ، وكان من بين هؤلاء رافع بن خديج فقيل : يا رسول الله إن رافعاً رام ، فأجازه النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال سمرة بن جندب رضي الله عنه لزوج أمه : أجاز رافعاً وأنا أصرعه ، فأعلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،

(١) عيون الأثر ١٧/٢ - ١٨ وأنظر امتاع الأسماع ١٤٦/١ .

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٢٣/٢ وأنساب الأشراف ٣١٥/١ وامتاع الأسماع ١١٦/١ .

(٣) شرح المواهب ٢٣/٢ .

(٤) أنساب الأشراف ٣١٥/١ .

(٥) أنساب الأشراف ٣١٤/١ - ٣١٥ .

فأعلمه فقال (صلى الله عليه وسلم) : تصارعاً، فصرع سمرة رافعاً فأجازه (صلى الله عليه وسلم) ^(١).

أقول : إنهم يتنافسون على الموت ، ولا يكثرثون بهذه الحياة الدنيا ، مع أن الشباب غالباً ما ينزعون إلى اللهو في فترة شبابهم ، ولكنهم يتنافسون على الموت ، لأن العقيدة الإسلامية التي تغلغت في شغاف قلوبهم حررتهم من حب الدنيا ، واللهات وزاء ملذاتها وبهرجها ، وربطتهم بالحياة الآخرة التي هي دار مقام حقاً ، وهذه العقيدة حررتهم من الخوف على الرزق كما حررتهم من الخوف على الأجل ، لأنها غرست في أعماق قلوبهم أن عمر الإنسان محدود لا تنقصه الجرأة والإقدام في القتال ، ولا يزيده الجبن والتقاعس لحظة واحدة ، وأيقنوا بفضل الله وبفضل هذه العقيدة أن الرزق بيد الله ، ولا يملك واحد في الدنيا أن يزيد في رزق أحدهم شيئاً أو ينقص ، وأن اقدامهم وجرأتهم في القتال لا تنقص من رزقهم حبة خردل ، وتقاعسهم عن القتال لا يزيد في رزقهم وآجالهم شيئاً ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا كان الجبن ولا كان الجبناء ولا نامت أعين الجبناء .

وفي سرية مؤتة لما بلغ المسلمين عند معان قوة النصارى العرب وقوة نصارى الروم الذين خرجوا لقتال المسلمين وبلغ عددهم مائتي ألف مقاتل في حين أن المسلمين كانوا ثلاثة آلاف مقاتل ، أخذ المسلمون يتشاورون ماذا يفعلون أمام هذا العدد الضخم ؟ هل يطلبون المدد من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أم يستمرون في المسير ومجابهة هذه الآلاف المؤلفة ، فوقف عبدالله بن رواحة أحد أمراء مؤتة رضي الله عنه وقال : يا قوم والله إن التي تكرهون للتي هي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين ، إنا ظهور ، وإنا شهادة فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ^(٢).

ولم تتغير هذه الروح المعنوية العالية في القتال عند صدام هذه الآلاف المؤلفة بل لقد حقق

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٦٦/٢ وشرح المواهب ٢٥/٢ .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣٧٥/٢ - ٣٧٦ وتاريخ الطبري ١٠٧/٣ والسيرة النبوية لابن كثير ٤٥٨/٣ - ٤٥٩ والسيرة الحلبية ٧٨٧/٢ .

المسلمون في هذه السرية أهدافهم فأدبوا المعتدين على سفير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقتلوا منهم آلاف عديدة ، وحافظوا على هيبة الدولة الإسلامية ، وأظهروا الروح المعنوية للقتال على قلة عددهم وعدتهم ، أما شهداء المسلمين فلم يتجاوزوا أربعة عشر شهيداً .

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بإسناده إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صحيفة يمانية ^(١) .

أقول : كم كسرت هذه الأسياف الأعناق قبل أن تتكسر وتتقطع ، وكم من الأعناق قطعت الصحيفة اليمنية ، وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وكل واحد من الثلاثة آلاف من المسلمين ثبت ثبات خالد ولم يتراجع القهقري ، قال ابن كثير رحمه الله معقباً على حديث الإمام البخاري رحمه الله : وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلاً ^(٢) .

لقد انتصر المسلمون على قتلهم على الكثرة الكاثرة من صليبي العرب والروم لقوة الروح المعنوية العالية في القتال ، ولقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا النصر وسماء فتحاً .

فقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليه ^(٣) .

وجاء في كتاب الجامع : ثم اتفق المسلمون على خالد بن الوليد ، ففتح الله به وقتلهم ، وقدم البشير بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أخبر بذلك كله (صلى الله عليه وسلم) قبل قدومه ^(٤) .

ومن صور التعبئة المعنوية على القتال تحريم الفرار من وجه العدو عند اللقاء ، والزجر عن ذلك بالنهي الجازم والوعيد الشديد واستحقاق غضب الله ودخول جهنم ، قال تعالى :

(١) صحيح البخاري بفتح الباري ٥٧/٩ .

(٢) السيرة النبوية لأين كثير ٤٧٢/٣ .

(٣) صحيح البخاري بفتح الباري ٥٤/٩ .

(٤) كتاب الجامع ص ٢٩٢ .

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ^(١).

ومن صورة التعبئة ذكر عوامل النصر في المعركة وارشادهم إليها ليراعوها ، قال تعالى :
يا أيها الذين آمنوا إذ لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ^(٢).

فعوامل النصر هي : الثبات عند اللقاء والإستمرار فيه حتى النهاية والإكثار من ذكر الله (فإنه يعينهم ويرفع معنوياتهم أثناء القتال) ، وطاعة الله والرسول (بالتزام أحكام الشرع) والإتحاد وعدم التنازع (فإن التنازع يؤدي إلى الفشل والهزيمة) والصبر على آلام القتال والإخلاص في كل مراحل القتال وعدم الرياء .

(١) الآية ١٦ من سورة الأنفال .

(٢) الآيات ٤٥ - ٤٧ من سورة الأنفال .

توجيه الضربة الأولى للعدو

توجيه الضربة الأولى للعدو

توجيه الضربة الأولى للعدو : لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلم مدى الأثر النفسي البليغ على العدو حين يباغته بضربة قوية ، تزلزل أركانه ، وتهدم بنيانه ، وتربك أفراداه ، فتنهار الروح المعنوية في القتال ، ومن هول هذه الصدمة العنيفة القوية المفاجئة ، تجعله إما أن يستسلم دون قتال أو يولي الأدبار ، أو يطلب الصلح والأمان .

ومن دراستنا لسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في غزواته وسراياه وبعوثه نجد أنه كان حريصاً على توجيه الضربة القوية لعدوه حتى يحقق النصر عليه ، وحتى يقيم المعركة على أرض عدوه لا على أرض المسلمين ، فإن لهذه الحالة أثراً على نفسية المقاتل ونفسية الشعب الذي يرى ما حل بمقاتليه حين وجهت لهم الضربة الأولى .

لقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الضربة الأولى في غزوة ذات الرقاع إلى بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حينما علم أنهم يفكرون بقتال الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، إذ فروا من وجهه وهربوا إلى رؤوس الجبال . وتركوا أطفالهم ونساءهم وأموالهم^(١) .

وسار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى دومة الجندل على رأس ألف مقاتل من المسلمين ، وكان يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى فاجأهم بالإغارة فولوا هاربين لم يبق أحد منهم بساحتهم^(٢) .

ووجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الضربة الأولى إلى بني المصطلق ، فبدأ القتال

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦١/٢ - ٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ٢٠٢/٢ - ٢٠٨ والفتح الرباني ٩١/٢١ .

(٢) غزوة الأحزاب ص ١٩ - ٢٠ .

بالتراشق بالنبال وقتاً يسيراً ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين بأن يحملوا عليهم حملة رجل واحد ، فاستسلموا جميعاً أسارى في أيدي المسلمين ^(١) .

وفي غزوة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الضربة الأولى إليهم ، فحاصروهم وطهر المدينة من رجسهم إذ استسلموا جميعاً لحكمه ، فمنهم من أجلاه من المدينة ومنهم من ضرب أعناقهم كبني قريظة .

وفي غزوة خيبر سار الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى خيبر وفاجأهم بالضربة الأولى وهم غير مستعدين ، منتشرين في مزارعهم ، فلما رأوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولوا هارين يصرخون محمد والله ، محمد والخميس والرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن معه يكبرون بأعلى أصواتهم الله اكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، وتابعتهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذك حصونهم وقتل أبطالهم واستسلموا بعد ذلك صاغرين .

وفي غزوة الفتح الأعظم نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قرر غزو مكة وسار بجيش قوامه عشرة آلاف . ولما اقترب من مكة أمر المسلمين بإشعال النيران فهبت قريش مذعورة من هذه النيران ، فاستسلم قائدها أبو سفيان بعد أن وقع في قبضة المسلمين ، وسار إلى أهل مكة ومعنوياته ضعيفة يأمرهم بالإستسلام وعدم القتال ، بعد أن رأى قوة المسلمين وإصرارهم على القتال

وفي غزوة حنين حينما علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن مالك بن عوف يعد هوازن لحرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فهل أمهله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يحقق ما يريد ؟ لا ، إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد قرر أن يسير إليه في عقر داره ويقاتله وكانت النهاية في صالح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والذين آمنوا معه .

وفي غزوة تبوك ، حينما جاءت الأخبار أن الرومان يعدوا العدة للانقضاض على الدولة الإسلامية واستئصال شأفة المسلمين ، استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المسلمين في

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٦٣/٢ - ٦٤ والسيرة النبوية لابن هشام ٢٨٩/٢ - ٢٩٢ .

الجزيرة العربية لقتال الروم ، وهذا هو أول نفيّر عام دعا إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وحشد رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً ضخماً لم يسبق أن تسنى مثل هذا العدد إذ بلغ ثلاثين ألف مقاتل ، وقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش بنفسه ولما علمت قوات الرومان النصرانية خروج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على رأس الجيش ، انسحبوا إلى العمق ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزيرة من الإمارات الواقعة على حدود الدولة الشمالية ، ورجع سالماً غانماً .

وفي سرية مؤتة نجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أرسل جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة الأمراء الثلاثة فقاتلوا النصارى العرب والروم على أرضهم وقتلوا عدداً كبيراً ، ولقنوهم درساً لم ينسوه في جلد الجندي المسلم في القتال وصبره وشجاعته وثباته .

ونجد هذه السياسة العسكرية الناجحة يتبعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في معظم سراياه وبعوثه . والشواهد على ذلك كثيرة .

ففي العام الرابع من الهجرة النبوية قام طلحة بن خويلد الأسدي وأخوه سلمة بتجميع بني أسد لمهاجمة المدينة ، فما كان منه (صلى الله عليه وسلم) إلا أن أرسل على الفور مائة وخمسين من المقاتلين بقيادة أبي سلمة بن عبد الأسد ، وأمره بمباغتتهم والإغارة عليهم .

ولما فاجأهم فروا من وجهه وتركوا إبلهم وبقرهم وغنمهم فغنم أبو سلمة هذه كلها ، مع ثلاثة من المماليك وعاد منتصراً سالماً غانماً^(١) .

وفي شهر شعبان من السنة السابعة للهجرة ، أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمر بن الخطاب على رأس سرية تتكون من ثلاثين رجلاً إلى عجز هوازن بترية ، وكان يسير بالليل ويكمن النهار فلما سمعوا بمقدم عمر بسريته ولوا مدبرين^(٢) .

وفي شهر شعبان سنة سبع للهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل سرية بقيادة أبي

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ١٢١/٣ - ١٢٢ .

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٧/٢ والمغازي للواقدي ٧٢٢/٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٤١٨/٣ وعبون الأثر ١٤٥/٢ وتاريخ الأمم والملوك ٩٩/٣ وزاد المعاد ٣٥٩/٣ - ٣٦٠ وشرح المواهب ٢٤٩/٢ .

بكر إلى بني بكر بنجد ، فأغارت عليهم بعد صلاة الفجر وقتلت منهم نقرأ وسبوا آخرين ، ومن الذين ابلوا بلاء حسناً في هذه السرية سلمة بن الأكوع إذ قتل وحده سبعة أهل أبيات من المشركين ، وأسر جمعاً غفيراً من الرجال والنساء وساقهم إلى أبي بكر رضي الله عنه ^(١) وفي شهر رمضان سنة سبع لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل غالب بن عبد الله الليثي على رأس سرية بلغ عددها مائة وثلاثين صحابياً إلى بني عوال وبني ثعلبة ، وهم بالميفعة بناحية نجد ، فهاجموهم وجاسوا خلال ديارهم فقتلوا من أشرف لهم ، وغنموا أموالهم واستاقوا الانعام إلى المدينة ^(٢) .

وفي شهر شوال سنة سبع لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من غطفان بالجناد قد واعدتهم عيينة بن حصن الفزاري ليكون معهم ، ليضربوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث سرية بقيادة بشير بن سعد الأنصاري رضي الله عنهما ، وقد بلغ عدد جنودها ثلاثمائة رجل ، فساروا الليل وكمنوا النهار ، حسب ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتوا إلى يمن وجبار فهربوا وتركوا انعامهم فاستقاهم المسلمون ^(٣) .

وفي شهر جمادي الآخرة سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من قضاة قد تجمعوا يريدون أن ينالوا من المسلمين ويأغثوهم ، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن دعا عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وعقد له لواء أبيض ، وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فارساً وأمه بمائتي مقاتل آخر بقيادة أبي عبيدة ، فقاتلوا جميعاً قضاة وطاردوا تجمعاتها ومن حالفها ، فلاذوا بالفرار ولم يثبتوا لقتال المسلمين وسميت هذه السرية

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد : ١١٧ / ٢ - ١١٨ ومختصر صحيح مسلم للمنذري : ٦٤ / ٢ رقم الحديث ١١٤٥ ، وزاد المعاد : ٣ / ٣٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير : ٤١٧ / ٣ وعيون الأثر : ١٤٦ / ٢ ، وتاريخ الأمم والملوك : ٩٩ / ٣ .

(٢) انظر الطبقات الكبرى ١١٩ / ٢ والمغازي للواقدي ٧٢٦ - ٧٢٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٦٢٢ / ٢ - ٦٢٣ .

(٣) انظر الطبقات الكبرى ١٢٠ / ٢ والمغازي للواقدي ٧٨٢ / ٢ وعيون الأثر ١٤٧ / ٢ وشرح المواهب ٢٥٢ / ٢ والسيرة الحلبية ١٩٤ - ١٩٥ .

بسرية ذات السلاسل^(١).

مما سبق نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصاً أشد الحرص على توطيد الأمن في ربوع الدولة الإسلامية ، وأن يشعر كل فرد من رعاياها بالأمن ، والسلم والسلام .

وأن يهاب الأعداء هذه الدولة فلا تسول لهم أنفسهم بالاساءة إليها ، وإلا لقوا العقوبة الصارمة ، والعلاج الحاسم .

لقد كانت هذه القبائل التي توجهت لها السرايا ، تحقد على الاسلام والمسلمين ، وتجاوز هذا الحقد الصدور إلى اتخاذ تدابير واجراءات للانقضاظ على الدولة الاسلامية ، وتقويض اركانها وهدم بنيانها .

وهذه السرايا ترشدنا إلى أن الدفاع عن دولة المسلمين ليس فقط بالتصدي لهجوم هؤلاء الاعداء الحاقدين وصد عدوانهم ، ودحرهم إذا اقتربوا من أرضهم بل يتعدى ذلك إلى غزو العدو في عقر داره ، وقتله وقتاله ، وتدميره ، ومطاردة فلوله وتوجيه ضربات قاصمة تقصم ظهره ، وتكسر عنقه ، حتى لا يكون قادرا على مجرد التفكير بالاعتداء ، بل تقعده عن الحركة والانتشار .

حقا لقد كانت هذه السرايا تطبيقا لهذا التدبير الناجح الذي لم يمكن قبيلة واحدة من هذه القبائل الكثيرة الشريرة من مهاجمة المدينة أو أطرافها ، بل كانت هذه السرايا تجعل ارض المعركة في مناطق هذه القبائل وعلى أراضيها .

(١) انظر المغازي للواقدي ٢ / ٧٦٩ - ٧٧٤ وفتح الباري ٩ / ١٣٦ - ١٣٧ وعمدة القارى ١٨ / ١٢ - ١٣ وكتر العمال ١٠ / ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، وصحيح البخارى متن فتح الباري ١ / ٤٧١ - ٤٧٢ وسنن ابي داود ١ / ٨١ والمنهل العذب المورود ٣ / ١٨٤ - ١٨٩ وكتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي ٢٨٨ - ٢٨٩ وزاد المعاد ٣ / ٣٨٦ - ٣٨٧ .

المحافظة على الأسرار

المحافظة على الأسرار :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً حرصاً شديداً على معرفة أخبار عدوه في وقت السلم والحرب . ليساعده ذلك على وضع خطة في التعامل مع هذا العدو ، ولكنه في نفس الوقت قد كان حريصاً أشد الحرص على اخفاء اسرار المسلمين وحركة الجيوش الإسلامية عن أعدائهم لأن ذلك يضعفهم تخطيطاً وتنفيذاً وتقويماً . ومن أجل ذلك كان يحتفظ بالأسرار ويأمر القادة بالاحتفاظ بالأسرار وعدم افشائها لمن لا تلزمه سواء كان صديقاً أو مسلماً أو عدواً ، وهذه خصلة ضرورية في كل قائد ناجح ، اما افشاء الاسرار فهي مثلبة تقدر في كفاءة أي قائد عسكري ، ولا تؤهله لأن يطلع على الاسرار والمعلومات ومن ثم لا تؤهله لأن يخطط أو يقود .

ولو تتبعنا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته وسراياه وبعوثه لوجدنا أنه كان حريصاً على كتمان خبره عن عدوه وغير عدوه فما هو ذا يأمر المسلمين بالتجهز لفتح مكة ، ويرغب الا يصل هذا الخبر إلى قريش فماذا اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تدابير واجراءات حتى يخفي اسرار هذا الاعداد وهذا التحرك ؟

إن كتب السيرة تخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله تبارك وتعالى أن يأخذ العيون عن المسلمين ، ويعمي الاخبار عن قريش ، ولكنه لم يكتف بالدعاء مع أنه من الأسباب بل سلك اساليب أخرى ، وتدابير واجراءات من شأنها أن تمنع اخباره عن قريش .

ففي غزوة فتح مكة وضع صلى الله عليه وسلم حراساً بقيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقومون بمراقبة كل الطرق المؤدية إلى المدينة ، ويراقبون الخارجين من المدينة والداخلين إليها، ويرد كل من يريد الخروج ويشك في امره حتى لا يوصل أخبار المسلمين إلى قريش ،

وكذلك لا يسمح لأحد بدخول المدينة حتى لا يطلع على اسرار المسلمين^(١) .

وزيادة في التمويه فقد ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة أبي قتادة إلى بطن اضم . وهي باتجاه يغاير اتجاه مكة المكرمة ، ليظن الذي شاهد وسمع خروج السرية أنه (صلى الله عليه وسلم) توجه لتلك الناحية وليس في نية المسلمين التوجه نحو مكة ، وزيادة في التمويه فقد شجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نشر خبر السرية^(٢) .

ولما قام حاطب بن أبي بلتعة بإرسال رسالة مع امرأة مشركة يخبر قريشاً بمسير الرسول (صلى الله عليه وسلم) إليهم ، وعلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك أرسل على بن أبي طالب والزبير بن العوام إلى المرأة وهي في الطريق في روضة خاخ ، فأخذوا منها الرسالة وعاتب الرسول حاطباً معاتبة شديدة ، كما أشار عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، فلم يشفع له أحد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عمل صالح لحاطب وهو حضوره غزوة بدر الكبرى فكان بدرياً^(٣) .

ومما يجدر ذكره هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نجح نجاحاً باهراً في المحافظة على أسرارهم وعدم تسريبها إلى أعدائهم من أهل مكة قادة وجندا ، واستطاع صلى الله عليه وسلم بفضل الله أولاً ثم بفضل ما سلك من سبل الحجب اخباره في إعداد الجيش ومسيره إلى مكة .

والحق ان هذا نجاح ضخم جداً ، يندر أن يتحقق هذا لقادة من القواد في مثل الظروف التي أحاطت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففي المدينة منافقون يتظاهرون بالاسلام ، ويبتغون الكفر ، ويهمهم ألا تهزم قريش ، والا ينتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي المدينة يهود غير الذين قضى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني قينقاع ، ويهود بني النضير ، ويهود بني قريظة ، ومن مصلحتهم أن ينقلوا أخبار المسلمين إلى قريش ،

(١) انظر السيرة الحلبية ٣ / ١٠ وسبل الهدى والرشاد ٥ / ٣١٧ وامتاع الاسماع ١ / ٣٦١ والسيرة النبوية لزيني دخلان ٨٠ / ٢ .

(٢) انظر تاريخ الخميس ٢ / ٧٦ وطبقات ابن سعد ٢ / ١٣٣ وعيون الأثر ٢ / ١٦١ .

(٣) صحيح البخارى متن فتح البارى ١٠ / ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٨ / ٣٠٦ - ٣٠٧ .

والقادمون إلى المدينة ، والخارجون منها قد ينقلون كذلك الخبر .

أضف إلى ذلك أن هذا الجيش اللجب الذي يسير سير السيل ، ويبلغ عشرة آلاف مقاتل ، ومعهم ابلهم ، وخيولهم وأزوادهم ، يسيرون هذه المسافة الشاسعة ، ويقضون أياماً كثيرة في مسيرتهم هذه حيث رغاء الجمال وصهيل الخيل ، ويعار الغنم ، ويصلون الصلوات الخمس ويتناولون وجبات الطعام وينامون في الطريق .

كل هذه الظروف الصعبة التي يتعذر حصر الخبر فيها ، وعدم تسربه ، تحقق كتمان خبر الإعداد والمسيرة والوصول بل وساعة الصفر في بدء العمليات العسكرية .

أقول : إن هذا أمر يدهش له القادة الحذاق في الأمور العسكرية ولا يكاد أحدهم يتصور وقوع هذا لولا أنه وقع ، إنه التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب .

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من بدر في غزوة بدر الكبرى ركب هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبر كما حتى تخبراني من أنتما ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك

فقال : او ذاك بذاك ؟

قال : نعم

قال الشيخ فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقني فهو اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به قريش فلما فرغ من خبره قال : فمن أنتما ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء ثم أنصرف

قال الشيخ : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ^(١) .

ولما أذن الرب تبارك وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر في وقت الهاجرة في وقت لم يكن يأتي فيه أبا بكر عادة ، وهذا كما تعلم أسلوب في اخفاء الحركة عن العدو وعن عيونه ، إذ خرج في وقت تكون عيون الظالمين نائمة . فلما رأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، ولما دخل البيت وجد عند أبي بكر ابنتيه عائشة وأسماء رضي الله عنهما ، فقال له : اخرج عني من عندك ^(٢) .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم اراد أن يلقي لابي بكر خبراً ولا يريد أن يسمعه غيره حتى ولو كانتا ابنتيه زيادة في الحرص والمحافظة على الأسرار .

وكان من أسلوب اخفاء حركة المسلمين عن أعدائهم أن يأمر السرايا والجيوش في الليل أن تكمن في النهار ، لأن الليل يستر الناس ، ويستر حركاتهم .

وكان أيضاً من أسلوب اخفاء حركة المسلمين عن العدو التورية في الحديث وفي الحركة اما في الحديث فيتحدث حديثاً يقصد معنى ويفهم السامع معنى آخر والمعنيان يحتملهما اللفظ ، كما أن يسأل عن الطريق لمكان ماء وهو يريد طريقاً آخر والذهاب إلى مكان آخر ، فيفهم المسؤول أو السامع للسؤال أن السائل يريد أن يتوجه إلى مكان أو قوم وهو في الحقيقة يريد غير المكان وغير القوم .

والتورية في الحركة كأن يتوجه نحو مكان بعكس المكان الذي يتوقع الناس أنه سيذهب إليه ، ففي بداية هجرته صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأبو بكر لم يتوجها نحو المدينة ، بل لجاءا إلى غار ثور ، وغار ثور في جنوبي مكة ، والمهاجر يتوجه الى الشمال ، وهذا يخدع الأعداء ومن ثم لا يصلون إلى أهدافهم .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٣٩٦ .

(٢) انظر صحيح البخاري متن كتاب فتح الباري ٨ / ٢٣٥ .

وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم ان يوري في مغازيه من اجل اخفاء حركته عن اعدائه فيحرمهم من هذه المعلومات التي يستفيدون منها في اعداد الخطط المضادة ولم يكن هذا مجرد حرص من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل هي مدرسة عسكرية نبوية وتلاميذها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدرّبون على يديه في ميدان التطبيق والعمل ، وفي جو المعارك والسرايا .

لقد كان صلى الله عليه وسلم يدرّب أصحابه على الكتمان والمحافظة على الاسرار وضبط النفس ومن الشواهد على ذلك انه صلى الله عليه وسلم ارسل سرية بقيادة عبد الله بن جحش واعطاه رسالة وأمره الا يفتحها ولا يقرأها الا بعد أن يسير يومين وأن ينفذ ما فيها ولا يستكره احدا من افراد السرية على ذلك ولقد امثل عبد الله بن جحش رضي الله عنه الأمر فلم يفتح الكتاب او الرسالة الا بعد ان سار يومين ، ولما فتحه وقرأ ما فيه وجد فيه ما يلي : إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم ، فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال : سمعاً وطاعة ، ثم قال لأصحابه : لقد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امضي إلى نخلة ، أرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهاني أن استكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فمأض لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف منهم أحد^(١) .

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٦٠١ - ٦٠٣ .

الحزم والحسم مع العدو الغادر

الحزم والحسم مع العدو الغادر :

لقد كان (صلى الله عليه وسلم) من خلال غزواته التي قادها وسراياه وعيونه التي ارسلها جازماً مع أعدائه الغادرين ، لأن العلاج الناجع في هذه الحالة هو الحزم والحسم ، وإن سياسة الليونة والتسوية والصبر وسعة الصدر على عدو غادر لئيم ، يمكر ويخطط ويدبر لأستئصال شأفة المسلمين لا فائدة منها ، بل إنها تشجع العدو وتضر المسلمين .

ولقد وضحت هذه السياسة الحازمة في علاقته (صلى الله عليه وسلم) مع يهود بنى قينقاع حينما نقضوا العهد فأذوا امرأة مسلمة وقتلوا مسلماً ثاراً لهذه المرأة المسلمة التي كشف الصائغ اليهودي عن سواتها ، فسار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم وحاصروهم خمس عشرة ليلة فأجلاهم شريطة ترك سلاحهم وأموالهم للمسلمين خلال ثلاثة أيام ، وكلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبادة بن الصامت حليفهم في الجاهلية بإجلائهم عن المدينة فمضى بهم حتى سلكوا طريق الشام ، وهو يقول ، الشرف الابدع الأقصى فالأقصى^(١) .

وحينما نقض يهود بنى النضير العهد مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) فتآمروا على قتله ، وحاولوا تنفيذ المؤامرة بتكليف اليهودي عمرو بن جحاش بن كعب بإلقاء صخرة على رأس الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فكشف الله ذلك لرسوله فرجع إلى المدينة ، وأمر الصحابي محمد بن مسلمة الانصارى أن يذهب إليهم ويبلغهم أمره العسكرى : اخرجوا من بلدي فلا تساكنونى بها . وقد هممت بما هممت به من الغدر ، وقد اجلتكم عشراً ، فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت عنقه .

واستسلم يهود بنى النضير للأمر النبوي إلا أن رأس المنافقين حرضهم على البقاء في المدينة

(١) انظر شرح المواهب ١ / ٤٥٧ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٩ والمغازي للواقدي ١ / ١٧٩ والكامل في التاريخ ٢ / ١٣٨ .

وعدم الخروج منها وأنه سيمدهم بالمدد لقتال الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأرسلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقولون له : إننا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك .

وحينما بلغ النبي (صلى الله عليه وسلم) ، موقف يهود هذا كبر وكبر المسلمون وقال : حاربت يهود ، وسار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على رأس أصحابه يحمل اللواء على بن أبي طالب رضي الله عنه . وضرب عليهم الحصار وشدد عليهم المراقبة ، وقطع بعض نخيلهم ، وحرقه كما دمر بعض المسلمين بيوتهم ونقبوها لدخولها ، وبعد خمسة عشر يوماً من الحصار ملأ الرعب قلوبهم وطلبوا من الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يأذن لهم بمغادرة مساكنهم - كما طلب منهم قبل الحصار - واصطحاب ما يريدون من متاع او سلاح ومال ، فأبى وأشترط عليهم الا يأخذوا معهم قطعة سلاح وأن يسلموا هذه الأسلحة للمسلمين ، وأن يمتلك المسلمون بقية اموالهم بعد خروجهم فرضخوا للأمر النبوي^(١)

وكان حازماً مع يهود بني قريظة . حينما نقضوا العهد وتمالأوا مع الاحزاب للغدر بالمسلمين والقضاء عليهم ، وبعد انتهاء غزوة الاحزاب أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين بالتوجه نحو بني قريظة وقتالهم قائلاً من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة ، فقاد (صلى الله عليه وسلم) المسلمين وحاصرهم ، وحاولوا أن يعرضوا على الرسول عروضاً ينسحبون من المدينة كما انسحب بنو قينقاع وبنو النضير فأبى ، وقرر اقتحام حصونهم فلما رأوا أن الأمر جد وليس بالهزل قبلوا بحكم سعد بن معاذ الذي حكم بأن يقتل المقاتلون وتسبى الذراري وأن تقسم الأموال .

لقد وافق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على حكم سعد وقال له لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ، وأمر بحفر خنادق في سوق المدينة فضرب أعناقهم وأهال عليهم التراب وقد بلغوا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : سبعمائة وخمسين مقاتلاً^(٢) .

(١) انظر صحيح البخاري متن فتح الباري ٢٥٤ / ٨ والطبقات الكبرى ٥٨ / ٢ وعيون الأثر ٤٨ / ٢ - ٤٩ وسنن أبي داود ١٤٠ / ٢ ومغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعروة بن الزبير ص ١٦٦ وتاريخ الخميس ١ / ١٦١ ووفاء الوفاء ٢٩٧ / ١ .

(٢) انظر صحيح البخاري بارشاد الساري ٣٢٩ / ٦ والفتح الرباني ٨٤ / ٢١ والسيرة النبوية لابن هشام ١٤٥ / ٢ وفتح المبدي ١٢٥ / ٣ - ١٢٦ وسنن الترمذي ١٤٤ / ٤ - ١٤٥ رقم الحديث ١٥٨٢ ومنتهى المنقول ص ٢٨٩ الوفاء =

يلاحظ القارئ الكريم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يشفع حلفاء يهود بنى قريظة - وهم الأوس - فيهم كما شفع رأس المنافقين في بنى قينقاع ، والحق أن هناك فرقاً شاسعاً بين الجريمة التي ارتكبتها بنو قريظة والجريمة التي ارتكبتها بنو قينقاع ، فبنو قينقاع تأمروا على رجل من الصحابة فقتلوه حينما اسعف المرأة المسلمة التي اسيء إليها ، أما بنو قريظة فقد تأمروا على كيان الأمة ودولتها وشعبها ، يريدون تقويض اركان الدولة وقتل الأمة ووأدها وهي حية فلا تقوم لها قائمة فهل الجريمتان تتساويان ؟

إن جريمة بنى قريظة أفدح بكثير من جريمة بنى قينقاع ، انها تستهدف وجود الأمة وسحقها وتدميرها ، وتدمير مكاناتها ، وقتل رجالها ونسائها وأطفالها ، انها جريمة بشعة صمموا على اقترافها ، وأعدوا لها ، وشرعوا في تنفيذها ، ولكن الله تبارك وتعالى حال بينهم وبين ما اشتبهوا وخططوا وشرعوا ، وعلى هذا فيجب أن يتناسب الجزاء مع الجريمة ولا يصلح العفو مع الجريمة والخيانة والغدر ، ولا يمنع الغادر عن الغدر بالعفو عنه بل يزيده غدراً وعتواً .

فالقرار الذي يعالج هذه الحالة من الغدر والخيانة ما اتخذ سعد من قتل القادرين على حمل السلاح ، وسبي النساء والذرية وغنم الأموال .

إن قرار سعد بن معاذ الحازم الحاسم بحق بنى قريظة كان نتيجة ادراكه خطورة الجريمة التي ارتكبتها حلفاؤه بحق الدولة الاسلامية ، وكيان الأمة ، ومؤسساتها ، ولقد حذرهم من مغبة هذه الخيانة ، وهذا الغدر ولكنهم لم يتعظوا ولم يعتبروا ، بل سدروا في غيهم .

لقد تخلى رضي الله عنه ، عن كل عاطفة تستجيب لرواسب الجاهلية ، فلم يعبأ برجاء الراجين ، وبتوسل المتوسلين من أقربائه الأوس ، الذين لم يقدرُوا الموقف حق التقدير وجرفتهم عاطفتهم المشوبة برواسب الجاهلية ليضغطوا على سعد ليميل عن الحق والعدل بالتخفيف من العقوبة ، ولكنه لم يستجب ، ونعم ما فعل ، وهذا هو جواب الوحي وتأيده .

لقد قال سعد بوضوح للذين جاءوا يذكرونه بأن يحسن في مواليه : لقد آن لسعد الاتأخذه

في الله لومة لائم^(١) .

وسياسة الحزم والحسم من الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع يهود خيبر هذه الحصون التي أصبحت وكرّاً لكل متآمر ، وملجأ لكل عدو ، ومقراً لكل حاقد على الأسلام والمسلمين ، وان زعماءها الذين جاءوا من المدينة وهم زعماء بني النضير الغادرين برسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمحاولين قتله ، هم الآن يؤلبون القبائل العربية ويقنعون يهود بني قريظة لنقض العهد مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) والقتال مع الاحزاب لاستئصال شأفة المسلمين ، وهم الآن يخزنون اسلحة هجومية كالمنجنيق فالية الخبيثة تجاة دولة الاسلام معروفة ، نية سئة غادرة .

وهم فوق ذلك يشنون حملات ظالمة كاذبة ضد الاسلام والمسلمين ، ويتآمرون مع المنافقين ضد هذه الدولة الاسلامية والأمة الاسلامية التي يقودها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وأمام هذه المعطيات كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حازماً حاسماً مع يهود خيبر إذ قرر أن يغزوهم في عقر دارهم وان يدمر حصونهم وأن يقتل أبطالهم وأن يكسر شوكتهم ويريح المسلمين منهم ، بل ويريح أهل جزيرة العرب منهم ، فقاد جيشاً بنفسه نحو خيبر وفاجأهم بهذا الجيش القوي وقت الصباح وهم في مزارعهم خارج حصونهم ، فلما رأوه ارتبكوا وارتعبوا وخافوا خوفاً شديداً وقالوا محمد والله محمد والخميس ، فكبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكبر المسلمون معه وقال الله اكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ففتح حصونهم وقتل أبطالهم وأخرجهم المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جزيرة العرب أخذاً بتوصية النبي (صلى الله عليه وسلم) وقوله : اخرجوا المشركين من جزيرة العرب^(٢) وقوله (صلى الله عليه وسلم) لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها الا مسلماً ، رواه مسلم في الصحيح^(٣) وقوله (صلى الله عليه وسلم) اخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة

(١) انظر الصراع مع اليهود للدكتور محمد ابو فارس ٢ / ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) صحيح البخارى بفتح الباري ٩ / ١٩٩ .

(٣) السنن الكبرى ٩ / ٢٠٧ - ٢٠٨ .

العرب^(١) .

ولم يكن (صلى الله عليه وسلم) حازماً مع اليهود فحسب بل كان حازماً مع المشركين من العرب فكان يصدر القرارات ويسير الجيوش والسرايا والبعوث لقتال اية قبيلة من قبائل العرب تغدر بالمسلمين او تفكر بالغدر بهم .

وهذا ما نجده واضحاً على سبيل المثال في موقف الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قريش لما نقضت العهد مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) فاعتدت مع بنى بكر على قبيلة خزاعة التي دخلت في حلف الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعقده ، فقتلوهم في الحرم ، وقتلوهم ركعاً وسجداً كما قال شعاعهم عمرو بن سالم .

وحاول أبو سفيان أن يجدد العقد والعهد، فكلم رسول الله ،(صلى الله عليه وسلم) ، وكلم كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم فلم يجبه أحد إلى طلبه ، وعاد بخفي حنين .

وكان قرار الرسول (صلى الله عليه وسلم) وجوابه الحازم لشاعر خزاعة ، نصرت ياعمر بن سالم ،فسير جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل وقاده بنفسه وعاقب المعتدين بحزم وحسم ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حازماً مع اليهود المشركين فحسب بل كان حازماً مع النصارى المعادين الغادرين ، وخير شاهد على ذلك رده (صلى الله عليه وسلم) على مقتل السفير المسلم الحارث بن عمير الازدي ، فأرسل جيش مؤتة من أجل ذلك ، وقاد جيشاً قوامه ثلاثون ألف مقاتل لغزو الروم لما بلغه أنهم يعدون لهجوم المسلمين .

وهذا وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حازماً مع الدولة وكان حازماً مع الافراد المعادين ، فإذا رأى عدواً محارباً يمكر بالمسلمين ويؤذيهم بلسانه ، ويسيء إليهم بتصرفاته ، أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من يؤدبه بحزم ، فيسكت لسانه حتى تقوم الساعة ، بقتله حتى يكون عبرة لكل معتبر .

ومن أمثلة ذلك ما اتخذهُ الرسول (صلى الله عليه وسلم) من علاج حازم وحاسم مع

(١) السنن الكبرى ٩ / ٢٠٨ .

كعب بن الأشرف الذي آذى الله ورسوله كما قال (صلى الله عليه وسلم) ، وآذى المسلمين فهجاهم ، وثبب بنسائهم ، وحرّض المشركين على قتال المسلمين ، وأعلن انه على استعداد للقتال معهم وهو يعيش مع المسلمين ، فاتخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قراره بقتله كما روى الامام البخارى في صحيحه ، وكلف محمد بن مسلمة بتنفيذ ذلك القرار الحاسم الحازم ورخص له أن يقول كلاماً يساعده في تنفيذ الامر النبوي ، فنفذ الامر النبوي وفق خطة مرسومة فقتله وأراح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين من أذاه^(١)

ومما يجدر ذكره أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد ودع محمد بن مسلمة وافراد السرية ومشى معهم إلى بقيع الفرقد ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم اعنهم^(٢).

ومما يجدر ذكره ان قتل ابن الأشرف لم يكن غدرًا ولا غيلة كما يتوهم بعض صغار العقول ، فالافعال التي قام بها تجعله ناقضاً للعهد الذي دخل فيه ، ومن ثم يستوجب عقوبة القتل ، أما أسلوب تنفيذ الحكم فقد اقتضت المصلحة العامة للاسلام والمسلمين على هذا النحو الذي اختاره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، اما الغدر المنهي عنه والمحرم في ديننا مع أي انسان معاهد هو الاعتداء على حياة مواطن معاهد مسالم لم يؤذ أحدا ولم يحرّض عدوا ، ولم ينقض عهده ، هذا يجب ان يعيش مطمئنا على نفسه وماله وعرضه^(٣).

وتكرر هذا الموقف الحازم الحاسم مع عزوك اليهودي إذ أرسل له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من يقتله ففعل وكان المكلف على بن أبي طالب رضي الله عنه^(٤).

وأما أبو رافع اليهودي فقد كان من بني النضير ، وخرج مع من خرج من هذه القبيلة

(١) انظر صحيح البخاري بفتح الباري ٨ / ٣٣٩ - ٣٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٢ - ٥٤ والكامل في التاريخ ٢ / ١٤٣ وانساب الاشراف ١ / ٢٨٤ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٢ وفتح الباري ٨ / ٣٤٢ وعمدة القارى ١٧ / ١٣١ - ١٣٢ .

(٢) انظر فتح الباري ٨ / ٣٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ / ١٣ - ١٤ والفتح الرباني وبلوغ الاماني ٢١ / ٤٩ .

(٣) انظر الصراع مع اليهود ١ / ١١٦ .

(٤) انظر شرح المواهب ٢ / ٨٤ والسيرة النبوية والاثار المحمدية ١ / ٢٦٢ .

اليهودية إلى خير بعدا ارتكابها الخيانة والغدر والتآمر ، ولم يتعظ بذلك ، بل بقي على حقه وغدره وخيائته التي تشربت نفسه بها ، فتوجه في نفر من قومه إلى قريش وغطفان وثقيف ، وقبائل عربية أخرى يؤلبها على حرب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويحرضها على استئصال شأفة المسلمين ، ويذلل الأموال في سبيل ذلك الهدف الشرير، وحاصرت هذه القبائل في غزوة الأحزاب المدينة ولكن الله حال بينها وبين ما تريد .

لقد قرر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قتل أبي رافع اليهودي فأرسل سرية بقيادة عبد الله بن عتبك ، وكان يتقن العبرية فقام بقتله وكسرت رجله جراء ذلك فمسح عليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلم يشتك منها قط^(١) .

إن الحزم مع العدو والحسم في علاج الأعداء ميزة من ميزات القائد الناجح حتى يحافظ على هبة الأمة والقيادة والدولة ، وحتى يقطع الطريق على كل من تسول له نفسه الإساءة للأمة وكيانها السياسي واعراضها ودمائها ، هذا ما اثبتت التجارب قديما وحديثا ، وإن ما يجري اليوم في العالم الاسلامي مع الأعداء من التهاون والضعف واللين مع المعتدين والخائنين والغادرين يتناقض مع المنهج السليم والمنهج الحاسم والحازم الذي يقضي على المشاكل قبل أن تتفاقم ويزداد خطرهما .

(١) صحيح البخاري بمعدة القارى ١٧ / ١٣٥ - ١٣٨ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٧٥ .

المفاجأة وصورها

المفاجأة وصورها

لقد درج الناس أن يعتبروا مفاجأة العدو محصورة في وقت الهجوم عليه ولكن المفاجأة عند العسكريين لها صور كثيرة منها في الوقت ، وقد تكون المفاجأة أيضا بأن توجه للعدو ضربة عسكرية بالهجوم من مكان أو جهة لم يتوقعها العدو ولم يعدلها ، فلم يحشد الحشود الكافية التي تتصدى للقوة المهاجمة .

ومن صور المفاجأة أن تفاجئ عدوك بحشد هائل لم يكن يتوقعه وأن من عنده من محاربين ومقاتلين لا يشبتون أمام هذا الحشد الهائل نسبياً فيسقط في أيدي العدو ، وينهار ولا يقاوم ، بل يستسلم أمام هذا الحشد .

ومن صور المفاجأة أيضاً أن تستخدم نوعاً من السلاح أو التدبير الذي لم يسمع به ولم يعد نفسه له فيضطرب أمره ، ولا يستطيع أن يؤدي دوره في القتال بصورة فعالة ، مما يؤدي إلى خسارة المعركة .

ومن صور المفاجأة أيضاً أن تختار المكان الاستراتيجي الجيد وتضعه في مكان يصعب القتال فيه .

ولو تتبعنا غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) نجده (صلى الله عليه وسلم) قد استخدم جميع صور المفاجأة التي يتحدث عنها العسكريون اليوم .

ففي غزوة بدر الكبرى فاجأ (صلى الله عليه وسلم) مشركي قريش بالمفاجآت التالية مما أضعف قدرتهم على القتال ، وكسب النصر ، بل الحق بهم الهزيمة المذلة ، والأسر المهين ، على كثرة عددهم وعدتهم وفرسانهم وإبلهم .

١- لقد اختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد مشورة اصحابه موقعاً استراتيجياً قوياً في بدر ، إذ عسكر وجعل مياه جميع العيون خلفه وفي حوزته ، وغور القلب ثم بنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه ، وبهذا ضمن الماء لجنده وجعل المشركين في حاجة إلى الماء ، وتحت رحمة المسلمين ، وهذا لم يكن في حساب قادة المشركين ^(١) .

٢- وفاجأهم عند ساعة الصفر في المعركة بمفاجأة أخرى أثرت في قدرتهم على القتال فأضعفتها وجعلت المسلمين الجانب الأقوى ، وهذه المفاجأة هي اختار موقعه وكان القتال اول النهار في الجهة الشرقية ، وجعلهم في الجهة الغربية ، فلما أصبح الصباح وبزغ نور الشمس كانت اشعة الشمس في اعين المشركين ، وكانت في ظهور المسلمين .

ومن المعلوم أن اشعة الشمس تضعف قوة الابصار إذا كانت في العيون ، وهكذا كانت في بدر . إذا ضعفت قوة الابصار عند الجنود المشركين ، وعشت عيونهم عن رؤية خصومهم وضعفت قدرتهم على القتال ، فاصبحوا فريسة سهلة لسيوف المسلمين ورماحهم ونبلهم ^(٢) .

٣- وفاجأهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأسلوب جديد في القتال لم يكن يألفونه ، إذ كانوا يألفون في قتال اعدائهم القتال الفردي وهو قتال الكر والفر ، أما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد استخدم لأول مرة معهم أسلوب قتال الصفوف وفيه يتعاون المقاتلون على اختلاف اسلحتهم ، فكان الجندي من المشركين يواجه صفًا مرصوفاً من رجال أشاوس فيطير قلبه ، وينخلع لبه ، ويولي هارباً ^(٣) وهذا الأسلوب نزل في القرآن الكريم ، قال تعالى : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ^(٤) .

ويعبر عن هذه المفاجأة الاستاذ محمود شيت خطاب فيقول : « ولقد استخدم النبي

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٦٢٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢ / ١٥ وعيون الأثر ١ / ٢٥١ والقلب : هو البئر والجمع قلب .

(٢) انظر عارضة الاحوذى ٧ / ١٧٤ .

(٣) غزوة بدر الكبرى للدكتور محمد أبو فارس ص ٦١ .

(٤) الآية ٤ من سورة الصف .

(صلى الله عليه وسلم) لأول مرة في غزوة بدر أسلوب الصف في قتاله ضد قريش ، بينما جمدت قريش على أسلوب الكر والفر ، وبذلك استطاع النبي (صلى الله عليه وسلم) السيطرة على قوته والاحتفاظ باحتياط للطوارئ .

لقد كان أسلوب الصف في القتال أسلوباً جديداً ، بينما أسلوب الكر والفر أسلوباً بالياً^(١).

وفي غزوة أحد اختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) موقعاً استراتيجياً ممتازاً إذا جعل جبل أحد خلف جيشه ووضع عليه خمسين رامياً ليحمي ظهور المسلمين ، ونتيجة لهذه المفاجأة في الموقع الأقوى كسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الجولة الأولى في المعركة إلا أن المسلمين لم ينجنوا ثمار الانتصار في النهاية لعدم التزام الرماة بالبقاء على الجبل ، فنزلوا وكشفوا بنزولهم ظهور المسلمين فحرموا المسلمين من النصر .

وفي غزوة الأحزاب فاجأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) الأحزاب القادمة لاحتلال المدينة والقضاء على الدولة الإسلامية بالخندق الذي حفره هو والمسلمون بناء على إشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه ، حيث قال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا حولنا »^(٢).

لقد استطاع (صلى الله عليه وسلم) بهذه المفاجأة أن يعزل قوات الأحزاب عن مكان التجمع الرئيسي للقوات المدافعة عن المدينة ، وأن يحول بينها وبين اقتحام المدينة من مداخلها ، لأن هذه المداخل أصبحت محروسة حراسة كافية وقوية بعد حفر الخندق .

ولم يخف قائد الأحزاب أبو سفيان بن حرب مفاجأته بالخندق إذ لم يكن يتوقع ذلك مما أثار حفيظته وغيطه وحاول استدراج النبي (صلى الله عليه وسلم) واستفزازه ليخرج من الخندق فينفذ خطة في قتال المسلمين بقواته التي تعادل اضعاف قوة المسلمين ، فقد أرسل كتاباً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) جاء فيه :

(١) انظر الرسول القائد ٨٥ - ٨٦ والعسكرية العسكرية في غزوات الرسول ص ٣٠٦ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨ / ٣٩٥ .

« باسمك اللهم أحلف باللات والعزى وإساف ونائلة وهبل ، لقد سرت إليك أريد استئصالكم فأراك قد اعتصمت بالخنديق ، وكرهت لقاءنا ، ولك مني يوم كيوم أحد » .

فلما وصلت هذه الرسالة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قرأها عليه أبي بن كعب رضي الله عنه ، فكتب إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : قد أتانا كتابك ، وقد بما غرك يا أحرق بنى غالب وسفاههم بالله الغررو ، وسبحول الله بينك وبين ما تريد ، ويجعل لنا العاقبة ، وليأتين عليك يوم أكسر فيها اللات والعزى واسافا ونائلة وهبل ياسفيه بنى غالب ^(١)

ألا ترى الامل الذي يشع في قلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتفاؤل بالنصر على عدو لثيم في ساعة عسرة وظروف قاسية حيث البرد والشديد والحصار الشديد ، انها الثقة المطلقة في تأييد الله ونصره ، تأمل قوله (صلى الله عليه وسلم) : « ويجعل لنا العاقبة » إنه سينتصر على سدنة الاصنام وسيحطم هذه الأصنام التي يعبدها هؤلاء السدنة والجماهير المغفلة من هذه القبائل المختلفة ، وسيكون في مقدمة الأصنام المكسورة اكبر اصنام العرب في الجزيرة وأشهرها : اللات والعزى واساف ونائلة وهبل .

وفي غزوة الفتح الاعظم فاجأهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باكثر من صورة من صور المفاجأة ، فلقد فاجأهم في الوقت ، إذ لم يعلموا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد قرر غزوهم وأنه خرج من المدينة بجيشه اللجب ، فلم يعدوا للامر عدة ، ولو علموا بذلك لهيأوا أنفسهم ولحشدوا قوتهم واتخذوا التدابير في الدفاع عن المدن ، ولطلبوا المدد من حلفائهم من المشركين ، ولكنهم فوجئوا فلم يفعلوا شيئاً من هذا .

وفاجأهم (صلى الله عليه وسلم) بهذا الحشد الهائل من الجنود المقاتلين الذين لا طاقة لهم به ، إذ أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) المسلمين حينما أحاطوا مكة أن يشعل كل جندي ناراً في ساعة واحدة ، فاشعلت عشرة آلاف نار في ساعة واحدة ، فهب أهل مكة مذعورين ، وهب قاداتها مبهورين يبحثون ، ولما خرج أبو سفيان يستطلع الخبر ورأى ما رأى ادرك أنه مهزوم

(١) انظر أنساب الاشراف ١ / ٣٤٤ وامتاع الاسماع ١ / ٢٣٩ والسيرة الحلبية ٢ / ٦٥٧ والسيرة النبوية والآثار المحمدية ٢ / ١٢ والعقبة العسكرية في غزوات الرسول ٤٦٨ - ٤٦٩ وخاتم النبيين ٩٢٠ - ٩٢١ .

لا محالة فاستسلم وأسلم ، وحتى يقنع أبو سفيان غيره من أهل مكة بالاستسلام أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن تمر كتائب الجيش الاسلامي امام أبي سفيان وهو بفم الشعب

وكان اول من قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خالد بن الوليد رضي الله عنه في بني سليم وهي ألف ومعهم لواءان وراية ، فلما مروا بأبي سفيان كبروا ثلاث تكبيرات ثم مضوا، فقال ابو سفيان يا عباس من هؤلاء؟ فقال : هذا خالد بن الوليد ، قال : الغلام؟ قال : نعم، قال : ومن معه؟ قال : بنو سليم ، وأخذت كل قبيلة بقادتها والويتها وراياتها تمر أمام أبي سفيان ، وكلما مرت قبيلة ذهل بقوة الجيش الغازي وأيقن انه ليس به لهؤلاء طاقة ، فقال لما رأى قوة هذا الجيش للعباس عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً فقال له العباس : يا أبا سفيان : إنها النبوة^(١) .

ثم ارسل العباس أبا سفيان بن حرب قائد مكة بعد ذلك وقد اقتنع يقيناً أن قريشا لا تقوى على ملاقة هذا الجيش ومصادمته ، ليبلغ قريشاً ما شاهد وما اقتنع به ، فانطلق بسرعة إلى أهل مكة يدعوهم إلى الاستسلام صائحا بأعلى صوته : يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن ، ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجعل الناس يقتحمون الدور ويغلقون الابواب عليهم ، ويطرحون السلاح في الطريق حتى يأخذه المسلمون^(٢) .

وفي سيرة ابن هشام قال العباس لأبي سفيان : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقامت زوجة هند فقالت : قبحت من طليعة قوم ... فقال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به ... فتفرق الناس إلى دورهم والمسجد^(٣) .

لقد كانت هذه المفاجأة مذهلة لأهل مكة وفي مقدمتهم قادتهم العسكريين ، فحطمت الروح المعنوية عندهم فانهاروا واستسلموا .

(١) انظر سبل الهدى والرشاد ٣٣١-٣٣٤ وصحيح البخاري متن فتح الباري ٩ / ٦٦ - ٦٩ وامتاع الاسماع ١ / ٣٧٣ - ٣٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٥٤٩ - ٥٥٠ .

(٢) انظر سبل الهدى والرشاد ٥ / ٣٤٦ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٠٤ - ٤٠٥ وزاد المعاد ٣ / ٤٠٤ .

قال الاستاذ العسكري محمد فرج : « لقد كانت نظرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى معنويات المقاتل ونفسيته واهتمامه الزائد بهما سبقاً فكرياً في مجال المعركة والقتال حتى ان القيادات العسكرية التي جاءت بعد الاسلام قد آمنت بهذه النظرة وجعلتها موضع العناية والاهتمام ، وانا بعد وقوفنا على احداث فتح مكة سنلمس مدى التوافق الكبير في التفكير العسكري لدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولدى القيادات العسكرية الحديثة ، فها هو ذا المخطط العسكري الصيني سن تزو يقول : إن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو دون قتال ، وها هو ذا لينين يقول : إن أصح استراتيجية للحرب هي أن تؤجل العمليات الحربية حتى يهبطت القوى النفسية للعدو إلى الضربة القاضية بسهولة ويسر ، وها هو ذا روشينج يقول : إن استراتيجيةنا هي أن ندفع العدو إلى تحطيم نفسه او نهزمه عن طريق نفسه^(١) .

وكان عنصر المفاجأة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتكرر في معظم سرايا التي كان يرسلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى اعدائه ، فكانوا من هول المفاجأة يتركون اموالهم واطفالهم ونساءهم ويلوذون بالفرار إن كتب لهم النجاة .

(١) العبقريّة العسكريّة في غزوات الرسول ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

اهمية الضربة الاقتصادية وتأثيرها على الناحية العسكرية

اهمية الضربة الاقتصادية وأثرها على الناحية العسكرية:

إن من المعلوم أن الاقتصاد القوي ينتج دولة قوية ، فالمال عصب الحياة ، به يشتري السلاح ، وبه ينفق على المقاتلين ، وبه يجهز الغزاة ، ومن هنا كان الجهاد بالمال من أنواع الجهاد المعتبرة ، ففي الحديث من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً فقد غزا .

وان توجيه ضربات القوية لاقتصاد العدو يضعف قدرته العسكرية ، وتدمير اقتصاده يعني تدمير قوته العسكرية ، واضعاف روحه المعنوية ، ومن ثم استسلامه ، ولقد شاهدنا في الحروب الحديثة أن الدولة إذا دمرت اقتصادياً لم يكن امامها سوى الاستسلام ومن هنا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخطط لضرب اقتصاد الأعداء حتى يضعفهم ويضعف قدرتهم على المقاومة .

واننا نجد أن بعض السرايا التي أرسلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان من أهدافها توجيه ضربة قوية ومدمرة لاقتصاد العدو ، وقد افلح في ضرب الحصار الاقتصادي على قريش ، وتوجيه أكثر من ضربة انهكت الاقتصاد القرشي .

لقد كانت قبيلة قريش تعتمد في بناء اقتصادها على التجارة الخارجية ، وكان لها رحلات في الصيف إلى بلاد الشام ، ورحلات في الشتاء إلى بلاد اليمن ، وقد سجل هذا في القرآن في سورة قريش : (رحلة الشتاء والصيف) . وكانت القبائل العربية لا تتعرض لهذه القوافل بل تقوم على حراستها وحمايتها .

وعلى ضوء هذا الأمن الذي كان متوفراً لرحلات قريش التجارية في الشتاء والصيف كان الناس يثقون بالتعامل مع قريش .

ولقد استطاع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يؤثر على ثقة الناس بقريش من

الناحية المالية والاقتصادية ، وذلك بإرسال السرايا لتطارده هذه القوافل التجارية ، وتحاصرها وتستولي عليها .

ونتيجة لهذه السياسة النبوية المحكمة ضاقت السبل امام قريش وقوافلها ، فأخذت تبحث عن طرق أخرى غير معروفة وفي نفس الوقت مكلفة مالياً وزمنياً ويدلنا على هذا ما ذكره ابن اسحق في سرية زيد بن حارثة ، حيث خافت قريش طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ، و معه فضة كثيرة ، وهي اعظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بني وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم على ذلك الطريق فبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زيد بن حارثة فلقاهم على ذلك الماء فاصاب تلك العير وما فيها ، فقدم بها على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ^(١) .

حقاً لقد اضطرب أمر قريش واقتصادها بسبب هذه الحملات عليه ، ويعبر عن هذا القلق والاضطراب الذي يعيشه أهل مكة بعد أن عطلت قوافلهم التجارية أحد قادة قريش العسكريين والاقتصاديين بقوله : (إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ، ودخل عامتهم معه ، فما ندري اين نسلك ؟ وإن أقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في دارنا هذه مالنا بها مقام ، وانما نزلناها على التجارة إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى أرض الحبشة ^(٢) .

ونحن نعلم جميعاً ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حينما علم بقدوم قافلة قريش التجارية من الشام قال لمن حضر من أصحابه ها هي عير قريش قد اقبلت من الشام فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها ، فخرج منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، غير طريق القافلة ونجا من المسلمين .

وفي غزوة بني النضير أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقطع نخيلهم فاستسلموا وأجلوا من المدينة مرغمين .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ٢ / ٣٦ .

(٢) المغازي للواقدي ١٩٥ - ١٩٦ .

كما أن السرايا التي أرسلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى القبائل العربية الأخرى كانت في أغلبيتها توجه ضرباتها القوية لاقتصاد القبائل المغزوة ، فقد كانت نتائج هذه الغزوات أن يفر أهل المنطقة من وجوه المقاتلين المسلمين ، تاركين وراءهم أموالهم من ابل وأغنام ودراهم ومتاع ، فيستولي عليها المسلمون ويغنمونها .

وكتب السيرة تذكر لنا ما أحدثه أبو بصير وأبو جندل وسائر الذين فروا بدينهم من قبائلهم وانضموا إليهما من هزة للإقتصاد القرشي والامني إذ وجهوا ضربات موجعة ومؤثرة على قريش اقتصادياً وأمنياً.

جاء في صحيح البخاري : (حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت إلى بلاد الشام الا اعترضوا لها ، فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) تناشده بالله والرحم لما أرسل ، فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) إليهم^(١) .

وبعد الهدنة التي عقدها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديبية مع مشركي مكة لم تتوقف هذه الحملات العسكرية على الأعداء الآخرين ، بل ازدادت واشتدت وكانت تستهدف اضعاف الروح المعنوية القتالية وانهاك الاقتصاد لهؤلاء الأعداء .

وخير شاهد على ذلك ما حدث في سرية أبي بكر التي هاجم فيها بني كلاب بنجد^(٢) .

وسرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني عوال و بني ثعلبة^(٣) .

وسرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجيار^(٤) .

(١) صحيح البخاري بفتح الباري ٢٧٦/٦ - ٢٧٩ وانظر حقائق الانوار ٥٦/١ وخلاصة الأثر ٢٥٤ - ٢٥٦ ومسند البيهقي ٢٢٧/٩ والروضة الأنف ٣٨/٤ والسيرة النبوية لابن هشام ٣٢٣/٢ .

(٢) غزوة الحديبية للدكتور محمد أبو فارس ص ١٨٦ .

(٣) المرجع السابق ١٨٧ - ١٨٨ .

(٤) المرجع السابق ١٨٨ - ١٨٩ .

وسرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بالكديد^(١).

وسرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد^(٢).

(١) المرجع السابق ١٩٠ - ١٩١.

(٢) المرجع السابق ١٩١ - ١٩٢.

الحرب خدعة

الحرب خدعة

إن الحروب قديماً وحديثاً تقوم على مخادعة كل عدو لعدوه ، والإيقاع به ، حتي يتفوق عليه ويهزمه ، ويحقق هدفه الذي دفعه للحرب معه ، ولقد لخص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذه القاعدة العسكرية التي لا يستغني عنها أحد من القادة العسكريين ، ولا تغيب عن فكره وتديره بكلمتين ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (الحرب خدعة)^(١) .

والتدبر لسيرته (صلى الله عليه وسلم) وسيرة اصحابه رضوان الله عليهم في غزواته وسراياه وبعوثه يجد أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يعتمد هذا المبدأ في القتال ، ويضع من الخطط ما يوقع عدوه ويخدعه ، وقد كان (صلى الله عليه وسلم) يحض القادة العسكريين من المسلمين بالاهتمام بخدعة العدو ، وتجنب الوقوع في خدعه ، بالحيلة واليقظة والمراقبة .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يسلك أساليب كثيرة في خداع الأعداء ، وكان يحقق ما يريد أخذاً بالمبدأ القائل : الحرب خدعة .

١- أسلوب المفاجأة والمباغته : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستخدم أسلوب المباغته والمفاجأة في قتاله وتخطيطه ، وكان لهذا الأسلوب صور منها ، مفاجأة العدو بمهاجمته في وقت لا يتوقعه ، أو في مكان أو جهة لا يتوقع الهجوم عليه منها ، أو باستخدام سلاح لم يكن عدوه يتوقع وجوده عنده ، أو أنه سيستخدمه في هذه المعركة ، أو بحشد هائل من الجنود والمعدات لم يكن عدو يتوقعها ، ومن ثم لم يعد العدة للتصدي لها ومقاومتها فربك أرباكاً شديداً ، وتنهار معنوياته في القتال ، ويستسلم لأول وهلة .

وكان يفاجئ عدوه أيضاً بأسلوب في القتال لم يكن عدوه يعرفه أو يألفه ثم لا يقوى على

(١) مختصر صحيح مسلم للمنتدري رقم ١١٢٨ .

اتخاذ التدابير الناجحة للتصدي له وابطاله^(١) .

٢- تزويد العدو بمعلومات لتضليله وخداعه : ومن اساليب الخدعة تزويد العدو بمعلومات عن المسلمين غير صحيحة لتضليل هذا العدو وخداعه ، ويؤثر ذلك على خطته وقراراته العسكرية وفي السيرة شواهد على هذا الأسلوب .

ففي غزوة الاحزاب حينما نقضت بنو قرظة العهد مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وانضمت إلى الاحزاب لاستئصال شافة المسلمين في المدينة والقضاء على الدولة الاسلامية ، قام نعيم بن مسعود بتوجيه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخدعة يهود قريظة وقبيلة غطفان وقبيلة قريش وسائر قبائل الاحزاب ، وذلك بتزويدهم جميعا بمعلومات أدت إلى تفرقهم بعد اتفاق ، وإلى عدم ثقة كل فريق بالآخر ، ومن ثم عجزهم عن تنفيذ الهدف الذي كانوا يسعون إليه .

لقد جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الخندق وكان أمر المسلمين مضطربا كما وصف القرآن ، وبلغت القلوب الحناجر^(٢) ، فقال يا رسول الله إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا باسلامي ، فمرني بما شئت ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة .

خرج نعيم بن مسعود إلى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم ، ثم قال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وابنائكم ونسأؤكم ، لا تقدرُوا أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونسأؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة اصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ، يكونون بأيديكم ، ثقة لكم على أن

(١) ذكرنا هذا مفصلاً في عنصر المفاجأة مع شواهد .

(٢) غزوة الاحزاب للدكتور محمد أبو فارس ص ١٧٥ - ١٧٨ نقلاً عن السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٢٩ - ٢٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢١٤ - ٢١٦ والدرر في اختصار المغازي والسير ١٨٦ - ١٨٧ .

تقاتلوا معهم محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأي .

ثم جاء إلى أبي سفيان ومن معه فقال لهم : إني قد بلغني أمر قد رأيت علي حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتبوا عني ، فقالوا : نفعل ، قال : تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فما بينهم وبين محمد ((صلى الله عليه وسلم)) وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان ، رجالا من أشrafهم ، فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت لكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً .

ثم جاء إلى غطفان فقال لهم ما قال لقريش وحذرهم من اعطاء بني قريظة رهائن من رجالهم ، ولما أرسل أبو سفيان قائد الأحزاب إلى بني قريظة يطلب بدء القتال والهجوم على المدينة المنورة قالت بنو قريظة : لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب ونالت منكم ، واشتد عليكم القتال أن تنسحبوا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه ، فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود الحق ، فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع لكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود الحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأو فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انسحبوا إلى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم محمداً، حتى تعطونا رهناً ، فأبوا عليهم ، وخذّل الله بينهم ^(١) .

تأمل كيف استطاع نعيم بن مسعود أن يزود قريشا وغطفان بمعلومات موهومة عن بني قريظة ويزود بني قريظة بمعلومات عن قريش وغطفان ، ترتب على هذه المعلومات المضللة مواقف أدت إلى تفريق الأحزاب وهزيمتهم .

(١) غزوة الأحزاب للدكتور محمد أبو فارس ص ١٧٥ - ١٧٨ نقلاً عن السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٢٩ - ٢٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢١٤ - ٢١٦ والدرر في اختصار المغازي والسير ١٨٦ - ١٨٧ .

ومن الشواهد ايضا على تزويد العدو بمعلومات لتضليله ما فعل الحجاج بن علاط بعد هزيمة اليهود في خيبر بقريش ، إذا قال الحجاج لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن لي بمكة مالا ، وإن لي بها اهلا ، وإني أريد أن آتيهم، فإني في حل إن نلت منك او قلت شيئا ؟ فأذن له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان يقول ما شاء .

فأتى امرأته حين قدم ، فقال : اجمعى لي ما كان عندك ، فإني أريد أن اشترى من غنائم محمد وأصحابه ، فإنهم قد استبيحوا وأصببت أموالهم ، ففشا ذلك في مكة ، وأنقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحا وسرورا ، فبلغ ذلك العباس فحزن حزنا شديدا لدرجة أنه لم يقدر على القيام والحركة ، وارسل غلاما إلى الحجاج بن علاط ويطلب ما جئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خيرا مما جئت به فقال الحجاج لغلامه : أقرأ على أبي الفضل السلام ، وقل له : فليخل لي في بعض بيوته فإن الخبر على ما يسره ففرح العباس لبشراه فأعتقه ، ثم جاء الحجاج فأخبره ان رسول (صلى الله عليه وسلم) انتصر على يهود خيبر وفتحها وغنم أموالهم ... وانه جاء لمال له ليجمعه ، واستأذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أن يقول ما قال فذهب العباس بعد ثلاثة أيام إلى مجالس قریش ، وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا الخير يا أبا الفضل . قال : لم يصبني الا خير بحمد الله ، قد اخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر قد فتحها الله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألتني أن اخفي عليه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله ، وما كان له من شيء ها هنا ، ثم يذهب ، فرد الله الكتابة التي كانت بالمسلمين على المشركين^(١).

٣- تمزيق جبهة العدو : ومن صور خديعة العدو محاولة تصديع جبهة القتالية ، وغرس بذور الشقاق والاختلاف فيها بحيث يؤدي ذلك إلى التنازع والفشل ، ومن ذلك ما فعله نعيم ابن مسعود رضي الله عنه في ايجاد الاختلاف بين غطفان وقريش وقريظة .

ومن الشواهد ايضا في غزوة الاحزاب استدعاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زعماء غطفان وعرضه عليهم أن يعودوا إلى موطنهم دون مشاركة قریش والاحزاب في القتال

(١) روي هذه القصة الصحيحة الإمام أحمد ، انظر كتاب الفتح الرباني ٢١ / ١٢١ - ١٢٣ وانظر السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٤١٠ ومختصر بلوغ الاماني ٢١ / ١٢٢ .

ولهم ثلث ثمار المدينة فوافقوا على ذلك .

ويقع ضمن هذا الاسلوب ما فعله الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع القبائل اليهودية في المدينة ، إذا عقد العقد بين المسلمين كأمة واحدة من أنصار ومهاجرين وبين كل قبيلة يهودية على حدة ، ولم يعقد معهم عقدا واحدا كأمة واحدة ، حتى لا يؤلف بين قلوب هؤلاء الاعداء ، ولا يجمع كلمتهم وقوتهم على معاداة الاسلام والمسلمين ، ولهذا كانت كل قبيلة تنقض العهد مع المسلمين يعاقبها دون القبائل اليهودية الأخرى .

٤- الحيلة : ومن وسائل الخدعة ابتكار الحيل واستخدامها مع العدو ، وفي كتب السيرة ما يدل على هذا الاسلوب ، ففي هرب أبي بصير بعد هدنة الحديبية، إلى المدينة ورفض المشركين السماح له بذلك وارسال من يطالب الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالوفاء بينود الحديبية ، وارجاع أبي بصير معهم وخدعته لأحد اعضاء الوفد وقتله وهرب الآخر دليل على ذلك وشاهد عليه .

فقد حدثنا الامام البخاري رحمه الله في صحيحه عن قصة ابي بصير وحيلته فقال : ثم رجع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ، فجاء ابو بصير ، رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهد الذي جعلت لنا ، فدفعه ، إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال ابو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه جيد ، لقد جربت به ثم جربت ، فقال ابو بصير : ارني انظر إليه فأمكنه به ، فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول (صلى الله عليه وسلم) حين رآه : لقد رأى هذا ذعرا ، فلما انتهى إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : صاحبي وإني لمقتول ، فجاء ابو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ، ثم انجاني الله منهم قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد ، فلما سمع ذلك عرف انه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر^(١) .

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ٦ / ٢٧٦ - ٢٧٩ وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣٢٣ والرض الانف ٤ / ٣٨ وحدثنا الانوار ١ / ٥٦ وسنن البيهقي ٩ / ٢٢٧ وخلاصة الاثر ٢٥٤ - ٢٥٦ .

اقول : لقد تحايل ابو بصير على العامري حين اعطاه سيفه فضربه حتي مات ، ولم ينكر عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعله هذا بل امتدحه عليه .

ومن الشواهد على ذلك أيضا ما احتال به محمد بن مسلمة على كعب بن الأشرف حينما جاء يقتله تنفيذا لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، إذ دخل على كعب مع رجلين وقال لهما : إذ ما جاء فإني قابض بشعره فأشمه ، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه ، فنزل كعب إليهم متوشحا ، وهو ينفخ منه ريح الطيب ، فقال محمد بن مسلمة : أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال : نعم شمه ، ثم أشم أصحابه . ثم قال : أتأذن لي ؟ قال : نعم ، فلما استمكن منه قال : دونكم فاقتلوه ، ثم أتوا النبي (صلى الله عليه وسلم) فأخبروه^(١) .

٥ - التورية في الكلام وفي الحركة : ومن أساليب الخدعة في الحرب مع الأعداء التورية في الكلام والتورية في الحركة .

والتورية في الكلام أن يتكلم المتكلم بكلام يفهم السامع منه معنى ويقصد المتحدث معنى آخر والمعنيان يحتملهما الكلام ، إلا أن المعنى الذي فهمه السامع هو المعنى المتبادر للذهن من سماع الكلام والمعنى الذي إرادته المتكلم هو المعنى البعيد الذي لا يتبادر إلى ذهن السامع عادة .

وهذا الأسلوب استخدمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في غزوة بدر الكبرى حينما سأل رجلاً عن موقع المشركين والمسلمين في بدر فأخبره الرجل بمكان المشركين ومكان المسلمين ، ثم سأل الرجل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أنتما فقال : نحن من ماء ، فأصبح الرجل في حيرة يحدث نفسه ما من ماء ؟ من ماء العراق ؟^(٢)

فالنبي (صلى الله عليه وسلم) أراد هنا أن الله خلقه من ماء كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾^(٣) ، وقوله سبحانه : ﴿وَالْمِنْ خَلَقَكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾^(٤) .

(١) انظر صحيح البخاري بفتح الباري ٨ / ٣٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٩ .

(٢) غزوة بدر للدكتور محمد أبوا فارس ص ٤٣ .

(٣) الآية ٤٥ من سورة النور .

(٤) الآية ٢٠ من سورة المرسلات .

ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم الهجرة لرجل سأل عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكان يتقدم أبا بكر فقال : هذا رجل يهديني السبل . إذ أراد أبو بكر معنى لا يخفى ، وفهم الرجل معنى آخر هو أن الرسول دليل الطريق الذي يسير مع أبي بكر .

أما التورية في الحركة فيقصد منها أن يفهم الرائي لها فهما لا يقصده المتصرف بها ، بل يقصد معنى آخر يريد أن يخفيه عن المشاهد ، ويلقي في روعه المعنى المتبادر لذهنه ، زيادة في التمويه وإخفاء الحركة .

ومثال ذلك ذهاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم الهجرة إلى غار ثور وهو في جنوب مكة والذي سيبحث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) سيتجه نحو الشمال أي نحو المدينة .

ومن شواهد ذلك أيضاً أن يسأل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن طريق لمكان ما يفهم السامع للسؤال أنه سيتوجه إليه ، وهو يقصد السير إلى مكان آخر ، وإنما أراد من ذلك إيقاع السامع في الوهم والجهالة عما يريد .

ومن صور ذلك أنه يرسل السرية لمكان ويريد أن يغزو مكانا بجيشه ، ويعمل على إشاعة خبر السرية دون الجيش والجهة التي توجهت إليها السرية ، رغبة في إخفاء الحركة وهكذا كان هديه في معظم غزواته فقد كان يوري فيها .

ففي غزوة فتح مكة قبل أن ينطلق بجيشه لفتح مكة أرسل سرية إلى بطن أضم وإشاع خبرها كي يحجب خبر جيشه عن العيون وعن قريش فيفاجئهم ، وقد كان .

اتخاذ الأدلاء في الطرق العسكرية

اتخاذ الأدلاء والخبراء في التحركات العسكرية :

والذي يستعرض سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نجده حريصاً على الاستفادة من الخبراء بالطرق العسكرية الآمنة ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يختار الأدلاء ، وكانوا مهرة في هذا الفن ، وكانت الأهداف المنشودة تتحقق باستخدامهم ، إذ كانوا يرشدون الجيوش الى الطرق الآمنة فتسلكها ، و إلى أقصر هذه الطرق احياناً مع أمنها لتصل إلى أهدافها بسرعة .

فالسيرة تخبرنا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد امتعان بعبد الله بن أريقط المشرك واتخذة دليلاً في طريقه إلى المدينة في هجرته إليها ، وكان معروفاً بأنه ماهر في معرفة الطرق الآمنة^(١) .

ونجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في غزوة أحد حينما أراد أن يصل إلى موقع المعركة وقرباً من منزل المشركين قال لأصحابه : « من يخرج بنا على القوم من كتيب - أي من طريق قريب - لا يمر بنا عليهم ؟ فقال ابو خيثمة : أنا يا رسول الله .

فنفذ به من حرة بني حارثة وبين اموالهم حتى دخل في بستان للمربع بن قيطي الحارثي فتابع سيره حتى وصل قبيل بزوغ الفجر المكان الذي اراده رسول الله (صلى الله عليه وسلم)^(٢) .

وفي غزوة دومة الجندل الواقعة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة الخامسة لمهاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دليلاً له من بني عذرة يقال له مذكور^(٣) .

(١) زاد المعاد ٣ / ٥٢ .

(٢) غزوة أحد للدكتور أبو فارس ص ٦٠ نقلاً عن السيرة الحلبية ٢ / ٤٩٥ .

(٣) غزوة الاحزاب ص ١٩ - ٢٠ .

وفي غزوة الحديبية لما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن قريشاً قد خرجت تعترض طريقه ، ونصبت كميناً له ولأصحابه بقيادة خالد بن الوليد ، وهو لم يكن قد قرر المصادمة مع قريش رأى (صلى الله عليه وسلم) أن يغير طريق الجيش الاسلامي ، تفادياً للصدام مع المشركين ، فقال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريق وعرا بين شعاب ، شق على المسلمين السير فيه ، حتى خرجوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي^(١) .

وحين ارسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سرية عمر بن الخطاب في السابع من مهاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اتخذ له دليلاً من بني هلال ، فكان يسير بهم الليل ويكمن النهار^(٢) .

وكان الدليل في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني عوال وبني ثعلبة ، يسار ، مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)^(٣) .

وفي غزوة تبوك اختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دليلاً له ، هو علقمة ابن الفغواء الخزاعي^(٤) .

ولما ذهب المسلمون إلى خيبر يغزونهم بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت معرفتهم لطرق خيبر قليلة وضعيفة وكذلك عن طبيعة خيبر فاستعانوا بأدلاء أهل خبرة حتى وصل الجيش إلى خيبر آمناً ، ومن هؤلاء الأدلاء الذين اختارهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القائد حسيل بن خارجة ، وعبد الله بن نعيم ، كلاهما من قبيلة اشجع النجدية التي يرتاد رجالها دائماً في الجاهلية خيبر^(٥)

(١) السيرة النبوية لأبن هشام ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠ والمغازي النبوية للزهرى ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) غزوة الحديبية للدكتور محمد أبو فارس ص ١٨٦ .

(٣) غزوة الحديبية للدكتور محمد أبو فارس ص ١٨٨ .

(٤) انظر امتاع الاسماع ١ / ٤٥١ وشرح المواهب اللدنية ٣ / ٧٢ .

(٥) اقتباس النظام العسكري في عهد الرسول ص ٢٥٩ نقلاً عن غزوة خيبر للاستاذ باشميل ص ١١١ .

الانضباط العسكري

الانضباط العسكري :

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قدوة في الانضباط والتنظيم حريصاً على أن يعلم أصحابه الانضباط والتنظيم ، وأن يتقيدوا بالأمر العسكري دون تفلت ، لأن الأمور العسكرية الناجحة تقوم على الضبط والربط ، وعلى التنظيم الدقيق ، والشواهد على ذلك من سيرته (صلى الله عليه وسلم) كثيرة نسوق بعضها :

ففي العقبة الثانية لما بايع الأنصار من أهل المدينة المنورة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سرّاً وأمرهم بالانصراف وألا ينبهوا نائماً ، ولا ينتظروا غائباً ، وأن يخفوا جرسهم ، فإن عليهم عيوناً قالوا : والذي بعثك بالحق إن ثبث لنميلن على أهل منى بأسياقنا ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لم تؤمر بذلك ، ارجعوا إلى رحالكم ، فالتزم الجميع بذلك ، ولم ينفرد أحدهم بفعل قد يجر على المسلمين شراً ووبالاً^(١) .

وهكذا ينبغي أن يقف الجندي المسلم منضبطاً مطيعاً لأمر القائد ، لاتدفعه نزوة العاطفة القيام بفعل يلحق الضرر بالجماعة المسلمة دون فائدة ترجى .

ومما يجدر ذكره هنا أن الأنصار الذين بايعوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في العقبة الثانية قد جاءوا في موسم الحج مع قومهم المشركين وناموا معهم ، ثم أخذوا يتسللون من بينهم فرادى ويذهبون إلى العقبة حيث تواعدوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولما بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجعوا إلى مضاجعهم ، فناموا دون أن يشعر قومهم بذهابهم وإيابهم ، ولما أصبحوا جاء وفد من زعماء قريش إلى منازلهم مع قومهم فقالوا : يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٢٠٤ .

حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم .

فهب المشركون من أهل المدينة يحلفون ما كان من هذا شئ وما علمناه ، فصدقوهم وقد صدقوا فلم يعلموا ، وبعض المسلمين ينظر إلى بعض^(١) .

تأمل هذا الانضباط والخفة في الحركة عند مفارقتهم مضاجعهم مع قومهم من المشركين وعند عودتهم إليها دون أن يشعر بهم أحد ، وتأمل هذا الانضباط في تنفيذ الأمر النبوي . وفي غزوة الأحزاب دب الذعر في نهايتها في صفوف المشركين ، وساد الاضطراب ، بعد أن هبت رياح شديدة خلعت الخيام وقلبت القدور ، فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كاتم سره حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليستطلع الخبر على ألا يحدث شيئاً في صفوف المشركين . ففعل رضي الله عنه .

روى الامام مسلم في صحيحه بإسناده عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال رجل : لو ادركت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قاتلت معه ، وأبليت ، فقال حذيفة ، أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة الأحزاب ، وأخذتنا ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ألا رجل يأتني بخبر القوم ، جعله الله معي يوم القيامة ، فسكتنا ، فلم يجبه أحد ، ثم قال : ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا ، فلم يجبه منا أحد ثم قال : قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم ، فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم .

قال : اذهب فأتني بخبر القوم ولا تدعهم علي ، فلما وليت من عنده جعلت كأتما أمشي في حمام حتى أتيتهم ، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار ، فوضعت سهمي في كبد القوس ، فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « ولا تدعهم علي » ، ولو رميته لأصبته ، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام ، فلما أتيت فأكبرته بخبر القوم ، وفرغت قررت « بردت » فألبسني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من فضل عبادة كانت عليه يصلي

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥ .

فيها ، فلم أزل نائماً حتى أصبحت ، فلما أصبحت قال : قم يانومان ^(١).

وورد في مسند الامام احمد زيادة على هذا الحديث : « فد خلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ما تفعل ولا تفر لهم قدر ، ولا نار ولا بناء ، فقال أبو سفيان بن حرب : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه ، قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي الى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع ، وأخلفتنا بنو قريظة ، بلغنا منهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل ، ثم قام إلى جملة ، وهو معقول ، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث ، فما اطلق عقله الا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ، ثم شئت لقتله بسهم ^(٢) .

من هذا الخبر الدقيق المفصل نلاحظ الانضباط العسكري الدقيق الذي كان يتمتع به حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، لقد كان باستطاعته أن يقتل أبا سفيان قائد الأحزاب ، فقد كان تحت رمية قوسه ، وحدثه نفسه بذلك ، بل قد وضع سهمه في كبد قوسه ، ثم ذكر قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ، فأمسك عن ذلك .

وقد يقع في روع بعض الشباب المتحمس حماسة زائدة حبذا لو تخلص حذيفة رضي الله عنه من أبي سفيان ، فهو صيد ثمين ، وقد لا تواتي فرصة مثل هذه الفرصة .

ولكننا نقول لهؤلاء وقرنائهم : إن الخير كل الخير ، والرشد كل الرشد ، والسداد كل السداد في الانضباط العسكري بتنفيذ الامر لنبي دون زيادة أو نقصان .

ثم من يدري العواقب التي تترتب على قتل قائد الاحزاب ابي سفيان ؟

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ١٤٥ - ١٤٦ وانظر سنن البيهقي ٩ / ١٤٩ وجامع الاصول في احاديث الرسول ٨ / ٢٧٠ ، والتاج الجامع لأحاديث الرسول ٤ / ٤١٨ وتفسير ابن جرير الطبري ٢١ / ١٢٧ - ١٢٨ والدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٨٨ .

(٢) الفتح الرباني ٢١ / ٨٠ .

وهل هذه العواقب تكون لمصلحة المسلمين ؟

اقول : لعل الاحزاب لو قتل قائدها أبو سفيان ، خاصة قريش ، تستشيط غضباً فتؤجج نار الحرب من جديد ، وتثير روح الانتقام والثأر لقتل قائدها ، وتحكم الحصار على المسلمين ، وتشدد في ذلك ، والمسلمون بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أمس الحاجة لفك الحصار ، فقد بلغ منهم الجهد مبلغه ، وساءت أحوالهم ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت ، لقد زاعت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر كما وصفهم القرآن الكريم في سورة الاحزاب .

ولقد نبه النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى خطورة احداث أي قتل في هذه المهمة الاستطلاعية بقوله (صلى الله عليه وسلم) لحذيفة اذهب فأنتي يخبر القوم ولا تدعهم علي .

قال الامام النووي رحمه الله في شرحه لهذه العبارة « لا تفزعهم علي ولا تحركهم ، وقيل معناه : لا تنفرهم وهو قريب من المعنى الأول »^(١).

وفي غزوة الفتح الأعظم (فتح مكة) اركب العباس أبا سفيان بن حرب على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) التي كان يركبها وجعله خلفه ، وكلما مر به على نار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنا عليها قالوا : عم رسول الله على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال : من هذا ؟ وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ؟ الحمد لله الذي امكن منكم بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقت فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ودخل عليه عمر فقال : يا رسول الله هذا ابو سفيان فدعني اضرب عنقه ، قال : قلت يا رسول الله قد اجرته ، ثم جلست إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت : والله لا يناجيه أحد دوني ، فلما اكثرت عمر في شأنه قلت : مهلاً يا ابن الخطاب لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا ، قال : مهلاً يا عباس فوالله لا سلامك كان أحب إلي من اسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي الا أني قد عرفت ان اسلامك كان أحب ألى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من اسلام الخطاب ، فقال

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢ / ١٤٥ .

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : اذهب يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فاتني به^(١).

لقد كان عمر بن الخطاب حريصاً من كل قلبه أن يقتل أبا سفيان ولكنه ما كان ليقدّم على هذا إلا بعد إذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، انه انضباط الجندي بالأمر العسكري ، فلا يتصرف تصرفاً إلا بعد اجازته من القائد العسكري وهو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ونقول أيضاً : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعتقد أن أبا سفيان يستحق القتل ، لأنه ناقض للعهد ، ورأس الكفر وقائد الشرك في مكة ، ولكن العباس قد أجاره ، ويرى عدم قتله ، فلم يباشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه العقوبة على أبي سفيان التي كان يراها وهي القتل حتى يصدر حكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولقد صدر الحكم بعكس ما اراد وحرص ، فلم يفعل انفعالا شديداً ، ويتفلسف .

حقاً إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد علمنا الانضباط في اكثر من موطن يعلمنا الانضباط في الحديث في الأمور العسكرية ، فلا يحدث بها احداً غير القيادة العسكرية او ولي أمر المؤمنين ، وهو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تطبيقاً لقوله تعالى (وإذا جاءهم امر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)^(٢) ، وهذا ما صنعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما علم في غزوة الاحزاب أن بني قريظة قد نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخانوا وأرادوا القتال ضد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع الاحزاب .

ونجد هذا الانضباط من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزوة بني المصطلق حينما صدر حديث الفتنة من رأس النفاق والمنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، ورأى عمر أنه يستحق القتل على هذه الجريمة التي تمزق وحدة المسلمين وتثير التنازع والاختلاف وتؤدي إلى الفشل ، ولكنه لم يقتل رأس المنافقين لأنه استأذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يأذن له ، فقد قال : يا رسول الله، دعني اضرب عنق هذا المنافق ، فلم يأذن له الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

(١) انظر الفتح الرباني ١٤٦/٢١ وسبل الهدى والرشاد ٣٢٨/٥-٣٢٩ والميرة النبوية لابن كثير ٥٤٨/٣ وكثر العمال ٥٠٧ - ١٠ - ٥٠٨ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧٠ - ٦٥/٩ .

(٢) الآية ٨٣ من سورة النساء .

وسلم) خشية أن يكون ذلك ذريعة لأعداء المسلمين لتشويه سيرة الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيقولوا: إن محمداً يقتل أصحابه^(١).

وحينما امر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمر بن الخطاب على سرية مكونة من ثلاثين رجلاً من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووجههم إلى عجز هوزان بترية في السنة السابعة من مهاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولما سمعوا بمقدمه ولوا هارين أشار عليه دليله في الطريق « وهو من بني هلال » لما قرر الرجوع إلى المدينة: هل لك في جمع آخر تركته من خثعم؟ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لم يأمرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بهم، إنما أمرني أن أعمد لقتال هوزان بترية^(٢).

تأمل هذا الانضباط الدقيق من عمر المنتصر على عدوه، لم تأخذه نشوة النصر ليتجاوز المهمة العسكرية التي أمره بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إن الانضباط العسكري تمثل بكل دقة في تصرف عمر وجوابه للدليل الذي أراد أن يغريه.

ولقد ظهر هذا الانضباط جلياً في موقف جندب بن مكيث الجهني طليعة سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوخ في شهر صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد كمن على رأس التلة ليستطلع أخبار العدو، إذا لاحظ رجل من المشركين سواداً على رأس التلة « وكان سواد جندب في الليل » فظن الرجل المشرك أن هذا السواد طليعة المسلمين، فأراد أن يتأكد من ذلك فرماه بسهمين فأصاب السهم الأول جندب في جبهته فنزعه وثبت ولم يتحرك، وأصاب السهم الثاني جندب في منكبه ولم يتحرك، وتحمل الآلام والنزيف ولم يحدث شيئاً، كان بوسعه رضي الله عنه أن يطلق سهماً واحداً يدافع عن نفسه، ويقتل ذلك المشرك، الذي رام قتله، وأصاب جبهته وكتفه، ولكنه كان يعلم أن هذا لا ينبغي لأنه جاء لمهمة غير هذه المهمة، لقد جاء ليستطلع أخبار العدو، ومن ثم الاغارة عليهم على

(١) انظر صحيح البخاري بفتح الباري ٤٣٣/٨ - ٤٣٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ٦٣/٢ - ٦٤ والسيرة النبوية لابن هشام ٢٨٩/٢.

(٢) والطبقات الكبرى لابن سعد ١١٧/٢ والمغازي للواقدي ٧٢٢/٢ وشرح المواهب اللدنية ٢٤٩/٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٤١٨/٣ وعيون الأثر ١٤٥/٢ وتاريخ الامم والملوك ٩٩/٣.

حين غرة بعد أن يسكنوا ويهجعوا^(١) .

ونحسب والله أعلم أن اشتباك طليعة المسلمين مع هذا الرجل المشرك ، ومن ثم مع قومه في ذلك الوقت يترتب عليه استنفار عدد كبير من المشركين ، لا قبل للمسلمين في هذه السرية بملاقاتهم ، وقد يؤدي هذا إلى كارثة تحل بالمسلمين لو لم ينضبط هذا المحارب الشجاع .

وحتى ندرك مدى هذا الانضباط ونتيجته لنقرأ سوياً الحادثة مفصلة :

لقد بعثت السرية جندب بن مكيث الجهني طليعة لها ، يستطلع أخبار العدو ، فخرج حتى أتى تلاً مشرفاً يطلعه على القوم ، فصعد إلى قمة التل ، واضطجع يراقب حركة العدو .

قال جندب : حتى إذا أسندت عليهم فيه ، علوت على رأسه « رأس التل » ثم اضطجعت عليه ، وإنى لأنظر إذا خرج رجل منهم من خباء له ، فقال لامرأته : إني أرى على هذا الجبل سواداً ما رأيته أول من يومي هذا ، فانظري إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً ، فنظرت فقالت : والله ما أفقد من أوعيتي شيئاً ، قال : ناوليني قوسي ونبلي ، فناولته قوسه وسهمين معهما ، فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ بين عيني ، فانتزعته وثبت مكاني ، ثم أرسل سهماً آخر فوضع في منكبي ، فانتزعته فوضعتة وثبت مكاني ، فقال لامرأته : والله لو كانت طليعة لقد تحركت بعد والله لقد خالطها سهماي لا أبالك ، فإذا أصبحت فانظريهما ، لاتمضغهما الكلاب ، ثم دخل وراحت الماشية من ابلهم واغنامهم ، فلما اجتلبوا وعطنوا واطمأنوا فناموا شننا عليهم الغارة ، فقتلنا المقاتلة و واستقنا النعم إلى المدينة حتى مررنا بأبي البرصاء « اسير اسروه في الطريق ادعى الاسلام » فاحتملناه واحتملنا صاحبنا ، وخرج صريخ القوم في قومهم ، فجاءوا باعداد لا قبل لنا بلقائهم ، ونظروا إلينا وبيننا وبينهم الوادي ، وهم موجهون إلينا ، فجاء الله الوادي من حيث شاء بماء ملاً جنبه ، وأيم الله ما رأينا قبل ذلك سحاباً ولا مطراً ، فجاء بماء لا يستطيع أحد أن يجوزه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا وقد فتناهم ، فهم لا يقدرّون على طلبنا^(٢) .

(١) انظر غزوة الحديبية للدكتور محمد أبو فارس ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٢) انظر زاد المعاد ٣/٣٦٢-٣٦٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٠٩ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٢٤-١٢٥ والمغازي للواقدي ٢/٧٥٠-٧٥٢ .

إن هذا كله حدث ببركة الانضباط والطاعة ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وإن هذا الانضباط العسكري يتجلى أيضاً في موقف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حينما أرسله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سفيراً إلى قريش برسالة واضحة ومهمة بينة هي : (ما جاء الرسول ومن معه الا زائراً ومعظماً للبيت وليس محارباً) ، فالتزم بالأمر العسكري النبوي ، ورفض عرضاً مغرياً من قريش لأنه خارج عن مهمته ، ويلبي حاجة ملحة في نفسه ، قد جاء هو والمسلمون من أجلها ، انها الطواف بالبيت العتيق .

تذكر كتب السيرة النبوية أن عثمان بن عفان رضي الله عنه بعدما بلغ رسالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى قريش ، عرضت عليه قريش أن يطوف بالكعبة ، فرفض ذلك ، لالزهد منه في هذا ، بل لأن العرض خارج عن المهمة ، وتضامن مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين ، وقد عبر عن هذا التضامن والإنضباط بقوله رضي الله عنه : ما كنت لأطوف ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يطوف .

لقد توقع بعض الصحابة خطأ أن عثمان إن سنحت له الفرصة بالطواف حول الكعبة سيفعل ، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) العارف بمعادن الرجال وخاصة معادن الصحابة ، يعرف أن عثمان منضبط ومتضامن ولا يرغب بنفسه عن رسول الله ولا يتقدمه (صلى الله عليه وسلم) في شيء ، لقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ما أظن عثمان يطوف بالبيت ونحن محصورون ، قالوا يا رسول الله : ما يمنعه وقد وصل إلى البيت ؟

قال (صلى الله عليه وسلم) : ظني به الا يطوف حتى نطوف .

فلما رجع عثمان رضي الله عنه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قالوا : اشتفت من البيت يا عبد الله

قال : بئس ما ظننتم بي لو كنت بها سنة ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) مقيم بالحديبية ما طفت ، ولقد دعيتني قريش إلى أن أطوف فأبيت ذلك عليها ، فقال المسلمون : لرسول الله

(صلى الله عليه وسلم) كان أعلمنا بالله تعالى ، وأحسننا ظناً^(١) .

حقاً إن عثمان بن عفان رضي الله عنه حين رفض الطواف دون المسلمين قد فطن إلى امر في غاية الأهمية لم يفطن إليه الذين توقعوا له أن يطوف ، انه فطن إلى أمر أهم من الطواف ، ذلك هو وحدة الموقف في الصف المسلم ، والالتزام به والانضباط بدقة في هذا الأمر .

ونرى هذا الانضباط ايضاً في موقع آخر في الحديبية لسلمة بن الأكوع ، فقد تسلل عدد كبير من المشركين اثناء تبادل السفراء في الحديبية إلى معسكر المسلمين ليصيبوا منهم غرة ، ولكن المسلمين كانوا في غاية اليقظة والحذر ، فساقوهم إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) سوق النعاج ، ومن الذن ابلوا بلاء حسناً في مطاردة المشركين سلمة بن الأكوع إذ تمكن بمفرده من أسر ستة نفر من المشركين ، وأن يسوقهم بسلاحهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن اصدر إليهم قراره الحازم : والذي كرم وجه محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يرفع احد منكم رأسه الا ضربت الذي فيه عيناه^(٢) .

لقد ظهر الانضباط واضحاً في اسرهم وعدم قتلهم ، فقد كان بوسعه أن يقتلهم بعد أن أسرهم ، خاصة وأنهم مشركون قد غدروا ومنعوه ومنعوا غيره من المسلمين من تعظيم البيت الحرام والطواف بالكعبة ، إن الذي يصدر الحكم بحق الأسرى ليس من أسرهم ، انما هو القائد العام أو الأمير العام للمسلمين ، وهو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى الجنود أن ينضبطوا بالتعليمات والاورامر العسكرية ، فهي تشريعات عسكرية واجبة الاحترام والالتزام ، وهذا ما التزم به سلمة رضي الله عنه ، لأن عدم الالتزام ثمرته الفوضى والاضطراب والوقوع في المحذور الشرعي .

ويتجلى الانضباط العام لدى أهل الحديبية من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند هروب ابي جندل إلى معسكر المسلمين ورده إلى المشركين لينال سوء العذاب بسبب تمسكه بدينه ، لقد لجأ إلى المسلمين لعلهم يحمونه فماذا حدث ؟

(١) انظر غزوة الحديبية للدكتور محمد أبو فارس ص ٨٥ نقلاً عن المغازي للواقدي ٢/٦٠١-٦٠٢ والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٢١٥ والفصول في اختصار سيرة الرسول ١٦٥ .

(٢) انظر كنز العمال ١٠/٤٧٩ وتاريخ الامم والملوك ٢/٧٦ .

روى الامام البخارى في صحيحه قصة أبي جندل فقال : فينما هم كذلك دخل جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد اول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي .

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : انا لم نقض الكتاب بعد .

قال : فوالله إذا لم اصالحك على شيء أبداً .

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : فأجزه لى .

قال : ما أنا بمجيزه لك .

قال : بلى فافعل .

قال : ما أنا بفاعل .

قال مكرز : بل قد اجزنه لك .

قال أبو جندل : أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟

ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله^(١) .

وعند الواقدي : (فقام إليه سهيل فضرب وجهه بغصن شوك ، وأخذ يلبيه ، فزاد المسلمين ذلك شراً إلى ما بهم وجعلوا ييكون لكلام أبي جندل ...

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطينا على ذلك عهداً ، وانا لا نقدر^(٢) .

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٢٧١/٦ - ٢٧٢ وانظر نيل الأوطار ٣٧/٨ وجامع الاصول ٣٢٢/٩ والسيرة النبوية لابن كثير ٣/٣٢١ والروض الأنف ٤/٣٩ والاصابة ٤/٣٤ .

(٢) المغازي ٢/٦٠٨ وسنن البيهقي ٩/٢٢٧ .

إننا نجد أبا جندل الذي تعرض للابتلاء الشديد على أيدي طواغيت مكة وفي مقدمتهم أبو سهيل بن عمرو لم يخرج عن طاعته لقائده وانضباطه ، بل كان طائعاً قد تسامى على آلامه ومنضبطاً قد تجاوز كل ما قاساه ، قد ظهر هذا الانضباط حينما أمره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالعودة إلى مكة فعاد ولا يزال يرسف في الاغلال ، وسيعود إلى التعذيب الشديد .

ويتجلى أيضاً في هذا الحدث انضباط المسلمين العام ، ولقد تأثر المسلمون تأثراً شديداً لما حل بأبي جندل فبكوا لحاله واستعطافه ، وفي نفس الوقت لم يرضوا بالصلح ، ومع هذا نجد منهم الصبر والانضباط وضبط النفس فلم يندفعوا ويقوموا بعمل أو تصرف يخالف سياسة الرسول العسكرية ويخرج عنها ، في حين أن الاحوال ربما تكون سانحة حيث العواطف متأججة ، والنفوس ثائرة ، لكنهم سيطروا سيطرة تامة على عواطفهم ونفوسهم ، وتحلوا بالصبر فكانوا في غاية الانضباط .

الاستفادة من الكفاءات العسكرية وتهيئة

قيادات جديدة

الاستفادة من الكفاءات العسكرية وتهيئة قيادات جديدة

إن الدارس لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغزواته الكثيرة وسراياه وبعوثه التي قاربت على السبعين^(١)، يجد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، كان حريصاً كل الحرص على الاستفادة من الكفاءات العسكرية والقادة العسكريين الذين استجابوا إلى دعوته، وانضموا تحت قيادته، فكان يختارهم لقيادة السرايا والبعوث، وكان يختارهم قادة الفرق في غزواته، فكان يربهم على عينه، ويدربهم على القيادة والادارة تحت رعايته، يختار منهم حملة اللوية، وحملة الرايات، ويشكل منهم سرايا الاستطلاع ويؤمر عليها الامراء.

فها هو ذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يختار أبا بكر رضي الله عنه أميراً على سرية وجهها إلى بني كلاب بنجد سنة سبع لهجرة الرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان سرية ناجحة وقيادته حكيمة في تنفيذ امر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)^(٢).

واختار عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان سفيراً لقريش في الجاهلية أميراً على سرية إلى عجز هوزان بترية سنة سبع لهجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان ناجحاً في امارته وسريته إذ حقق أهدافها^(٣).

واختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي بن ابي طالب رضي الله عنه أميراً على

(١) قال ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢٨٣/٨ : (واما البعث والسرايا فعند الن اسحق ستاً وثلاثين، وعند الواقدي ثمانية وأربعين، وحكي ابن الجوزي في التلخيص ستاً وخمسين، وعند المسعودي ستين، وبلغها شخينا في نظم السيرة زيادة على السبعين ووقع عند الحاكم في الاكليل انها تزيد على المائة، فلعله ضم المغازي إليها ويفهم من قول ابن حجر هذا أن عدد السرايا والبعوث قد نيفت على السبعين، لأن عدد الغزوات ٢٧.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٧/٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٤١٨/٣ وزاد المعاد ٣/٣٥٩-٣٦٠.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٧/٢-١١٨ وشرح المواهب اللدنية ٢/٢٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ٣/٤١٧ وتاريخ الطبري ٣/٩٩.

سرية وجهها الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى بني سعد بن بكر سنة ست للهجرة فانتصر عليهم^(١) ، واختاره الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائدا لسرية وجهها لتحطيم صنم طى واسمه الفلّس وكان قائدهم عدي بن حاتم الطائي في السنة التاسعة من الهجرة فحطم الصنم وغنم غنائم كثيرة^(٢)

واختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب أيضاً قائداً على سرية أرسلها إلى مذحج باليمن وكان ذلك في رمضان من السنة العاشرة للهجرة فقاتلهم وانتصر عليهم وعاد سالماً غانماً غنائم كثيرة من النساء والنعم ، وأسرى كذلك ، أسلموا بعد ذلك وأعلنوا إسلامهم^(٣) .

واختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حمزة بن عبد المطلب قائداً لسرية في السنة الأولى من الهجرة وذكر في بعض كتب السيرة أن أول راية في الإسلام كانت راية حمزة رضي الله عنه^(٤) .

واختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب قائداً لأول سرية في الإسلام ، وكان من جنوده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه^(٥) .

وقد اختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سعد بن أبي وقاص قائداً على سرية لاعتراض قافلة لقريش في مكان اسمه الخرار في السنة الأولى من الهجرة^(٦) .

واختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبد الله بن جحش أميراً على سرية أرسلها

(١) انظر اقتباس النظام العسكري ص ٧٢-٧٣ .

(٢) اقتباس النظام العسكري ص ٩٠-٩١ .

(٣) اقتباس النظام العسكري ص ٩٢-٩٣ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٥٩٥/١ والسيرة النبوية لابن كثير ٣٣٨/٢ والطبقات الكبرى ٦/٢ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٥٩١/١ .

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٦٠٠/١ .

إلى بطن نخلة فكانت أول سرية قتلت واسرت وغنمت من المشركين^(١) ، وقد استشهد رضي الله عنه في غزوة احد .

واختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زيد بن حارثة رضي الله عنه أميراً على سرية لمهاجمة قافلة قريش فاستولى عليها وفر من كان فيها وأسر الدليل الذي كان معها واسمه فرات بن حيان^(٢) .

واختاره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائداً لسرية أرسلها إلى سليم في شهر ربيع الآخر من السنة السادسة من هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأسر وغنم^(٣) .

واختاره (صلى الله عليه وسلم) أميراً على سرية لاعتراض قافلة قريش في شهر جمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة فرجع سالماً غانماً^(٤) .

واختاره (صلى الله عليه وسلم) أيضاً قائداً لسرية أرسلها إلى بني ثعلبة في جمادى الآخرة سنة ست للهجرة فهرب الأعداء من وجه المسلمين فغنموا وعادوا^(٥) .

واختاره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أميراً على سرية أرسلها إلى جذام في جمادى الآخرة سنة ست للهجرة ، فغنم المسلمون فيها ألف بعير وخمسة آلاف من الشياه مع مائة من الأسرى^(٦) واختاره (صلى الله عليه وسلم) أميراً على سرية أرسلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الأعراب في وادي القرى وهم بنو فزارة فكبدهم خسائر في الأرواح وأصاب أسرى^(٧) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٦٠١-٦٠٥ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٥٠ والطبقات الكبرى ٢/٣٦ .

(٣) اقتباس النظام العسكري ٧٠-٧١ .

(٤) المرجع السابق ٧٠-٧١ .

(٥) المرجع السابق ٧٠-٧١ .

(٦) اقتباس النظام العسكري ص ٧٠-٧١ السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦١٢-٦١٦ .

(٧) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦١٧-٦١٨ .

واختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبد الله بن عتبك اميراً على سرية لقتل عدو الله أبي رافع اليهودي سنة ست للهجرة النبوية الشريفة ، فتوجهت إلى خيبر ونفذت مهمتها بدقة ، وأظهرت كفاءات جديرة بالاحترام والاهتمام والاستفادة منها .

فقد كان أمير السرية عبد الله بن عتبك يتقن اللغة العبرية ، واستخدم ذلك بالدخول إلى حصن أبي رافع وقتله ، وحتى ندرك هذه المهارة والكفاءة نستمع للامام البخاري وهو يروى لنا بلسان صاحبها : بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الانصار فامر عليهم عبد الله بن عتبك وكان أبو رافع في حصن له ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم قال عبد الله بن عتبك لأصحابه : أجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب نعلي أن ادخل ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم دنا من الباب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب فدخلت ، فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ، ثم علق الأغاليق على وتد ، قال ابن عتيك : فقامت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، فوجد ابن عتيك نفرأ من أصحاب أبي رافع يسمرون عنده فكمن حتى ذهب أهل سمره فصعد إليه ، وكلما دخل باباً أغلقه عليه من الداخل حتى لا يحول أحد بينه وبين العقوبة التي سينفذها فيه فانتهى إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ، لا يدرى أين هو من البيت قال : ابن عتيك : فقلت : يا رافع

قال : من هذا ؟

قال ابن عتيك : فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ما أغنيت شيئاً وصاح فخرجت من البيت فأمكنك غير بعيد ثم دخلت عليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع؟

قال : لأملك الويل إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف

قلت : فاضربه ضربة ، اثخنه ولم اقله ، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتي أخذ في طهره فعرفت أنني قتلت ، فجعلت افتح الابواب باباً باباً ... فانكسرت ساقي فغصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت : لا أخرج الليلة حتي أعلم أنني قتلت فلما صاح الديك

قام الناعي على السور^(١) .

هذا وقد اختار (صلى الله عليه وسلم) زيد بن حارثة الأمير الاول لسرية مؤتة التي بلغ عددها ثلاثة آلاف مقاتل فقادها ضد مائتي الف من النصارى العرب والروم ، واستشهد في هذه السرية رضي الله عنه .

واختار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا عبيدة عامر بن الجراح أميراً أرسلها إلى بني ثعلبة بذي القصة في ربيع الآخر من السنة السادسة للهجرة فهرب المشركون وغنم المسلمون مواشيهم وأمتعتهم^(٢) .

كما اختاره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أميراً على سرية الخبط أرسلها إلى جهينة في شهر رجب من السنة الثامنة للهجرة^(٣) .

كما اختاره الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائداً للجيش الذي أرسله مدداً لعمر بن العاص في سرية ذات السلاسل^(٤) .

وارسل غالب بن عبد الله الليثي قائداً على سرية في شهر رمضان سنة سبع للهجرة النبوية إلى بني عوال وبني ثعلبة ، كما أرسله إلى بني الملوحة وأرسله أيضاً إلى بني مرة بالقرن من فذك ثاراً للشهداء الذين قتلهم هذه القبيلة فقتل منهم نقرأ وأصاب نعمهم وعاد سالماً غانماً^(٥) .

هذه صورة من صور التدريب للقيادات والاستفادة منها واعدادها.

وهناك صورة اخرى وهي أن يختار الامراء وحملة الالوية والرايات في غزواته وتحت اشرافه ومن هؤلاء مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين في بدر وأحد ، و علي بن أبي طالب

(١) صحيح البخاري بعمدة القارى ١٧/١٣٥-١٣٨ .

(٢) اقتباس النظام العسكري ص ٦٨-٦٩ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ٢/١٢٢ صحيح البخاري بعمدة القارى ١٨/١٥-١٦ والمغازي للواقدي ٢/٧٧٤-٧٧٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٣٢-٦٣٣ .

(٤) انظر المغازي للواقدي ٢/٧٦٩-٧٧٤ وطبقات ابن سعد ٢/١٣١ وعيون الأثر ٢/١٥٧ .

(٥) انظر غزوة الحديبية للدكتور محمد أبو فارس الصفحات ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠-١٩٢ .

وابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وعمه حمزه للمبارزة مع أبطال المشركين . وفي غزوة خيبر يعطي الراية يوماً لأبي بكر ويوماً لعلي بن أبي طالب ، وفي غزوة فتح مكة نجده (صلى الله عليه وسلم) حينما اراد دخول مكة قد جعل الجيش ثلاثة أقسام وعلى كل قسم أمير، وكل قسم يدخل من جهة ، فاختار على الميسرة الزبير بن العوام وعلى الميمنة خالد بن الوليد واختار ابا عبيدة عامر بن الجراح على الحسر الذين لا يلبسون الدروع ^(١) .

وفي غزوة أحد اختار الرسول (صلى الله عليه وسلم) عبد الله بن جبير قائدا للرماة بعد أن زودهم بالأوامر العسكرية الواضحة .

وفي غزوة بني قريظة : اختار الرسول (صلى الله عليه وسلم) سعد بن معاذ ليحكم في بني قريظة وقبل بالحكم الذي سيصدره سعد بن معاذ.

إن اختيار سعد بن معاذ ليحكم في قضية خطيرة هي الخيانة العظمى كانت تهدد الامن العام والنظام العام ، وتستهدف تقويض اركان الدولة من أناس يهود حاقدين ، كانوا حلفاءه في الجاهلية تدل دلالة واضحة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعنى بالعناصر القيادية ، يشركها في التخطيط والتنفيذ والقيادة ، ويعطيها الحرية لتتخذ القرار بملء حريتها وارادتها ، حتى وإن كان القرار مصيرياً ، حتى تنمو شخصيتها القيادية ، وحتى تتقدم في كفاءتها وترتقي ، ولا تجمد عند حد من الحدود ، كل هذا يتم تحت رعاية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتوجيه منه ، فيصوب ويسدد ويقارب .

لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائداً فردياً يستأثر بكل القرارات ويستحوذ على السلطة وتذوب كل الشخصيات في شخصه .

هذا وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) حريصاً على استمالة القادة العسكريين للاعداء واقناعهم بالاسلام ، ومن ثم تسخير كل كفاءاتهم وقدراتهم العسكرية والعلمية والفنية وغيرها لخدمة الاسلام والمسلمين .

(١) انظر غزوة الفتح الأعظم - مخطوط للدكتور محمد أبو فارس ص ٩٧ .

لقد كان (صلى الله عليه وسلم) يدرك قيمة خالد بن الوليد العسكرية وكفاءته القتالية ، ومن هنا فقد استخدم اسلوب الاستمالة معه ، وكان ينقل ذلك أخوه الذي أسلم قبله ، ففي قصة اسلامه يقول خالد بن الوليد رضي الله عنه : « ودخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عمرة القضية ، فتغيبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في عمرة القضية ، فطلبني فلم يجدني ، فكتب إلى كتاباً ، فإذا هو فيه : بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فإنني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك او مثل الاسلام جهله أحد ! وقد سألتني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنك ، فقال : اين خالد ؟ فقلت : يأتي الله به ، فقال : ما مثله جهل الاسلام ! ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ، ولقد مناه على غيره ، فاستدرك يا أخي ما فاتك ، فقد فاتتك مواطن صالحة .

قال خالد : فلما جاءني الكتاب نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام ، وسرني مقالة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ^(١) .

ولما أسلم رضي الله عنه لم يمض وقت قصير حتى أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يختاره أميراً على أكثر من سرية ، وقد اصططح عليه المسلمون في مؤتة ليكون أميراً على الجيش ، وعد ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتحاً فقال : أخذ الراية خالد بن الوليد يفتح الله على يديه ، وقد مر معك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اختاره على ميمنة الجيش الفاتح لمكة .

وكذلك استفاد من كفاءة عمرو بن العاص العسكرية فور اسلامه ، فاختره قائداً لسرية ذات السلاسل ، وتحت امرته أبو بكر وعمر بن الخطاب ، ولما اعترض عمر على عمرو بن العاص في منعه الجيش الليلة الباردة من اشعال النار قال ابو بكر لعمر : دعه فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يؤمره علينا إلا لعلمه بالحرب ^(٢) .

(١) انظر المعازي للواقدي ٧٤٦/٢-٧٤٩ وصفة الصفوة ٦٥٠/١-٦٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٤٥٠/٣-٤٥٣ وامتاع الاسماع ٣٤٢/١ .

(٢) فتح الباري ١٣٧/٩ .

حقاً لقد كان قائداً موهوباً ، فقد رآه عمر بن الخطاب يوماً وهو يمشي فقال : ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً .

وقال في الإصابة : لما أسلم عمرو بن العاص كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته^(١) .

ولا نعجب إذا رأينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوليه على عمان .

ولقد استطاع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يستميل قلب مالك بن عوف قائد هوازن الذي كان يحقد على الاسلام والمسلمين وعباً هوازن ليغير على المسلمين بعد فتح مكة ، ولكنه هزم وولى هارباً من وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكيف استمال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا القائد المعادي حتى أصبح من جنود الاسلام بل وأصبح أميراً فيما بعد .

يذكر كثير من كتاب السيرة النبوية أن وفد هوازن لما قدم على النبي (صلى الله عليه وسلم) وسأله أن يمن على السبي وأن يرد لهم اموالهم سألهم (صلى الله عليه وسلم) : « ما فعل مالك بن عوف » قالوا يا رسول الله : هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل » وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر بحبس أهل مالك بمكة عند عمتهم أم عبد الله بنت أبي أمية ، فقال الوفد : يا رسول الله - أولئك سادتنا وأحبنا إلينا ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « إنما أريد بهم الخير » فوقف مال مالك فلم يجز فيه السهام ، فلما بلغ مالكا ما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قومه وما وعده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن أهله وماله موفور وقد خاف مالك ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال له ما قال ، فيحبسونه ، فأمر راحلته فقدمت له حتى وضعت لديه بدحنا ، وأمر بفرس له فأتى به ليلاً فخرج من الحصن فجلس على فرسه ليلاً ، فركضه حتى أتى دحنا فركب بغيره حتى لحق برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأدركه - بالجعرة أو بمكة -

(١) الإصابة ٢/٣ .

فرد عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه ، فقال مالك حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله	في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطي للجزيل إذا احتذى	ومتي تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتبية عردت أنيابها	بالسمهري وضرب كل مهند
فكانه ليث على أشباله	وسط الهباءة خادر في مرصد

فاستعمله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على من أسلم من قومه ، ومن تلك القبائل من هوازن وفهم وسلمة وثمانية ، وكان قد ضوى إليه قوم مسلمون ، واعتقد له لواء فكان يقاتل بهم ، من كان على الشرك ويغير بهم على ثقيف فيقاتلهم بهم ، ولا يخرج لثقيف سرح إلا أغار عليه ، وقد رجع حين رجع وقد سرح الناس ، مواشيهم وأمنوا (فيما يرون) حين انصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنهم ، وكان لا يقدر على سرح الا أخذه ، ولا على رجل الا قتله ، وكان يبعث إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالخمسة مما يغنم ، مرة مائة بعير ، ومرة ألف شاة ، ولقد اغار على سرح لأهل الطائف فاستاق لهم ألف شاة في غداة واحدة^(١).

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يهتم بالطاقات الشبابية ويعدها لتأخذ مكانها في القيادة ، فها هو ذا يختار أسامة بن زيد بن حارثة وهو شاب لم يبلغ العشرين من عمره أميراً على سرية بعثها إلى أرض فلسطين^(٢).

وها هو هذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم فتح مكة يأخذ من سعد بن عبادہ الراية التي كان يحملها ويعطيها لولده قيس وقد كان شاباً^(٣).

وها هو ذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعين باذان بن ساسان أميراً على اليمن حينما

(١) سبل الهدى والرشاد ٥/٨٨-٥٩٠ وانظر تاريخ الخميس ١١٣/٢ وتاريخ الطبري ١٣٥/٣ وشرح المواهب ٥/٣ والسيرة الحلبية ٩٧/٣-٩٨ والكامل في التاريخ ٢/٢٦٩ وامتاع الاسماع ١/٤٣٠ وحدث الانوار ٢/٦٩١-٦٩٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٤١-٦٤٢ .

(٣) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٣/٥٥٠ والدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٦١ والسيرة الحلبية ٣/٢٢ وجوامع السيرة النبوية ص ١٨٢ وامتاع الاسماع ١/٣٧٥ .

أسلم ، ثم يعين ولده شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها بعد موت أبيه^(١) .

وخلاصة القول : إن القائد العسكري الناجح هو الذي يستفيد من الكفاءات العسكرية الموجودة عنده ، وينميها ويرتقي بها في سلم الرقي العسكري والقيادي ، ويزيد في خبرتها ودربتها ، من خلال العمل الميداني العسكري ، ولا يكتفي بذلك بل يتجاوز هذا الحد إلى قيادات عسكرية شبابية يدرّبها تحت سمعه وبصره ثم يختارها للقيادة المستقلة في غيابه فيزاولوا القيادة ، وهو أيضا يذل قصارى جهوده في استمالة القادة العسكريين المناوئين ليكونوا معه ، وليستفيد من خبراتهم .

وإن المدرسة العسكرية النبوية قد حققت هذا كله فقد بلغ عدد القادة الفاتحين الذين حملوا راية الاسلام شرقاً في أيام الفتح الاسامي في الفترة (١١ هـ - ٩٤ هـ) مائتين وستة وخمسين قائداً منهم مائتان وستة عشر صحابياً من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والبقية من التابعين ، رضوان الله على صحابة الرسول ورحم الله التابعين^(٢) .

إن هذا يدل على مدى انتاج المدرسة النبوية العسكرية من القادة العسكريين والجهود النبوية المبذولة في هذا الشأن كذلك العبقرية العسكرية التي كان يتمتع بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا الشأن .

(١) انظر زاد المعاد ٣١/١ - ٣٢ والسيرة النبوية لابن هشام ٦٠٠/٢ .

(٢) اقتباس النظام العسكري ص ١٣٤ .

تطوير القوة العسكرية

تطوير القوة العسكرية

لقد استطاع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يؤسس جيشاً قوياً معاصراً قد استوعب كل قضايا عصره من حيث التخطيط والتدريب والتسليح ، والدارس للسيرة النبوية الشريفة يجد أن هذا الجيش الذي يمثل القوة الضاربة للمسلمين ، يرسخ كيانه السياسي ، ويثبت دعائمه ، ويصد الهجمات الظالمة عنه لم يتوقف نموه لحظة واحدة ، من حيث العدد والعدة والكفاءات .

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتوفيق من ربه يسخر ماله من قدرات وامكانات لنشر هذا الدين ، وازالة الانظمة السياسية التي تقف حائلاً في وجهه ، كما كان صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتوجيه منه يعملون لتحقيق هذا الهدف ، فبدلوا من أوقاتهم ، وأموالهم وجهودهم الفكرية والسياسية والتربوية في سبيل ذلك .

نعم إن الدارس لهذه السيرة منذ بداية هذه الدعوة مروراً بالهجرة النبوية وانتهاءً بلحاق الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالرفيق الأعلى يخلص الى أن هذه القوة قد تطورت تطوراً سريعاً في قوتها وانتشارها والقضاء على أعدائها ، كما تطورت من حيث سلاحها وعددها .

أما بالنسبة للتطور العددي فقد بدأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرداً واحداً من أهل مكة ، وبعد ذلك أعلن دعوته بصراحة وقوة فأمن معه بضع مئات معظمهم من الفقراء والارقاء ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة المنورة بناء على عقد بينه وبين الانصار .

لقد بدأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرسل السرايا لملاحقة قريش التي حاربت هذا الدين وأهله ، فجراً هؤلاء المستضعفين على أولئك المستكبرين وأحيا قضية المستضعفين في أنفسهم ومن ثم فقد استطاعوا احياءها في نفوس الآخرين ، وكانت هذه السرايا قبل بدر قليلة

العدد والعدة لا يتجاوز اكبرها عشرات من الافراد ، ثم حدثت غزوة بدر الكبرى فكان عدد المقاتلين فيها ٣١٥ ثم حدثت غزوة ذي أمر فكان عدد المقاتلين ٤٥٠ مقاتلاً، ثم حدثت غزوة بدر الآخرة فكان عدد المسلمين المقاتلين فيها ألف مقاتل ، ثم حدثت غزوة دومة الجندل وكان عدد المقاتلين فيها ١٠٠٠ مقاتل ثم حدثت غزوة الاحزاب فكان عدد المقاتلين فيها ٣٠٠٠ وكان نفس العدد في غزوة بني قريظة ثم حدثت غزوة الفتح الاعظم (فتح مكة) فكان عدد المقاتلين فيها (١٠٠٠٠) عشرة آلاف مقاتل ، ثم كانت غزوة حنين فكان عدد المقاتلين (١٢٠٠٠) اثني عشر الف مقاتل ، وأخيراً غزوة تبوك وكان عدد المقاتلين الذين حصلوا وسيلة تنقلهم ثلاثين الف مقاتل^(١) .

هذا وقد حج مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع مائة الف مسلم من شتى ارجاء الجزيرة العربية .

أما بالنسبة للسلاح فلم يقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يبقى سلاح الجيش الاسلامي والقوة الضاربة سلاحاً تقليدياً على أهمية السيوف والرماح والنبال ، بل اراد أن يحصل المسلمون على أحدث الأسلحة التي لا تقل عن سلاح أعدائهم ، بل تفوقها ، ومن هذا المنطلق ارسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفراً من الجيش الى جرش باليمن ليتعلموا صناعة الدبابات والمنجنيق والضبور ثم عادوا وصنعوها ، واستخدموا بعضها في حصار الطائف .

ومن الجدير بالذكر أن اليمن في تلك الفترة كانت واقعة تحت الحكم الفارسي ، وكان الفرس متقدمين في صناعة الأسلحة ، وكانوا يتنازعون مع الروم في صدارة العالم آن ذاك والحرب بينهم سجال ، ولهذا ارسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفراً من المسلمين ليتعلموا صناعة هذه الاسلحة المتطورة ، وانتاجها محلياً .

لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرضى ويقبل أن يحصل المسلمون على اسلحتهم من أيدي غيرهم عن طريق الشراء ، وعقد الصفقات ، لأن شراء الأسلحة من الاعداء او من غيرهم لا يحل المشكلة نهائياً ، بل يعقدها ، لأن هذا الذي يبيع الأسلحة قد يغضب وقد

(١) انظر هذه الاحصائيات في كتاب اقتباس النظام العسكري ص ٤٦ - ٦٠ .

يرضى ، فإذا غضب منع ، وإذا رضى باع ، وقد يجد مصلحة أفضل عند غيرك .

او تتعرض مصالحه للخطر إن هو باعك ، فيحجم عن تزويدك بالأسلحة ولو بثمانها ، وأنت في أمس الحاجة لها ، وإن من عنده أثارة من عقل لا يقبل أن يضع شعبه وكرامة أمته تحت امره صاحب هذا المزاج المتغير ، والمصالح المتضاربة غير المستقر .

إن حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على أن يملك المسلمون سلاحهم بأيديهم لا يسيطر عليهم أحد ، ولا يقيد حريتهم أحد يدل على بعد نظره (صلى الله عليه وسلم) ، كما يدل على حرصه (صلى الله عليه وسلم) على استقلال أمته وتميزها وتحررها ، وهذا الذي كان (صلى الله عليه وسلم) يؤكد في قلوب المؤمنين وفي نفوسهم ، ويرببهم على عدم الذوبان في أى أمة من الأمم ، فلا يقلدوهم ولا يتأثروا بأهوائهم وانحرافاتهم .

أما سلاح الفرسان فقد بدأ قليلا وضعيفا ، ثم أخذ ينمو ويتطور تطورا سريعا ومذهلا وهذا ما نجده في كتب السيرة النبوية الشريفة ، إذ تذكر لنا كتب السيرة أن عدد الفرسان في غزوة بدر الكبرى لم يتجاوز فارسين وبلغ في غزوة أحد خمسين فارساً ، وتطور تطورا سريعا ، ونما نموا كبيرا فبلغ عدد الفرسان في غزوة تبوك عشرة آلاف فارس .

وقد أحدث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تطورا في نظام القتال في تاريخ الجزيرة العربية ، إذا كان القتال المعروف عند العرب القتال الفردي ، فقتال الكر والفر ، دون تعاون بين الأسلحة المختلفة ، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أدخل قتال الصف وجعل صفاً لرماة النبال والسهام وصفاً لحملة الرماح ، وصفاً لحملة السيوف ، وكان حملة النبال يرمون الأعداء عن بعد فإذا دنوا تناول حملة الرماح رماحهم وأخذوا يطعنون أعداءهم ، فإذا اختلط الناس اجتلدوا سيوفهم وضربوا بها ، وكان هناك تعاون بين الأسلحة ، فقد وضع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الرماة خلف الجيش السلامي المقاتل ، وحدد هدفهم وهو أن يرموا خيل الأعداء بالنبال وأن يحموا ظهور المسلمين من حركة التفاف الأعداء وقد اختار أسلوب الحصار لأرغام العدو على الاستسلام بأقل الخسائر الممكنة بالنسبة للصف المسلم المقاتل .

وقد كان لقتال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأعدائه على مراحل متطورة في

المعارك الهامة وفق مراحل متطورة بدأهم بالقتال الدفاعي وهو التصدي لهم إذا جاءوا مقاتلين والحق الهزيمة بهم ، وهذا ما كان في الغزوات التي سبقت غزوة الاحزاب بل كانت الاحزاب آخر معركة في القتال الدفاعي ، وسبقتها غزوة بدر الكبرى وغزوة أحد وغزوة بدر الآخرة وحمراء الأسد ولقد استمرت هذه المرحلة حتى آخر السنة الخامسة من هجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكانت مدتها ست سنوات تقريبا.

ثم انتقل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد أن كثر جنده واتباعه وانتشر الاسلام خارج المدينة في كثير من القبائل إلى مرحلة القتال الهجومي ، يجهز الجيوش ويسيرها ليقاتل اعداءه على أراضيهم ، ويغزوهم في عقر دارهم ، كانت هذه المرحلة لها ميزة هي نقل القتال على أرض الاعداء وفي مقدمتهم كفار مكة ، فقد اعلن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لجنده في غزوة الاحزاب ان هذه الغزوة هي آخر غزوة في مرحلة القتال الدفاعي وأنه سيبدأ مع أعدائه مرحلة أخرى هي مرحلة القتال الهجومي ، فقد روى الامام البخاري رحمه الله في صحيحه بإسناده إلى سليمان بن صرد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال بعد هزيمة الاحزاب : الآن نغزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير إليهم^(١).

والذي يدرس الغزوات وخاصة مع المشركين واليهود بعد هذه الغزوة يجد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقود الجيوش ليهاجم يهود بني قريظة وينفذ حكم الله فيهم الذي نطق به سعد بن معاذ ، بأن يقتل المحاربون وأن تسبى الذراري والنساء وأن تقسم الاموال غنائم للمسلمين .

ثم توجه إلى مكة وقاد غزوة الحديبية الذي حصل فيها قتال وأسر وانتهت بهدنة بين المعسكرين ، يتوقف القتال بينهم عشر سنوات ، ثم توجه إلى يهود خيبر في العام السابع من الهجرة فذك حصونهم وقتل ابطالهم وهزمهم هزيمة لم تبق لهم من بعد باقية . ثم غزا أهل مكة بعدما نقضوا العهد فخانوا وغدروا وقتلوا خزاعة حليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ففتح مكة وحطم الأصنام ، ورُفِر علم التوحيد على البيت الحرام وعلى سائر أرجاء مكة ،

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ٨ / ٤٠٩ .

وفر الطواغيت الغادرون من وجهه فعفا عن أكثرهم فعادوا سالمين مستسلمين ، ثم سار إلى
هوازن فهزمهم وغنم أموالهم ونساءهم وذرايرهم ، ثم تابع سيره يطارد فلولهم وحاصرهم في
الطائف وبعد فرصة قصيرة أسلم أهل الطائف ، وانتشر الاسلام في الجزيرة العربية .

ولم يغفل صلي الله عليه وسلم العدو القوي الحاقد ، وهم نصارى العرب ونصارى الروم ،
فقد ارسل سرية مؤتة ثم قاد بنفسه غزوة تبوك .

علاج المخالفين للأمر العسكري

علاج المخالفين للأمر العسكري

إن مما لا شك فيه أن أبسط المبادئ العسكرية في الجيوش قديماً وحديثاً أن الطاعة والانصياع لأمر القيادة وتنفيذها عامل مهم في احراز النصر على الأعداء وفي تماسك بناء الجيش ووحدته ، وإن عدم السمع والطاعة لأمر القيادة يؤدي إلى الفشل والتنازع بل إن أسوأ أنواع التنازع ما كان بين القيادة والجند ، والله عز وجل يقول في الحديث عن عوامل النصر : (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)^(١) .

وإن ما جرى من عصيان معظم الرماة لأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في غزوة أحد أدى إلى حرمان المسلمين من نصر مؤزر على أعدائهم بعد أن لاحت بوارقه في الجولة الأولى من القتال إذ جندل المسلمون جميع حملة لواء المشركين ، ولم يجرؤ أحد على حمله خوفاً من الموت ، وفي هذا يقول الله تعالى : (أو لما اصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)^(٢) .

والذي يقرأ سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزواته وسرياته يجد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان إذا ألقى أمراً من الأمور وأوجب شيئاً من الواجبات العسكرية استجاب المسلمون لهذا الأمر وقاموا بهذا الواجب ، وإن أي جندي يخالف هذا الأمر العسكري يعد عاصياً أثماً في هذا الدين ، قد عرض نفسه للعقوبة في الدنيا والآخرة .

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان رحيماً بجنوده محباً لهم ، ولكنه هو المحب الرحيم لا يقبل لجندي من جنوده أن يخل بواجباته ، أو أن يتلكأ في تنفيذ الأمر العسكري الموجه إليه ، فإذا بدر من هذا الجندي مخالفة ولو كان مخلصاً محباً متميماً قد أعطى ولأه كله

(١) الآية ٤٦ من سورة الانفال .

(٢) الآية ١٦٥ من سورة آل عمران .

لله ولرسوله مخالفة، كان حازماً في علاجه ، يحاسب وبمنتهى الجدية ، ويعاقب الجاني عقوبة زاجرة كافية لردع الجاني ، وردع غيره .

لقد كان حازماً مع أبي لبابة رضى الله عنه حينما أفشى سراً من أسرار اليهود لقبيلة بني قريظة اليهودية حينما سأله واستشاره في النزول على حكم محمد فأشار عليهم بالنزول إلا أنه أشار إشارة أفهمهم فيها أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) سيقتلهم^(١) .

لقد شعر أبو لبابة بأنه خان الله ورسوله بإذاعة هذا السر ، فربط نفسه بسارية المسجد حتى يفكه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يفكه ، وحكم عليه أن يبقى مربوطاً في المسجد حتى يتوب الله عليه ، فظل كذلك حتى تاب الله عليه وقد عاني قبل التوبة ما عانى من هجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) له .

أما ما حدث من حاطب بن أبي بلتعة فقد حاسبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ما اقترفت يده، وأقر عمر على خطورة ما ارتكب حاطب ، ووجوب العقوبة الزاجرة له ولغيره ، ولكن الذي منع من العقوبة الزاجرة وهي القتل أنه كان صاحب سابقة فهو بدرى عافاه الله من هذه العقوبة ، فقال لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فأني قد غفرت لكم .

وفي غزوة تبوك أعلن الرسول (صلى الله عليه وسلم) النفير العام وحدد وقتاً للخروجه يقود المقاتلين لحرب الروم ، فخرج في هذا الوقت ، وتخلف بعض الجنود المشهود لهم بالاخلاص والجهاد فكان إذا ذكر أحدهم في حضرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو في الغزو يقول دعوه إن يك به خبراً يلحقه الله بكم وفي هذه الغزوة تخلف ثلاثة من المؤمنين عن هذه الغزوة هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، فما العلاج الذي اختاره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع هؤلاء ؟

لقد حدثنا كعب بن مالك رضى الله عنه عن أحداث هذه القصة وما اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أزاء المخالفين المتخلفين ، وما كانوا يعانونه من جراء هذا العقاب من آلام وأحزان ، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا .

(١) الصراع مع اليهود للدكتور محمد أبو فارس ٦٦/٢ .

وقد روى الامام البخارى رحمه الله في صحيحه بإسناده إلى كعب بن مالك هذه القصة مفصلة تفصيلاً دقيقاً أكثر من أي كتاب من كتب السيرة والسنة النبوية المطهرة .

فقد جاء في صحيح الامام البخارى « المسمى : كتاب الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه » بشأن هذه القصة مايلي :

باب حديث كعب بن مالك^(١)

وقول الله عز وجل ﴿التوبة ١١٨﴾ ، (وعلى الثلاثة الذين خلفوا)

٤٤١٨ - حدثنا يحيى بن بكر حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه حين عمى - قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك « قال كعب لم أتخلف عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة العقبة حين توثقنا على الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإنما كانت بدر أذكر في الناس منها ، كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة .

والله ما أجمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريد الغزو إلا وري بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً ، وعدوا كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع

(١) صحيح متن فتح الباري ٧/٧١٧ - ٧١٩ رقم الحديث ٤٤١٨ .

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفي له ، ما لم ينزل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ، ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس - بعد خروج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - فطفت فيهم ، أحزنني أنني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه براده ، ونظره في عطفه ، فقال معاذ بن جبل : بش ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال كعب بن مالك : فلما بلغني إنه توجه قافلاً حضرني همي ، وطفقت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا ؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أظلم قادماً زاح عنى الباطل ، عرفت أنني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب ، فأجمع صدقه ، وأصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قادماً وكان إذا قدم من سفر بدا بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس بالناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له - وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله ، فجثته ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال : تعال ، فجثت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ فقلت : بلى ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك

حديث صدقٍ تجد على فيه إنى لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنك ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك ، فقممت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بما اعتذر اليه المتخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لك ، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالاً مثل ماقلت ، فقلت من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفى ، فذكروا لى الرجلين قد شهدا بدرا فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لى ، ونهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسى الأرض فما هى التى أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبائى فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبيكان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج للصلاة مع المسلمين وأطوف الأسواق ، ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسى : هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فاذا أقبلت على صلاتى أقبل الي واذا التفت نحوه أعرض عنى ، حتى اذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الىّ فسلمت عليه ، فوالله ما رد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عينائى ، وتوليت حتى تسورت الجدار ، قال : فبينما أنا أمشي في سوق المدينة اذا نبطى أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل علي كعب بن مالك ؟ فطفقت الناس يشيرون له : حتى اذا جاءنى دفع إلى كتاباً من ملك غسان فاذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة ، فالحق بنا نواسك ، فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرت به ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا رسول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأتينى فقال : إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأمرک أن تعتزل امرأتک ، فقلت أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل

إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لأمرأتى الحقى بأهلك فتكونى عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر ، قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ، ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربك ، قالت إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هاذا ، فقال لي بعض أهلى لو استأذنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في امرأتك ، كما اذن لأمرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وما يدرينى ما يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن كلامنا ، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة ، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله : قد ضاقت على نفسى ، وضاقت الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، قال فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج ، وأذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس ييشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض إلى رجل فارسا ، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذي سمعت صوته ييشرنى نزعته له ثوبي ، فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهم يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيتلقانى الناس فوجا فوجا يهنونى بالتوبة يقولون : لتهنك توبة الله عليك ، قال كعب حتى دخلت المسجد ، فاذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالس حوله الناس ، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حى صافحنى وهنانى ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا استنار وجهه حتى كأنه قطعة من قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أمسك عليك

بعض مالك ، فهو خير لك ، قلت : فإنى أمسك سهمى الذي بخير ، فقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقا مابقيت ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث - منذ ذكرت ذلك لرسوله الله (صلى الله عليه وسلم) أحسن مما أبلانى ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) (التوبة: ١١٧) ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين - الى قوله - وكونوا مع الصادقين﴾ فوالله ما انعم الله على من نعمة قط - بع أن هدانى للإسلام - أعظم ، في نفسى من صدقى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : (التوبة : ٩٥) ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم - إلى قوله - فإننا الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ ، قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله (التوبة : ١١٨) ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ وليس الذي ذكره خلفنا عن الغزو ، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه ، فقبل منه».

وزاد الامام البخاري رحمه الله في رواية أخرى قول كعب بن مالك رضي الله عنه : فلبثت كذلك حتى طال علي الامر ، وما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلى علي النبي ، (صلى الله عليه وسلم) ، أو يموت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأكون من الناس بتلك المنزلة ، فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلي على ، فأنزل الله توبتنا على نبيه (صلى الله عليه وسلم) حين بقي الثلث الآخر من الليل ، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند أم سلمة ، وكانت أم سلمة محسنة في شأني ، معينة في أمري ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا أم سلمة تيب على كعب ، قالت : أفلا أرسل إليه فأبشره ؟ قال : إذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة ، حتى إذا صلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلاة الفجر أذن بتوبة الله علينا ، وكان إذا استبشر استنار وجهه حتى كأنه قطعة من القمر^(١).

(١) صحيح البخاري متن فتح الباري ٩/٤١٣ .

ويذكر أن سبب تخلف مرارة بن الربيع رضي الله عنه عن اللحاق برسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه كان له بستان قد بدا صلاح ثماره ونضجها ، فأعجب به ومال إلى البقاء فيه فقال في نفسه : قد غزت قبلها ، فلو أقمت عامي هذا^(١) .

ويذكر أيضاً أن سبب تخلف هلال بن أمية رضي الله عنه ما حكاه عن نفسه قال : انه كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا ، فحدث نفسه ، بأنه لو أقام هذا العام عندهم متخلفاً عن مرافقة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مسيرة جهاده ، ولكنه سرعان ما تيقظ قلبه فأدرك أنه هفا بذنب ، فآب إلى التوبة ، وانخلع عما كان فيه راغباً من الإقامة عند أهله هذا العام ، وأناب إلى الله ، وقال : اللهم لك علي أن لا أرجع إلى أهل أو مال ، فغسل بتوبته حوبة هفوته^(٢) .

(١) انظر محمد رسول الله ، تأليف محمد صادق عرجون ٤/٤٤٨ .

(٢) المرجع السابق ٤/٤٤٨ .

ما يستفاد من قصة الثلاثة الذين خلفوا

إن هذه القصة تضمنت دروساً كثيرة عسكرية وغير عسكرية جدير بالعسكري قائد أن كان أو جندياً أن يتأملها وأن يستفيد منها في واقع حياته .

وإن الدروس والحكم والأحكام والعبر في هذه القصة كثيرة جداً تربو على الأربعين درساً وقد ذكرنا هذا مفصلاً في كتابنا الصراع مع الصليبيين من سلسلة في ظلال السيرة النبوية وتجنبنا الاطالة الباعثة على السآمة والملل فقد اختصرنا ذلك وأوردنا الدروس التالية :

أولاً : جهاد كعب وسابقتها : من قراءتنا للحديث السابق يظهر لنا حرص كعب بن مالك رضي الله عنه على الجهاد ، ومواظبته على حضور معظم الغزوات مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

أضف إلى ذلك أنه كان من أهل العقبة الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على نصرته وحمايته مما يحمون به أنفسهم وابنائهم ونساءهم وأموالهم ، ولقد بايع كعب بن مالك الأنصاري والذين معه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم يعلمون علم اليقين ما يترتب على هذه البيعة من قتل خيارهم وأن تعضهم السيوف وأن ترميهم العرب عن قوس واحدة ، ولقد حدث ما كانوا يتوقعونه من لأواء الطريق والخسائر الفادحة في الأنفس والأموال والشرات ، فثبتوا على طريق الجهاد دون أن تلين لهم قناة أو تهون لهم عزيمة ، وفي مقدمتهم كعب بن مالك رضي الله عنه .

ثانياً : أهمية بيعة العقبة : وتبدو هذه الأهمية من كلام كعب بن مالك ، ولقد شهدت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة العقبة حين توثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر اذكر في الناس منها .

ألا ترى أن كعب بن مالك يقدم هذه البيعة على وقعة بدر ، ذلك لأنه غزوة بدر وسائر

الغزوات كانت من نتائج هذه البيعة ، إذا بعدها قام الكيان الساسي للمسلمين في المدينة وترسخت اركان الدولة ، وصار لها جيش يصارع المشركين وأعداء هذا الدين .

ثالثاً : صدق كعب : لقد خلق الانسان أكثر شيء جدلاً ، ، من طبعه أن يدافع عن نفسه ويجادل عنها ويبرر لها الا من رحم الرب تبارك وتعالى ، ومن هؤلاء كعب بن مالك رضي الله عنه فقد كان قوى الحجة فصيح اللسان ، يملك ناصية البيان ، لقد كان بوسعه أن يعتذر لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعذر يرضى به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولكنه رفض هذا ، وأعلن بوضوح لا لبس فيه ولا غموض انه تخلف عن الغزوة ولا عذر له ولا مبرر لغيابه ، ولا مسوغ لتصرفه ، بل أدان نفسه بقوله : كان من خيري أني لم اكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريد غزوة الاورى بغيرها .

ويؤخذ من كلام كعب المتقدم أيضاً جواز اخبار الرجل عن تفريطه وتقصيره في طاعة الله ورسوله ، وعن سبب ذلك ، وما آل إليه أمره ، وفي ذلك من التحذير والنصيحة ، وبيان طرق الخير والشر ، وما يترتب عليها ما هو من أهم الأمور^(١) .

رابعاً : مشروعية التورية : فقد افاد حديث كعب أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يوري في معظم غزواته ، والتورية إرادة المتكلم معنى يحتمله اللفظ ويفهم السامع معنى آخر هو المعنى المتبادر لذهن السامع ، والتورية في الكلام مشروعة مع المسلمين وغيرهم .

قال ابن القيم : إن الامام إذا رأى المصلحة في أن يستر عن رعيته بعض ما يهم به ، ويقصده من العدو ، ويوري به عن غيره ، استحبه له ذلك ، او يتعين بحسب المصلحة ، إن الستر والكتمان إذا تضمن مفسده لم يجز^(٢) .

خامساً : لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد : لقد ابرز لنا تردد كعب وتسويفه في اعداد نفسه للسير مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) خطر التأجيل ، والتسويق إذا أدى إلى تخلفه عن

(١) زاد المعاد ٣/ ٥٧٤ .

(٢) زاد المعاد ٣/ ٥٧٣ .

اللحاق مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وحرمانه من أجر الغزو معه ، بل عرضه إلى غضب الله تبارك وتعالى ، وغضب رسوله الله (صلى الله عليه وسلم) .

تأمل قول كعب يوضح هذا الأمر : وتجهز رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي اتجهز معهم ، فأرجع ، ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : اتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ، ثم رجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتنى فعلت ، فلم يقدر لي ذلك .

قال ابن القيم : « إن الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة ، فالحزم كل الحزم في انتهازها ، والمبادرة إليها ، والعجز في تأخيرها ، والتسويق بها ، ولا سيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من تحصيلها ، فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبتت ، والله سبحانه يعاقب من فتح له باباً من الخير فلم ينتهزه ، بأن يحول بين قلبه وإرادته ، فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له ، فمن لم يستجب لله ولرسوله إذا دعاه ، حال بينه وبين قلبه وإرادته ، فلا يمكنه الاستجابة بعد ذلك قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) سورة الأنفال الآية ٢٤ » (١) .

سادساً : صاحب النفس الأبية لا يطيق حياة القعود عن الجهاد :

لقد آلم كعب بن مالك رضي الله عنه بعد أن سار الجيش الاسلامي إلى تبوك وتأخر في المدينة أن يرى نفسه مع المتخلفين من المنافقين واصحاب الاعذار من النساء والولدان الذين لا يستطيعون القتال .

إنها حالة مؤلمة حقاً أن ينظر الانسان الأبى الى من حوله فيجد الرجال قد خرجوا للقتال ، وبقي هو مع المنافقين والنساء والأطفال يأكل ويشرب ويحيى هذه الحياة غير السوية ، التي يأبأها

(١) زاد المعاد ٣/ ٥٧٤ .

الرجال الاشواوس واصحاب النفوس العالية ، والعزائم القوية ، تأمل قول كعب رضي الله عنه :
فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فطفت فيهم
أحزني أني لا أرى الا رجلاً مغموصاً عليه النفاق او رجلاً ممن عذره الله من الضعفاء .

سابعاً منزلة كعب عند النبي : من تأملنا لحديث كعب ، نجد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يذكر رجلاً من المسلمين ولم يسأل عنه ، سوى كعب بن مالك رضي الله عنه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اهتمام النبي (صلى الله عليه وسلم) بكعب بن مالك الأنصاري ، رضي الله عنه ، ذلك لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا ذكر واحد في مجلسه قد تأخر عن السير مع الجيش أهمله قائلاً : دعوه إن يك به خيراً يلحقه الله بكم ، وفي هذا الوقت يسأل عن كعب واخباره .

ثامناً : اجابة السؤال عن حال الشخص ليست غيبة : أخذنا هذا من إجابة الرجل من بنى سلمة عن سؤال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما فعل كعب فقال : حبسه برداه ، ونظره في عطفه ، انه مما لا شك فيه أن هذا الكلام فيه نيل وإساءة إلى كعب بن مالك رضي الله عنه .

وفي حضرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولم ينكر (صلى الله عليه وسلم) ذلك .

ومما يجدر ذكره أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنكر على الرجل ما قال عن كعب رضي الله عنهم اجمعين .

تاسعاً : حسن الظن في المسلم والدفاع عنه في غيبته أمر مشروع : ألا ترى أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قد أنكر على الرجل من بنى سلمة حينما نال من كعب بن مالك رضي الله عنه فقال : بش ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيراً .

عاشراً : الاستعانة برأي الأقارب واستشارتهم في الأمور الخاصة : قال كعب : فلما بلغني أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) توجه قافلاً حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي .

أقول : إن الانسان قد تمر به حالات من الاضطراب النفسي تجعله في حيرة من أمره وكيف يواجه هذه الحالات ويحل تلك المشاكل ، ولهذا يلجأ إلى من يثق بدينه وحبه ، لعله يشير عليه بشيء ينقذه مما يعاني ، وأقرب الناس إليه اهله واقرباؤه المسلمون المخلصون .

حادي عشر : الصدق منجاة والكذب مهلكة : لقد كان كعب بن مالك رضي الله عنه صادقاً مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يخف عليه شيئاً ، بل صرح بإدانة نفسه ، فكان لهذا الصدق ثمرته في قبول توبة كعب التي أفرحت جميع المسلمين وفي مقدمتهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما أثلجت صدر كعب بن مالك وشرحته بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت أما المنافقون الذين اختلقوا الاعذار الكاذبة وافترخوا الحجج الواهية ، فقد هلكوا في الدنيا والآخرة بسبب هذه الافتراءات والأكاذيب ، قال تعالى : (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة لن يغفر الله لهم)^(١) .

قال ابن القيم : « ومنها توفيق الله لكعب وصاحبيه فيما جاءوا به من الصدق ، ولم يخذلهم حتى كذبوا ، واعتذروا بغير الحق ، فصلحت عاجلتهم ، وفسدت عاقبتهم كل الفساد ، والصادقون تعبوا في العاجلة بعض التعب ، فأعقبهم صلاح العاقبة ، والفلاح كل الفلاح ، وعلى هذا قامت الدنيا والآخرة ، فمرارات المباديء حلالات في العواقب ، وحلالات المباديء مرارات في العواقب ، وقول النبي (صلى الله عليه وسلم) لكعب : أما هذا فقد صدق ، دليل ظاهر في التمسك بمفهوم اللقب عند قيام قرينة تقتضي تخصيص المذكور بالحكم .. ، وقوله في الحديث : أما هذا فقد صدق ، وهذا مما لا يشك السامع أن المتكلم قصد تخصيصه في الحكم^(٢) .

ثاني عشر : البدرى ليس معصوماً ولا يعفى من العقوبة : لقد كان من المتخلفين هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وهما بدريان ، ومع هذا فقد عاقبهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأن أمر المسلمين بمقاطعتهما مقاطعة صارمة ، وامتد الأمر إلى منعهم معايشة ازواجهم .

(١) الآية ٨٠ من سورة التوبة .

(٢) زاد المعاد ٣/٧٦-٥٧٧ .

ثالث عشر : جواز الهجران اكثر من ثلاثة أيام عقوبة : لقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمقاطعة الثلاثة وهجرانهم مدة خمسين يوماً .

رابع عشر : التزام المسلمين بأوامر القيادة المسلمة : وما إن أصدر النبي (صلى الله عليه وسلم) أمره بعدم الكلام مع هؤلاء الذين تخلفوا عن غزوة تبوك إلا استجاب المجتمع المسلم كله لأمره حتى أقرب الناس إليهم لم يتكلموا معهم ، قال كعب بن مالك رضي الله عنه : ونهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف ، فأما صاحبائى فاستكانا وقعدا في بيوتهما يكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج للصلاة مع المسلمين وأطوف الأسواق ، ولا يكلمنى أحد حتى اذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الىّ فسلمت عليه ، فوالله ما رد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟

فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

ولما جاد سفير ملك غسان إلى كعب بن مالك رضي الله عنه برسالة يحملها إليه ، ويسأل عنه الناس وهم يرونه لم يتكلموا بكلمة بل أشاروا إلى كعب بن مالك ليدلوا سفير ملك غسان عليه ليعطيه الرسالة .

وبلغ الالتزام ذروته بأوامر القيادة المسلمة حين أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الثلاثة الذين خلفوا بأعتزال زوجاتهم حتى يقضى الله أمرا كان مفعولاً فالتزم الجميع بذلك ، واستأذنت زوج هلال بن أمية وكان شيخاً طاعناً في السن لا يوجد من يخدمه أن تخدمه فأذن لها النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك شريطة الا يقربها فالتزمت رضي الله عنها .

خامس عشر : يلاحظ من قول كعب بن مالك رضي الله عنه أنه كان يلقي السلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا يسمع رداً على تحيته بل لا يكاد يرى حركة شفطي

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تأمل قوله رضي الله عنه : وآتي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم اصلي قريباً منه اسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

ويؤخذ من هذا أنه يجوز عدم رد السلام كعقوبة للتأديب والتهذيب والزجر وهذا تقييد للمطلق في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) .

سادس عشر : علاج الفتنة : لقد تعرض كعب بن مالك رضي الله عنه إلى فتنة واستدراج من ملك غسان في وقت مناسب للفتنة وهو مقاطعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين معه لكعب رضي الله عنه ، إذ جاءه كتاب ملك غسان وهو منبوذ من المجتمع الاسلامي ، لا يكلمه أحمد .

أضف إلى ذلك فإن صيغة الكتاب تحرض على الفتنة وتغري المخاطب بانتهاجها : قال كعب : فبينما أنا أمشي بسوق المدينة اذا نبطى من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له : حتى اذا جاءني دفع إلى كتابا من ملك غسان فاذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة ، فالحق بنا نواسك ، فماذا كان موقف كعب رضي الله عنه من ذلك ؟

لقد ادرك كعب بن مالك رضي الله عنه لحسه الايماني وبصيرته أن عرض ملك غسان عبارة عن فتنة وابتلاء لإيمانه وولائه وحبه لدينه وبصيرته ، فنجح في الامتحان بمعرفة الهدف من ذلك كما نجح في الامتحان بحسن الرد على هذا الاسلوب اللئيم ، وذلك برأد الفتنة واسبابها بالقاء الرسالة في النار وحرقتها ، وبذلك أحرقت الفتنة بحرق الرسالة .

اقول : ان هذا التصرف من كعب رضي الله عنه يدل على صفاء ايمانه ونقاء سريرته وحبه لدينه ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين ، اذ لم يتأثر لهجرانهم تأثيراً يدفعه يتصرف تصرفاً يتنافى مع اخوة الايمان ومودة الاسلام .

وأقول :

إن مما يجدر ذكره هنا أن العدو يراقب ويرصد ويستغل الفرص السانحة له حتى يمزق الجبهة الاسلامية ويشعل نار الفتنة بين المسلمين ، ليوهن البنيان ويقوضه من الاركان ، ألا ترى كيف استغل ملك عسان فرصة هجران المسلمين لكعب بن مالك رضي الله عنه وعقوبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) له بأن يرسل سفيره لكعب برسالة خاصة معه إليه يغريه فيها بترك الاسلام وهجر المجتمع الاسلامي إلى مجتمع الشرك ، تأمل قول ملك غسان : أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة ، فالحق بنا نواسك .

وأقول أيضاً إن على الدعاة أن يفطنوا إلى تصرفات أعدائهم وأساليبهم في احداث الفتن في المجتمع المسلم وافساد ذات البين بين الذين آمنوا ، وخير وسيلة لدرء هذه الفتن وتقويتها تكون بعمق الوعي والادراك والحذر من اساليب الاعداء ، وعدم الاستجابة لها والتأثير بها ، والتحصن بالايمان القوي الذي يلفظ الخبث كما يلفظ الكير خبث الحديد .

سابع عشر : العقوبة الناجعة هي التي تؤدي غرضها : لقد كانت العقوبة التي أوقعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحق كعب بن مالك وأخويه (رضي الله عنهم أجمعين) قد حققت هدفها وهو زجر المعاقب ومنعه من العودة إلى مثل ما وقع فيه ، فلقد تأثروا جميعاً تأثيراً شديداً وغمرهم الحزن والألم لما وقع حتى تنكرت لهم الأرض فما هي بالتي يعرفون ، ولقد وصف الله تبارك وتعالى حالهم وصفاً بليغاً فقال سبحانه : (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه)^(١) .

ولو تفحصنا نوع هذه العقوبة لم نجد لها عقوبة حسية كالجلد او القطع او الجرح ، وإنما كانت عقوبة تنصب على الضمير والوجدان أوقعها افراد المجتمع كلهم بهجرانهم وعدم الحديث معهم ، ويقيني أن هذه العقوبة كانت اشد ايلاما من الجلد والسجن والقطع ، للثلاثة ولسائر افراد المجتمع إن تخلف بعضهم عن الجهاد أو أي أمر رباني أو نبوي^(٢) .

(١) الآية ١١٨ من سورة التوبة .

(٢) وبعد كتابة هذه الأسطر قرأة في كتاب القضايا الكبرى في الاسلام ص ٧٣٠ : إن المقاطعة لا يقصد فيها الألم الحسي ولكن يقصد فيها ناحية الألم الروحي لتكون عقاباً نفسياً يشعر النفس أقوى شعور بخطئها ، ويحدث فيها من الألم =

لقد كانت العقوبة عظة لكل فرد في المجتمع كما كانت عظة ودروسا للثلاثة الذين خلفوا .

قال ابن القيم : في الحديث دليل على هجران من فعل ما يستوجب العتب ، ويكون هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به ، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه ، إذ المراد تأديبه لا إتلافه ، وقوله : حتى تنكرت لي الأرض فما هي بالتي اعرف ، هذا التنكر يجده الخائف والحزين والمهموم ، في الأرض ، وفي الشجر والنبات حتى يجده فيمن لا يعلم حاله من الناس ، ويجده أيضاً المذنب العاصي بحسب جرمه ، حتى في خلق زوجته وولده ، وخادمه ودابته ، ويجده في نفسه أيضاً ، فتنكر له نفسه ، حتى ما كأنه هو ، ولا كأن أهله واصحابه ولا من يشفق عليه بالذين يعرفهم ، وهذا سر من الله لا يخفى الا على من هو ميت القلب ، وعلى حسب حياة القلب ، يكون إدراك هذا التنكر والوحشة ، وما لجرح بميت ايلام .

ومن المعلوم أن هذا التنكر والوحشة كانا لأهل النفاق أعظم ، ولكن لموت قلوبهم لم يكونوا يشعرون به ، وهكذا القلب إذا استحکم مرضه ، واشتد ألمه بالذنوب والاجرام ، لم يجد هذه الوحشة والتنكر ، ولم يحس بها ، وهذا علامة الشقاوة ، وأنه قد أيس من عافية هذا المرض ، وأعياء الأطباء شفاؤه ، والخوف والهم مع الريبة ، والأمن والسرور مع البراءة من الذنب .

فما في الأرض اشجع من برئ ولا في الأرض أخوف من مريب

وهذا القدر قد ينتفع به المؤمن البصير إذا ابتلى به ثم راجع ، فإنه ينتفع به نفعاً عظيماً من وجوه عديدة تفوت الحصر ، ولو لم يكن منها الأستثمارات من ذلك اعلام النبوة ، وذوقه نفس ما أخبر الرسول فيصير تصديقه ضرورياً عنده ، ويصير ما ناله من الشر بمعاصيه ، ومن الخير بطاعته من أدلة صدق النبوة الذوقية التي لا تتطرق إليها الاحتمالات ، وهذا كمن أخبرك أن في هذا الطريق من المعاطب والمخاوف كيت وكيت على التفصيل فخالفته وسلكتها ، فرأيت عين ما أخبرك به فإنك تشهد صدقه في نفس خلافتك له ، وأما إذا سلكت طريق الأمن وحدها ،

= والندم ما لا يحدثه العقاب الذي يقع على الجسم ، وهذا تجديد في العقاب يحاول المصلحون أن يصلون إلى مثله في عصرنا ليجعلوا عقاب المجرم وسيلة لتهديه ، فيكون المقصود الاول من العقاب التهذيب لا التعذيب .

ولم تجد من تلك المخاوف شيئاً ، فإنه وإن شهد صدق الخبر بما ناله من الخير والظفر مفصلاً فإن علمه بذلك يكون مجملًا^(١) .

وفي أثر هجران كعب بن مالك وصاحبيه درس :

حقاً لقد كان لهجران المسلمون ومقاطعتهم للثلاثة الذين خلفوا اثر قوى في نفوسهم ، ذلك لأن مظهر المقاطعة عدم التكلم ، والتكلم من أعظم سمات التفاعل والتكافل الاجتماعي ، فهو صلة الإنسان بغيره من أصدقائه وأهله ، وهو طريق تعبيرى انفعالي ، للتنفيس عما يجول في النفس ، ثم إن الكلام وسيلة اجتماعية لتحقيق الرغبات ، وتزداد أهمية التكلم إذا منع الإنسان منه ، ويزداد ألم المنع إذا تكلم مع غيره دون مجيب سيما وقد استمر ذلك الامتناع عن الاجابة أياماً وليالي بلغت خمسين^(٢)

ثامن عشر : بكاء كعب يدل على مدى الحرقه والألم الذي ألم به ويعانيه : هناك فرق شاسع جداً بين بكاء الرجل وبكاء المرأة ، فالمرأة تبكي لأتفه الأسباب وأقلها ، دمعها غزير ينهمر بسرعة ، اما الرجل فدمعه قليل في الغالب ، يتجلد ويصبر على طعنات الرماح وضربات السيوف ، ولا يبكي الا في حالات نادرة جداً ، فلا يبكي الا لآلام لا يعلم مداها الا الله او لموقف مؤثر جداً .

وكعب بن مالك رضي الله عنه كما يخبر البخاري قد بكى وانهمرت عيناه لآلام أشد من طعنات الرماح وضربات السيوف ، انها آلام غضب الله وغضب رسوله ، وهجران رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين له .

إن اشد ما يقلق المسلم ويزعجه ويؤلمه أن يشعر أن الله عز وجل قد سخط عليه وأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد غضب عليه .

لقد كان كعب بن مالك رضي الله عنه وأرضاه أخشى ما يخشاه أن يتوفى رسول الله

(١) انظر زاد المعاد ٣/٧٨ - ٥٨٠ .

(٢) انظر الرسول العربي المربي ٣١٤ .

(صلى الله عليه وسلم) قبل قبول توبته فلا يصلي عليه ، وحيث لا يجرؤ أحد من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يصلي عليه .

تأمل قوه رضي الله عنه : وما من شيء أهم إلى من أن أموت فلا يصلي علي النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أو أيموت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي علي .

إنه التفكير في الآخرة لا التفكير في الدنيا ، هو التفكير الذي يؤرق حقاً رضا الله ورضا رسوله ، ومن ثم الفوز بالجنة ، وأما غضب الله وغضب رسوله ومن ثم الحياة البئيسة الشقية في نار جهنم ، قال تعالى : (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجور كم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)^(١).

(١) الآية ١٨٥ من سورة آل عمران .

المرأة والغزو

المرأة والغزو

لقد تعرض العالم الاسلامي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين إلى غزو فكري وغزو عسكري ، ولقد كان الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري بل هو يمهد للغزو العسكري ويطيل بقاءه وينفذ اهدافه .

نعم إن الغزو العسكري يدركه كل الناس على اختلاف مستوياتهم الفكرية والعلمية يدركه الجاهل والعالم ، الأمي والمتعلم ، فإن وجود القوات الغازية على أرض الوطن لا تحتاج إلى كبير فهم لأدراكها ، أما الغزو الفكري فهو غير مرئي ولا محسوس إذا لا وجود يراه الناس بأعينهم ويسمعونه بآذانهم ويعانون من بطشه وأذاه .

والغزو الفكري يعمر كثيرا أكثر من الغزو العسكري ، فقد تنسحب جيوش الاعداء من البلاد المحتلة ويبقى الغزو الفكري عشرات السنين محتلاً لعقول الناس وعاداتهم وقلوبهم .

والغزو الفكري يجند له كثير من سكان البلاد وهؤلاء الجنود قد لا تظهر حقيقتهم للناس ، بخلاف الذي يخدم مع قوات الاحتلال العسكري ، إن هؤلاء التلاميذ العملاء الأذئاب في الغزو الفكري يحققون سياسة الاعداء وتخدع بهم الجماهير ، لأنهم منهم ويتكلمون بلغتهم ويعيشون معهم .

إن هذا الغزو الفكري يستهدف إلى تشكيك المؤمنين في دينهم وتاريخهم ورسولهم وصحابته رضوان الله عليهم ليخلصوا إلى نتيجة قبيحة هو إنسلاخ الأمة من دينها وعقيدتها وتايخها والتنكر لأبطالها ، والرضا بالأوضاع الآسنة التي صنعها اعداء هذه الأمة وأرادوا أن تترسخ فيها عادات واعراف وقيم واخلاق غير القيم والاخلاق الاسلامية .

ومما يعرضه هؤلاء الغزاة الفكريون ليشككوا به الناس والمرأة بالذات قولهم إن الاسلام قهر

المرأة وكتبها وحكم عليها أن تعيش بين أربعة جدران لاتسهم في مجتمعها ولا تدافع عن أرضها وعرضها ومقدساتها ، فهل حقاً يقال أن الاسلام حرم المرأة من المشاركة في بناء المجتمع والاسهام في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ؟

وحتى لا نستطرد نحدد الحديث عن موقف الاسلام من خلال سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) العسكرية من مشاركة المرأة في الغزو واسهامها في الأمور العسكرية فنقول وبالله التوفيق وعليه الإتكال :

إن الإسلام قد فرض القتال الهجومي لنشر الدعوة الاسلامية وتحطيم الأنظمة السياسية المناوئة للاسلام والمعادية له على الرجال دون النساء ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وفي هذه الظروف يكون القتال فرض كفاية على الرجال دون النساء ، إذا لا تأثم المرأة المسلمة اذا لم تخرج تقاتل لنشر الاسلام ، لأن إلزام النساء بالقتال يرهقهن ويكلفهن ما لا يطقن وإنما التكليف في حدود الوسع والطاقة ، وترك لها الحرية في المشاركة في ذلك فلقد أباح الشرع الاسلامي في هذه الظروف للمرأة المسلمة أن تخرج مع الغزاة ورتب لها الأجر على كل جهد تقوم به ، سواء كان بسقي المقاتلين او بتضميد الجرحى او بنقل القتلى .

وفي سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شواهد كثيرة على مشاركة المرأة في الجهاد والغزو ومساعدة المقاتلين والجرحى .

ففي هجرة حشد الطاقات من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة من أجل بناء المجتمع الاسلامي والكيان السياسي والدولة الاسلامية كان للمرأة المسلمة دور ، إذ كانت أسماء تقوم بتزويد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن معه في الغار بالماء والغذاء وتحملت أم سلمة رضي الله عنها العنت والمشقة من أجل الهجرة وحشد الطاقات في المدينة المنورة .

وفي غزو أحد شاركت المرأة في المعركة ، فلقد شاركت عائشة أم المؤمنين رضي الله

عنها، ونساء صحابييات في نقل الماء إلى المقاتلين، وسقيهم، فقد روى الامام مسلم (رحمه الله) في صحيحه بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم وانهما مشمرتان أرى خدام سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في افواههم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان تفرغانه في افواه القوم^(١) وروى الامام مسلم (رحمه الله) في صحيحه، عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يغزو بأم سليم ونسوة من الانصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى^(٢).

ومن النساء اللواتي خرجن يوم أحد أيضاً أم سلمة، رضي الله عنه، وأم سليم سهلة بنت ملحان، وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، وحمنة بنت جحش، وأم أيمن، وأم سليط، رضي الله عنهن جميعاً، وأم سليط هذه قدمها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على زوجه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسبب جهادها في أحد، فقد أشار عليه بعض الصحابة أن يعطي قرطاً جيداً لزوجه أم كلثوم فأبى وقال : أم سليط أحق به منها، فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد^(٣).

ولم يقف عمل المرأة وجهادها في غزوة وغيرها عند سقي المحاربين وتضميد الجرحى، بل امتشقت الحسام، وجالدت الابطال من الرجال يوم أن اقتضى الحال ذلك، دفاعاً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتعرضت لأعتى هجمات المشركين، وأشرس ابطالهم كابن قميئة، فكانت طوداً أشماً في ثباتها على الرغم مما أصابها من الضربات القوية التي أحدث بعضها أخدوداً بعيد الغور في عاتقها.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يراها، وهي تجابه الرجال، وتقاتلهم في احلك الظروف وأصعبها، وأخرج ساعات القتال، لا تبالي بالموت ولا تعباً به، فأقرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم ينكر عليها، بل شجعها ودعا لها ولولدها.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٨٩ وصحيح البخاري متن فتح الباري ٨/ ٣٦٥.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٨٨.

(٣) صحيح البخاري متن فتح الباري ٨/ ٣٦٩.

وقد حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن جهاد ام عمارة في أحد فقال : ما التفت يميناً وشمالاً يوم أحد الا رأيتها تقاتل دوني^(١) .

وكان الخليفان الراشدان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يكرمانها في خلافتيهما لجهادها^(٢) .

وفي غزوة الحديبية خرج مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عدد من النسوة ، كأم سلمة زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضي الله عنها، وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية وأم منيع أسماء بنت عمر بن عدي وأم عامر الأشهلية ، ولما دعا الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى البيعة على القتال ، ودخول مكة عنوة ، أو الشهادة كانت النسوة قد بايعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أما أم عمارة فقد قامت إلى عمود فأخذته بيدها ومعها سكين قد شدتها في وسطها ، وقالت : إن دنا مني أحد رجوت أن أقتله^(٣) .

وفي غزوة حنين شاركت ام عمارة نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنه ، فقد كان في يدها سيف صارم ، فلما رأت رضي الله عنها الناس يفرون من وجه المشركين صاحت بالأنصار تقول :

يا للأنصار ، اية عادة هذه ؟

مالكم والفرار ؟

واستلت سيفها وتعرضت للمشركين تقاتلهم وتقتل منهم^(٤) .

وفي هذه الغزوة ، غزوة حنين ، شاركت ام الحارث الانصارية ، رضي الله عنها ، ولما انهزم الناس أخذت بخطام جمل زوجها ابي الحارث ، وكان يسمى الجسار ، فقالت ، يا حارث تترك

(١) شرح المواهب ٢/٤١-٤٢ .

(٢) صحيح البخاري متن فتح الباري ٨/٣٦٩ .

(٣) انظر غزوة الحديبية للدكتور محمد أبو فارس ٢٣، ٩٥ .

(٤) ١ نظر سبل الهدى والرشاد ٥/٤٨٦-٤٨٧ .

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟

وتحاول ثني الجمل عن اللحق بالناس

فمر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت له : يا عمر ما هذا ؟

فقال عمر : أمر الله .

ثم التفتت تقول لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا رسول الله من جاوز بعيري فاقتله ، والله ما رأيت كاليوم ما صنع هؤلاء بنا تعنى بني سليم وأهل مكة الذين انهزموا بالناس^(١) .

ومن القلة الذين ثبتوا في غزوة حنين عند الصدمة الأولى المفاجئة ام سليط بنت عبيد الأنصارية رضي الله عنها^(٢) .

وشاركت في هذه الغزوة ام سلمة زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضي الله عنها وام المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها^(٣) .

وروى الامام مسلم رحمه الله في صحيحه بإسناده إلى انس بن مالك رضي الله عنه قال : اتخذت ام سليم يوم حنين خنجراً فكان معها فرآها أبو طلحة فقال : يا رسول الله هذه ام سليم معها خنجر . فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته إن دنا مني احد من المشركين بقرت بطنه ، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يضحك ، قالت يا رسول الله اقتل من بعدنا من الطلقاء ، انهزموا بك ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن الله قد كفى وأحسن^(٤) وعن ام عطية الانصارية رضي الله عنه عنها قالت : غزوت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سبع غزوات اخلفهم في رحالهم فأصنع لهم

(١) انظر المغازي للواقدي ٣/٩٠٤ .

(٢) انظر سبل الهدى والرشاد ٥/٤٨٧ .

(٣) انظر السيرة العطرة ص ٥٣٨ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٨٧-١٨٨ .

الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى^(١) وقد صحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة خيبر عشرون امرأة غزون مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضخ لهن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من غنائم خيبر^(٢).

وروى مسلم في صحيحه بإسناده إلى يزيد بن هرمز أن نجدة كتب إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن خمس خلال فقال ابن عباس رضي الله عنهما - لولا أن أكتم علماً ما كتبت إليه ، كتب إليه نجدة أما بعد فأخبرني هل كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يغزو بالنساء وهل كان يضرب لهن بسهم ؟ وهل كان يقتل الصبيان ؟ ومتى ينقضي يتم اليتيم وعن الخمس لمن هو ؟ فكتب إليه ابن عباس : كتبت تسألني هل كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يغزو بالنساء ، وقد كان يغزو بهن فداوين الجرحى ويحذين من الغنيمه^(٣).

فهذا الحديث يدل بدلالة العبارة على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يشرك النساء في الغزو ويعطينهن من الغنيمه التي يغنمها المقاتلون في المعركة قال النووي رحمه الله : « يحذين يعطين تلك العطية وتسمى الرضخ ، وفي هذا أن المرأة تستحق الرضخ ، ولا تستحق السهم ، وبهذا قال ابو حنيفة والثوري والليث والشافعي وجماهير العلماء ، وقال الاوزاعي تستحق السهم إن كانت تقاتل أو تداوي الجرحى »^(٤).

ومما يجدر ذكره هنا أن سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه حينما أصيب في غزوة الاحزاب قامت على علاجه رفيدة الأسلمية ، ، بل اذن لها أن تعالجه في خيمة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولقد انفجر جرحه وهو في الخيمة فنزف حتى مات رضي الله عنه^(٥).

واخيراً فلا بد أن ننبه إلى حكم شرعي نص عليه كثير من الفقهاء وهو أن القتال يصبح

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٩٤ .

(٢) الصراع مع اليهود ٣/٤٦-٤٧ .

(٣) شرح النووي على مسلم ١٢/١٩٠ .

(٤) شرح النووي على مسلم ١٢/١٩٠ .

(٥) انظر فتح الباري ٨/٤١٩ والاصابة ٤/٣٠٢-٣٠٣ .

فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، في حالة الاعتداء على أي شبر من أرض المسلمين ،
فالدفاع عنه وعن الاعراض والاموال والأطفال والشيوخ الهرمين ، فرض عين على كل قادر
على القتال فالمرأة تخرج بدون إذن زوجها ، والولد يخرج بدون إذن أبيه ، والعبد بدون إذن
سيده .

فالمرأة المسلمة كما ترى يتوجب عليها أن تدافع عن نفسها ، وعن وطنها ومؤسسات
الدولة التي تعيش في كنفها إذا تعرضت للأخطار .

وكتب السيرة تذكر لنا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وضع النساء والأطفال في
حصن منيع خشية الاعتداء عليهن وترويعهن ومن أجل حمايتهن ، ونذكر أن يهودياً من بني
قريظة قد تسلل الى الحصن واقترب منه فقامت صفية بنت المطلب عمة رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) ، ووالدة الزبير بن العوام إلى هذا اليهودي فقتلته دفعاً لشره ودفعاً عمن في الحصن
وعن نفسها كذلك^(١) .

وخلاصة القول ان الاسلام لم يوجب على المرأة المسلمة القتال حينما يكون فرض كفاية ،
وفي نفس الوقت لم يمنعها من المشاركة في الغزو بل أذن لها بذلك ، وأوجب عليها الخروج في
حالة الدفاع عن النفس والأوطان وتحرير ألقها من مغتصبيها .

وحيث أذن الاسلام للمرأة المشاركة في الغزو لم يكلفها بأعباء الجهاد الا ما يتناسب مع
قدرتها وصلاحياتها ، فهي تكلف من اعباء الجهاد ما تطيق وتتقن ، كسقي المقاتلين وتزويدهم
بالطعام واسعاف الجرحى ، وبعبارة دقيقة ينبغي أن تعد للمشاركة في الحرب وأن تعمل في
التموين والخدمات الطبية ، فإذا قامت الضرورة على مشاركتها في أكثر من ذلك فينبغي أن تعد
له وأن تقاتل إن اقتضت الضرورة ذلك والضرورة تقدر بقدرها ، علماً بأن وسائل القتال قد
تطورت فيمكنها أن تعمل في أمور أخرى لا تخرجها .

وينبغي أن تراعى في ذلك جميع الأحكام من حيث اللباس والزينة والاختلاط والحديث
في التدريب والنوم والجلوس والأكل والشرب والخلو وخضوع القول وغير ذلك من الأمور .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٢٨/٢ .

الأسر وأحكام الأسرى

الأسر وأحكام الأسرى :

إن الاسلام يعتبر الأسر آخر مرحلة من مراحل قتال العدو ، ولا يكون الا بعد اثخانته أي بعد الاكثار من القتل في صفوف العدو لكسر شوكته وتقويض دولته وهدم الروح المعنوية القتالية عنده ، حتى يستسلم لأرادة المسلمين وحكمهم بعد أن تدمرت قواته وقتل قاداته وامراؤه.

وهذا له أثر على الاعداء الآخرين الذين يتعاطفون معه ، قال تعالى : (فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون)^(١).

فالآية كما ترى توجيه وارشاد لكل مسلم إذا ظفر بعدو له في أي حرب من الحروب الا يفلت منه وأن يعمل السيف فيه قتلاً وذبحاً حتى يلقي الرعب في قلوب المقاتلين وقلوب غيرهم ممن يتعاطفون معهم او يحرضونهم على الغدر والخيانة^(٢).

ولقد عاب الله على المؤمنين في غزوة بدر الكبرى التي كانت اول معركة فاصلة بين معسكر الايمان والكفر ، تسرعهم في الأسر وعدم اثخانهم في المقاتلين المشركين الذين خرجوا بطراً ورثاء الناس طلباً للجاه والسمعة وفرض الهيبة والهيمنة ، بل كان الأولى بالمسلمين أن يكثروا من القتل و النكاية في صفوف العدو حتى تخضع شوكته ، وتنهار مقاومته ، وتتمرغ سمعته ، فلا يقوى على القتال مرة ثانية .

ولقد رأى هذا الرأي سعد بن معاذ رضي الله عنه زعيم الأوس ، وكان رضي الله عنه في غزوة بدر حارسا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في العريش الذي بني له ، فقد رأى النبي

(١) الآية ٦٧ من سورة الانفال .

(٢) تفسير سورة الانفال للدكتور محمد أبوفارس ص ١٢٢-١٢٣ .

(صلى الله عليه وسلم) الكراهية في وجهه حينما رأى المسلمين يأسرون المشركين ، فقال له (صلى الله عليه وسلم) و الله كأنك ياسعد تكره ما يصنع القوم ، قال : أجل يا رسول الله ، كانت اول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الاثخان في القتل بأهل الشرك أحب إلي من استبقاء الرجال^(١) ولقد كانت هناك فرصة أخرى للاثخان وكسر شوكة المشركين وهي قتل الأسرى ، كما كان يرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن رواحة ، ولكنها لم تستثمر ، فاستبقى الرجال الأسرى وأخذ منهم الفداء فأنكر الله ذلك على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلى المؤمنين البدرين هذا الفعل ، قال سبحانه : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾^(٢) ولقد بكى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما نزلت هذه الآية وبكى معه أبوبكر فمر عليهما عمر بن الخطاب يكيان فقال : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكى انت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ابكي للذي عرض على أصحابك من أخذ الفداء لقد عرض علي عذابهم اقرب من هذه الشجرة^(٣) .

مما تقدم اتضح لنا أن منهج الاسلام في الاسر يكون بعد الاثخان في العدو فإذا حدث الاثخان وتم الأسر فكيف يعامل الأسرى ؟ وما مصيرهم ؟

إن الدارس لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغزواته يجد أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمر بإحسان معاملة الأسرى قبل اصدار الحكم عليهم ، وتنفيذ هذا الحكم من الامام أو من ينبيه لذلك ، فلا يعذب ولا يمنع من الطعام والشراب ولا يمثل به لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين حينما أسروا في غزوة بدر الكبرى سبعين من مشركي قريش : (استوصوا بالاسارى خيراً)^(٤) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٦٢٨/١ .

(٢) الآيات ٦٧، ٦٨ من سورة الانفال .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٨٦-٨٧ .

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/ ٥٠٢ ، قال السبكي : رواه الطبراني عن أبي عزيز وهو حسن السناد وقال صاحب فيض القدير : قال الهيثمي : اسنده حسن .

وما يذكره ابن هشام رحمه الله في سيرته عن أبي عزيز الذي كان يحمل راية المشركين في غزوة بدر وقد أسره المسلمون في غزوة بدر وكان أخاً لمصعب بن عمير رضي الله عنه قوله: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز الا ونفحني بها ، فاستحي فأردها على أحدهم ، فيردها علي ما يمسه^(١) .

ولما اسر المسلمون أبا سفيان بن حرب قبل دخول مكة عاملوه معاملة حسنة فأركبه العباس على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وطلب له الأمان من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأعطاه الأمان ، واحتفى به المسلمون واستعرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوة الجيش أمامه .

هذا ولقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الحاق الأذى حتى بالذين حكم عليهم بالقتل ، فقد جاء مسلم ليقstad نياش اليهودي فأبي عليه ، وقاومه ، فما كان من المسلم والحالة هذه الا أن صرعه ودق أنفه فأرعفه فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على هذه الحالة قال للذي أرفعه : لم صنعت هذا ؟ ثم قال : احسنوا اسارهم وقيلوهم ، واسقوهم ، واطعموهم ، ولا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح ، وكان يوماً صائفاً ، فقيلوهم وسقوهم وأطعموهم^(٢) .

واما حكم الاسلام في الأسرى فواضح من خلال سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزواته فأحياناً يمين على الأسرى ، وأحياناً يأخذ الفداء منهم ، وأحياناً يسترقهم ، وأحياناً يأمر بقتلهم .

ففي غزوة بدر الكبرى أخذ من أكثرهم الفداء ، ومن على قليل منهم من كان غير قادر على دفع الفداء فقير الحال ، وكان فداء بعض الأسرى عبارة عن منفعة وليست مالاً إذ كان

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٦٤٥/١ .

(٢) انظر امتناع الاسماع ٢٤٩/١ وشرح المواهب ١٣٢/٢ .

يكلف كل اسير لا يقدر على الفداء ، ويتقن الكتابة أن يعلم عشرة صبيان من صبيان المسلمين الكتابة ثم يعود حراً إلى أهله بعد ذلك .

روى الامام أحمد رحمه الله في مسنده بإسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) فداءهم أن يعلموا اولاد الانصار الكتابة ، فجاء غلام يكي إلى امه فقالت : ما شأنك ؟ فقال : ضربني معلمي فقلت : الخبيث يطلب بذحل^(١) بدر والله لا تأتيه أبداً^(٢) .

قال ابن كثير : انفرد به أحمد وهو على شرط الشيخين^(٣) .

وقد يكون الفداء بتبادل الأسرى من الجانبين ، وقد فعل هذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد كان عمرو بن أبي سفيان أسيراً من أسرى بدر محبوساً في المدينة ولم يفده أبو سفيان بمال إذ كان الفداء أربعة آلاف درهم ، حتى جاء سعد بن النعمان بن أكال رضي الله عنه إلى مكة معتمراً ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب فحبسه بابه عمرو ، فذهب أقرباء سعد إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبروه خبر سعد وما صنعه أبو سفيان ، وسألوا أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيكفوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد^(٤) .

وقد منّ الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) على نفر من أسرى بدر كأبي العاص بن الربيع بعد أن بعثت زينب رضي الله عنها بفدائه ، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي وأبي عزة الشاعر واسمه عمرو بن عبد الله عثمان بن أهيب بن حذافة بن حجاج ، كان محتاجاً ذابناً ، فقد توسل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله لقد عرفت حالي من حال ، وإنني لذو حاجة ، وذو عيال ، فامنن علي فمنّ عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

(١) ذحل مفرد ذحول والمعنى أحقاد .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٥١٢/٢ والفتح الرباني ١٠١/١٤ وابن سعد ٢٢/٢ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٥١٢/٢ .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٦٥٠-٦٥١ .

وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحداً^(١) وفي غزوة أحد أسر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا عزة الشاعر الذي من عليه في بدر على الا يظاهر عليه أحداً فخرج يقاتل المسلمين في أحد ويحرض القبائل على قتال المسلمين ، فأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقتله ، فقال يا رسول الله أقلني : والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول خدعت محمداً مرتين اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه^(٢) .

وقد أسر أيضاً معاوية بن المغيرة بن ابي العاص فأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) قتله بعد ثلاثة أيام^(٣) .

وفي غزوة الاحزاب حينما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عمرو بن عبد ود العامري بعث المشركون إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشترون جيفته بعشرة آلاف درهم فقال : هو لكم لاناكل ثمن الموتى^(٤) .

وذكر ابن كثير في سيرته عن الامام أحمد أنه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قتل المسلمون رجلاً من المشركين فأعطوا بجيفته مالا فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية ، فلم يقبل منهم شيئاً^(٥) .

وروى الامام البيهقي رحمه الله في السنن الكبرى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً من المشركين قتل يوم الاحزاب فبعث المشركون إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ابعث إلينا بجسده نعطيك أثني عشر الفا ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا خير في جسده ولا في ثمنه^(٦) .

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٦٥٩/١ - ٦٦٠ .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٠٤ .

(٣) غزوة أحد للدكتور محمد أبو فارس ص ١٤٧ وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١٠٥/٢ .

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ٢/٢٠٥ وامتاع الاسماع ١/٢٣٤ واحكام القرآن لابن عربي ٣/١٥٠٠ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٠٥ وانظر سمط النجوم العوالي ٢/١٣١ والسيرة النبوية لابن دحلان ٢/٥ .

(٦) السنن الكبرى ٩/١٣٣ وانظر سنن الترمذي ٤/٢١٤ رقم ١٧١٥ .

وفي غزوة بني قريظة حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه بضرب أعناق القادرين على القتال من بني قريظة وسبي النساء والذرية وغنم الاموال ، وأقر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حكم سعد بن معاذ ، بل إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخبر أن حكم سعد بن معاذ وافق حكم الله من فوق سبع سموات .

ونفذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحكم فحفر خنادق في سوق المدينة ، وجمع الرجال في دار من دور الانصار ، وجمع النساء والذرية في دار أخرى ، وأخذ (صلى الله عليه وسلم) يرسل وراءهم يستقدمهم المسلمون طائفة اثر طائفة ، فتضرب اعناقهم ، ثم يهال التراب عليهم حتى قتلوا جميعا ، وقد بلغوا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما سبعمائة وخمسين مقاتلاً^(١) هذا وقد استرق المسلمون ذراري يهود بني قريظة ونساءهم ومما يدل على هذا الاسترقاق أنهم باعوا الذرية والنساء ولا يباع إلا من استرق ، فقد ارسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى سعد بن عباد رضي الله عنه بالخمس من الذرية فباعها واشترى بالثمن سلاحاً وخيلاً ، وكذلك بعث سعد بن زيد إلى نجد فباع سبياً واشترى سلاحاً^(٢) .

وفي غزوة الحديبية اسر المسلمون ثمانين من مقاتلين مشركي مكة فاطلق الرسول سراحهم منا عليهم ، فقد جاء في كتاب الجامع للاصول من احاديث الرسول عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ثمانين هبطوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح ، وهم يريدون قتله ، فأخذوا أخذاً فاعتقهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأنزل الله : ﴿ وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾^(٣) ، رواه الترمذي ومسلم^(٤) .

وفي غزوة خيبر استرق الرسول (صلى الله عليه وسلم) صفية فأعتقها وتزوجها ، فقد روى الامام البخاري رحمه الله باسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سبي

(١) انظر امتاع الاسماع ٢٤٩/١ والسيرة النبوية لابن هشام ١٤٦/٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٢٣٩/٣ .

(٢) انظر امتاع الاسماع ٢٥١/١ والسيرة النبوية لابن هشام ٢٤٥/٢ .

(٣) التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول ٢٣٧/٤ - ٢٣٨ .

(٤) صحيح البخاري بفتح الباري ٤٦٩/٧ .

النبي، (صلى الله عليه وسلم) صفية فأعتقها وتزوجها ، فقال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال أصدقها نفسها فأعتقها^(١) .

وفي غزوة الفتح الأعظم ، فتح مكة ، أهدر رسول دماء نفر من أهل مكة وأمر بقتلهم وإن كانوا متعلقين بأستار الكعبة ، وقد قتل بعضهم فعلاً ومنهم ابن خطل الذي قتله على بن أبي طالب وهو متعلق بأستار الكعبة .

وفي غزوة حنين وزع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سبي هوازن على المحاربين ولما جاءه وفد هوازن يطلب منه ارجاع السبي لهم قال : أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا ما صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : انا نستشفع برسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا و نسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم ، فلما صلى (صلى الله عليه وسلم) بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال (صلى الله عليه وسلم) : إنما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال الاقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ...

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض^(٢) ، من أول سبي اصابه^(٣) .

واحكم النهائي في الأسرى مفوض إلي رأي الامام ليختار حكماً من أربعة احكام ولا يتجاوزها بحال ، وهذا الاختيار يراعى فيه ما يحقق مصلحة المسلمين العامة ، والاحكام الأربعة هي :

القتل : وقد علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قتل بعض الأسرى في بدر وأحد .
المن : وهذا حصل في يوم بدر .

(١) انظر الصراع مع اليهود ١٠٢/٢ - ١٠٤ .

(٢) الفرائض جمع فريضة وهو البعير المأخوذ في الزكاة وغير الزكاة ، النهاية في غريب الحديث والاثار ٤٣٢/٣ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ومعه شرح أبي ذر الخشنى ١٨٤/٤ - ١٨٥ وذكر رواه ابن اسحق وصرح بالسماع واطر السنن الكبرى ٧٥/٩ .

الفداء بالمال أو بتبادل الأسرى : وقد حصل في هذا في بدر وغيرها.
الاسترقاق : وقد حصل في قريظة وحنين .
كلمة لا بد منها :

أقول إن الإسلام لم يحرم الرق حتى هذه الساعة، ولا يوجد نص من كتاب ربنا تبارك وتعالى ، وسنة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) يدل من قريب أو بعيد بأي نوع من الدلالات أن الرق محرم في الإسلام ، بل النصوص من القرآن والسنة تدل بجميع أنواع الدلالات وفي مقدمتها دلالة العبارة أن الرق حلال ، فقد ورد في سورة المؤمنون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(١) فالمسلم لا يصرف شهوته إلا من طريق الزواج أو التسرى بالإمءاء كما نصت الآية والآيات التي تحدثت عن الرق كثيرة لسنا بصدد إحصائها والتعليق عليها .

والسنة النبوية القولية والفعلية وعمل الصحابة رضوان الله عليهم يدل على أن الرق والاسترقاق مباح ، فقد استرق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واسترق الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة بني قريظة وغزوة حنين ، وظل المسلمون يتعاملون بالرق ببيعاً وشراءً قروناً عديدة ، فلم ينكر عليهم أحد ، بل إنك لا تكاد تجد باباً من أبواب الفقه إلا وفيه حديث عن الرق ، سواء كان في الحدود أو القصاص أو العباداة أو الزكاة أو المعاملات .

وقد يتخرج بعض الناس من ذكر هذا الحكم ، وإذا ذكر امامه يتعسف في الدفاع عنه ، ويتجاوز النصوص ، وهذا في تقديري ليس صواباً ولا صحيحاً ، إن المسلم ينبغي ألا يخجل من دينه ، وأحكام شريعته ، سواء استطاع العقل الإنساني ان يدرك حكم الاحكام أو لم يستطع .

إن الناس لا يحكمون في شرع الله ، وليس لهم ذلك ، بل الله هو الذي يحكم في الناس بشرعه ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون عما يفعلون ، فالبشر يعترهم النقص فكيف يستدرك الناقص على الكامل ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

إن الإسلام لا يحرم شيئاً إلا لمفسدة فيه ، وقد يتوصل الإنسان إلى معرفة هذه المفسدة ،

(١) الآيات ٥-٧ سورة المؤمنون .

وقد لا يتوصل ، فإذا لم يهتد الانسان إلا إكتشاف هذه المفسدة في وقت من الأوقات فلا يعني أن الحكم غير صحيح ، وإنما يدل على جهل هذا الإنسان وعدم معرفته ، والأسلام لا يبيع شيئاً من الأشياء إلا لمصلحة تتحقق للناس ، وقد يتوصل الناس إلى إكتشاف هذه المصلحة وقد لا يتوصلون ، وسواء توصلوا أو لم يتوصلوا فإن الحكم صحيح وبقا لا يؤثر فيه جهلهم بهذه المصلحة (إن الاسلام منع الطرق الظالمة في الاسترقاق وحرمها ، كاسترقاق المدين إذا عجز عن الوفاء بدينه للدائن أو سرقة الأطفال واسترقاقهم ثم بيعهم ، أو غير ذلك أما الأسر فهو طريق مشروع في الاسترقاق منذ عهده (صلى الله عليه وسلم) ، ولم يأت نص يمنع لا من الكتاب ولا من السنة) .

نعم إن الاسلام يشجع على تحرير الرق ، فشرع الكفارات الكثيرة التي يتحرر قسم من الرقيق بواسطتها ، ككفارة الظهار ، وكفارة اليمين ، وكفارة النذر وكفارة الأعتداء على حرمة رمضان وكفارة قتل الخطأ .

وكون الاسلام يشجع على تحرير الرق عن هذه الطرق فلا يعني أنه يحرم الرق أصلاً وأقول أيضاً : إن ما يكتبه بعض العلماء والباحثين في عالمنا المعاصر ، عن الرق ويغالي في كتابته وحديثه حتى يصرح بأن الاسلام حرم الرق ، ولا يوجد في الشريعة ما يحله ، حتى يقنع الناس ، أو الأعداء الذين لا هم لهم إلا توجيه الافتراءات والطعون للاسلام ، يدفعهم حقدهم وحسدهم وبغضهم لهذا الدين ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) ولأصحابه رضوان الله عليهم وفق منهج خبيث غير موضوعي ولا علمي .

إن هذه العاطفة عاطفة الدفاع عن الاسلام جيدة - رغم أن الاسلام ليس ضعيفاً يحتاج إلى دفاع المدافعين عنه ، فهو صادر عن الله الذي يعلم والناس لا يعلمون - ومأجورون عليها إن شاء الله ، ولكن هذه العاطفة ينبغي أن تتقيد بالأحكام الشرعية والمستنبطة من النصوص من الكتاب والسنة ، والا تتجاوز حدودها ، ولا تغالي ولا تشتط ، فتطغى على الشرع وتنفي أحكاماً شرعية .

آداب الحرب

آداب الحرب في الإسلام :

إن الإسلام شرع القتال لتحطيم الأنظمة الساسية التي تقف في وجه الإسلام وتمنع الناس من اعتناقه ، وتفتنهم إن هم اعتنقوه بسائر وجوه الفتنة من سجن وتعذيب، و مطاردة قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾^(١) .

ولهذا كان النبي يرسل الدعاة ليبشروا بهذا الدين وليسعدوا الناس أجمعين ، إن هم اتبعوا سيد المرسلين فأخذوا بمادعاهم إليه وكفوا عما نهاهم عنه .

فإذا رفضوا هذا الدين ورفضوا أن يخضعوا له قاتلهم المسلمون ، ولكن هذا القتال لم يقم على الحقد والانتقام ، وإنما له آداب وأحكام منها .

١- عدم الاعتداء على المدنيين : إن السنة النبوية من قولية وفعلية والسيرة النبوية جزء منها تمنع الاعتداء على غير المقاتلين من النساء والأطفال والشيوخ الطاعنين في السن والرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع .

أما إذا شاركت النساء في القتال فإنها تقتل ، ففي غزوة بني قريظة شاركت امرأة يهودية في القتال فقتلت أحد الصحابة بأن ألقت من سطح المنزل على رأسه حجراً ضخماً فقتلته ، فأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقتلها بضرب عنقها بالسيف^(٢) .

وكذلك إذا شارك الشيخ الفاني في القتال برأيه وخبرته فإنه يعد مقاتلاً ويقتل ، ففي غزوة

(١) الآية ٣٩ من سورة الأنفال .

(٢) إن الصحابي الذي قتلته هو خلاد بن سويد رضي الله عنه إذ كان واقفاً تحت حصن من حصون قريظة فتناولت حجراً ضخماً بإشارة من زوجها وألقت به من الحصن على رأسه فشدهته شديداً شديداً وقتل على الفور واعترفت بذلك ، انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٤٧/٣ وسنن البيهقي ٨٢/٩ وعميون الأثر ١٠١/٢ .

حنين خرج دريد بن الصمة وقد بلغ مائة وستين عاماً مع هوازن يشير عليهم في امور القتال ، فاعترض على مالك في اصطحابه النساء والذرية والانعام ونصحه أن يرجعها ، ووافق مالك بن عوف قائد هوازن في اختيار موقع معسكر المشركين ، ومدحه ونصحه بالتزامه ، ولهذا أقر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قتل دريد بن الصمة ، الذي بلغ مائة وستين سنة ، فقد قتله الزبير بن العوام ، وبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلم ينكر عليه^(١) .

وقد أنكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قتل امرأة لم تشارك في القتال وأرسل رجلاً إلى خالد بن الوليد ينهاه عن ذلك .

ولا يقتل الأطفال والأجراء فقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجلاً أن يدرك خالد بن الوليد ويقول له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً^(٢) .

وروي الامام أحمد (رحمه الله تعالى) في مسنده بإسناده إلى الاسود بن سريع (رضي الله عنه) قال : بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سرية يوم حنين فقاتلوا المشركين فأفضى بهم القتل إلى الذرية ، فلما جاءوا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ما حملكم على قتل الذرية ؟ قالوا : يا رسول الله انما كانوا اولاد المشركين قال : وهل خياركم الا اولاد المشركين ؟ والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها^(٣) .

وزاد الامام أحمد في رواية اخرى عن الاسود بن سريع . قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ألا لا تقتلوا الذرية ألا لا تقتلوا الذرية ، كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها او ينصرانها^(٤) .

ويدخل في الحظر أيضاً رجال الدين النصراني وغيرهم الذين ينقطعون للعبادة ولا يشاركون في القتال برأي او بغيره ، فهؤلاء نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن قتلهم

(١) غزوة حنين للدكتور محمد أبو فارس نقلاً عن شرح المواهب اللدنية ٢٣/٣ .

(٢) العسيف : الأجير الذي يستأجر للأعمال المدنية كالرعي وغيره .

(٣) الفتح الرباني ٦٥/١٤ .

(٤) الفتح الرباني ٦٤/١٤ - ٦٥ .

فقال : لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع^(١) .

ومن الوصايا التي كان يزود بها الجيش الاسلامي إذا سار للغزو : ستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسهم في الصوامع زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له .

٢- عدم الغدر : ومن الأداب أيضاً الا يغدر المسلمون بأعدائهم الذين عاهدوهم وهادنوهم لأن الغدر صفة ذميمة لا يرضاها الله لعباده المؤمنين ومن أجل ذلك فقد حرمها عليهم فالغدر خيانة والله عز وجل يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾^(٢) ، وهي صفة من صفات المنافقين التي نفاها عن المؤمنين فقال (صلى الله عليه وسلم) آية المنافق ثلاث منها إذا عاهد غدر اما المؤمن إذا عاهد أوفى وقد جاءت السنة النبوية بنهي المسلمين عن الغدر وكان رسول (صلى الله عليه وسلم) إذا بعث المسلمين في سرية وجيش أو صاهم بالايغدروا فقال : ولا تغدروا^(٣) .

ولكن الاسلام قد حذر اصحابه من غدر الكافرين ، فإذا شعر القائد المسلم او الحاكم المسلم في نية هؤلاء الغدر والخيانة ، فلا يحل له أن يغدر بهم بل أمره الاسلام بأن يلغي العقد الذي بينه وبينهم ثم يقاتلهم بعد ذلك ، قال تعالى : ﴿وَمَا تَخَافُنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِذُوا إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾^(٤) .

إن الفقه القضائي الاسلامي يعتبر التصرفات الغادرة باطلة لا تنتج أي أثر لها ، ولا يعترف بأي أثر او نتيجة لهذه التصرفات الباطلة ، ومن ثم فهي وما نتج عنها باطلة .

هذا ما نقرأه في تاريخ القضاء الاسلامي في عهد التابعين ، وفي عهد أعد لهم حفيد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عمر بن عبد العزيز، رحمه الله رحمة واسعة .

ويحدثنا عن هذا الفقه القضائي البلاذري رحمه الله المتوفى سنة ٢٧٩ فقد جاء في كتابه المسمى فتوح البلدان النص التالي :

(١) الفتح الرباني ٦٥/١٤ .

(٢) الآية ٥٨ من سورة الانفال .

(٣) الفتح الرباني ٦٥/١٤ .

(٤) الآية ٥٨ من سورة الانفال .

« وقال ابو عبيد وغيره لما استخلف عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، وفد عليه قوم من أهل سمر قند ، فعرضوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر ، فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ، فينظر فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا ، فنصب لهم جميع بن حاضر البادي ، فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابدوهم على سواء ، فكره أهل سمر قند الحرب ، وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم ^(١) .

إن الجيش تابع للسلطة التنفيذية التي يرأسها عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، وأهل سمر قند مدعون على السلطة التنفيذية متمثلة في قائد الجيش قتيبة الذي يرأسه عمر بن عبد العزيز ويوليه ، فلا بد من جهة مستقلة تقضي بين المدعي والمدعي عليه ، انها جهة القضاء .

وحكم القضاء ملزم للجميع وللسلطة التنفيذية .

وهكذا كان فقد صدر الحكم ضدها لأهل سمر قند ، ولكن أهل سمر قند ، بعد ذلك تنازلوا عن حقهم الذي قرره لهم القضاء .

وهذا هو عدل الاسلام المطلق الذي يعامل الأعداء والاصدقاء على حد سواء لا محاباة ولا ظلم : ﴿ ولا يجرمكم ثنائ قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

٣- عدم المثلة : إن الاسلام قد حرم المثلة بالقتلى الذين يقتلون من الجيوش المعادية أثناء القتال والمثلة تدل على انعدام الشعور الانساني ، وتنبو عن الذوق الأدمي ، وتنفر منها الطباع السليمة والفطر القويمة .

إن قطع اذن القتيل بعد قتله أو فقه عينه أو كسر رأسه أو قطع يديه ورجليه أو قطع لسانه أو جدع أنفه أو بقر بطنه مثله قبيحة نهى الاسلام عنها ، ومنع منها حتى ولو مثل الأعداء بقتلى المسلمين ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا ودع الجيوش الاسلامية نهاها عن المثلة .

عن ابن عباس رضی الله عنهما ، قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا بعث جيوشه قال : اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا

(١) فتوح البلدان ص ٤١١ .

تمثلوا^(١) .

ومما يجدر ذكره أن المشركين في غزوة أحد قد مثلوا بجثة حمزة، أسد الله، وأسد رسوله (صلى الله عليه وسلم) تمثيلاً بشعاً، تشمئز منه النفوس الآدمية، فبقروا بطنه وأخرجوا كبده ولاكته هند زوجة أبي سفيان قائد المشركين يومها، وجدعوا أنفه، كما بقروا بطون كثير من القتلى المسلمين وجدعوا أنوفهم، وقطعوا الأذان، كما قطعوا مذاكير بعضهم^(٢) .

وقد مكّن الله المسلمين من المشركين فلم يمثلوا بقتلاهم، بل قد عفا الرسول عن قاتل حمزة ومن مثل بجثته، لأنه كان لا يفتر أن ينهى عن المثلة والخيانة كما روى ابن اسحق بسند متصل إلى سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : ما قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مقام قط ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة^(٣) .

٤- عدم الاعتداء على البيوت السكنية : ومن الأداب التي شرعها الاسلام المحافظة على بيوت الناس التي يأوون إليها فتيهم حر الصيف وقر الشتاء، حتى ولو كان هؤلاء الناس اعداء محاربين يقاتلون المسلمين، فهذه البيوت ينام فيها الأطفال والنساء، والشيوخ والخدم والاجراء فلا يحرمون منها بهدمها مهما كانت الأسباب .

ومما يؤسف له أننا نجد اليهود في فلسطين يعتدون على الناس وحرمة مساكنهم بل ينتقمون من المجاهدين باخراج ابنائهم وزوجاتهم ووالديهم ومن يولون من الأرحام في بيوتهم التي يسكنون فيها ثم ينسفون هذه البيوت اربابا للناس، ولا نجد من يقاوم هذا، فيكف أيدي هؤلاء الغزاة المعتدين عن تدمير بيوت المواطنين .

هذا هو خلق اليهود، وهذه هي شرعة اليهود المحرفة التي تأمر بهدم البيوت وقتل المدنيين من اطفال وشيوخ ونساء إن قاوم المقاتلون، فقد جاء في كتبهم توجيهها للمقاتل اليهودي جندياً

(١) الفتح الرباني ٦٥/١٤ .

(٢) غزوة أحد للدكتور محمد أبو فارس ص ١٠٤ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٩٧/٢ وقال السهيلي في الروض الانف وهو مطبوع مع سيرة ابن هشام ١٧٨/٣ : وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة .

كان أو قائداً : إذا دخلت بلدة فلا تبق فيها نسمة .

اما الاسلام فإننا نراه نهى عن هدم هذه الأبنية إن كان أصحابها اعداء محاربين ولهذا نجد باباً في الفتح الرباني بعنوان : « باب النهي عن المثلة والتحريق وقطع الشجر وهدم العمران إلا لحاجة او مصلحة »^(١) .

أما إذا كانت هذه الأبنية أو ثانا تعبد فيجب هدمها كما امر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جرير بن عبد الله أن يهدم ذي الخلصة ويحرقها ، وإن بيتاً في خثعم يسمى كعبة اليمانية، فقاد سرية قوامها مائة وسبعون فارساً فأتاها فحرقها وبعث بشيراً إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : والذي بعثك بالحق ما أتيت حتى تركتها كأنها جمل أجرب^(٢) .

وتذكر كتب السيرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد هدم بعض بيوت بني النضير، وحرق بعض نخيلهم من أجل قطع املهم في البقاء ، ونشر الوهن في قلوبهم حتى يستسلموا دون قتال يؤدي إلى سفك دماء كثيرة منهم ومن غيرهم^(٣) .

٥- عدم الاعتداء على المزروعات والاشجار : إن الاسلام حين فرض القتال ضد الأنظمة السياسية التي تقهر الناس، وتحول بينهم وبين مزاولة حرياتهم باختبار العقيدة والدين الذي يحقق مصالحهم في الدنيا والآخرة لم يرد الا تحريرهم والدفاع عن مصالحهم وهو بعد قليل من النصر والتمكين سيكون هو المسؤول عن تنمية مواردهم المالية والاقتصادية ورفع مستواهم المعيشي ، ومديد العون للعاجز وتوفير الحياة الحرة الكريمه له ، وإن المزروعات والأشجار والثمار ستكون من موارد الدولة ، وباصطلاح المحدثين من الثروة القومية ، والاسلام جاء يحافظ على هذه الثروة وينميها لا أن يتلفها .

وبناء على ذلك فإن الاسلام حرم على اتباعه ائتلاف المزروعات والاشجار اثناء الحرب تشفياً وتشهياً ، فعن ثوبان، مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه سمع رسول الله (صلى

(١) انظر الفتح الرباني ٦٦/١٤ .

(٢) الفتح الرباني ٦٧/١٤ .

(٣) انظر الصراع مع اليهود للدكتور أبو فارس ١٧٥/١ - ١٧٦ .

الله عليه وسلم) قال : من قتل صغيراً او كبيراً أو أحرق نخلاً، أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لإهابها^(١) لم يرجع كفافاً^(٢) .

قال في مختصر بلوغ الاماني : وقوله لم يرجع كفافاً أي لم يرجع لاثواب له ولا عقاب عليه ، بل يرجع مثقلاً بالذنوب لما ارتكبه من المخالفة^(٣) .

وكان من وصايا أبي بكر(رضي الله عنه) لجيش أسامة الذي امر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتكوينه وتوجيهه إلى حيث استشهد أبوه : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً وتحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة)^(٤) .

ومما يجدر ذكره هنا أن الأصل عدم الاعتداء على المزروعات والأشجار واتلافها إلا إذا دعت ضرورات القتال ذلك ، فقد امر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في غزوة بني النضير وأثناء حصارهم أن يقطع الصحابة بعض نخيلهم ، وأقره الرب تبارك وتعالى فقال سبحانه : ﴿ وما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾^(٥) .

وكان القطع اغاظة لبني النضير واذلالاً لهم وارهابهم وقطع الامل في النصر ، واجبارهم على الرضوخ والاستسلام .

وقد استنبط من قطع بعض نخيل بني النضير درس هو جواز قطع الاشجار لحاجة او ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين العامة في الحرب ، كتقريب لنصر وتأسيس عدو من المقاومة ، ودفعه للاستسلام حقناً للدماء^(٦) .

(١) لاهاب : المجلد أي ذبح الشاة لأجل جلدها .

(٢) الفتح الرباني ٦٦/١٤ .

(٣) مختصر بلوغ الاماني على هامش الفتح الرباني ٦٦/١٤ .

(٤) ثلة من الاولين ص ٤٢ نقلاً عن الكامل في التاريخ ٣٣٥/٢ .

(٥) الآية ٥ من سورة الحشر .

(٦) الصراع مع اليهود ١٧٦/١ .

٦ - عدم الاعتداء على الحيوانات المملوكة للأعداء واتلافها انتقاماً وتشفياً وتشهياً: إن الله تبارك وتعالى خلق الانعام من ابل وبقر وغنم للانتفاع بها واكل لحومها ، ومن ثم فقد نهى المسلم أن يزهق ارواح هذه الحيوانات وهو لا يريد أكل لحومها او التصديق بها .

فقد جاء في وصية ابي بكر رضي الله عنه لجيش أسامه : « ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لماكلة »^(١).

٧ - عدم الاعتداء على حقوق المحاربين في الغنائم :

لقد حدد الاسلام معنى الغنيمة ولمن تكن الغنائم ، وحرم على المحارب أن يأخذ من الغنائم قبل قسمتها ، واعتبر ذلك غلواً ، والله عز وجل يقول : ﴿ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾^(٢).

وروى الامام البخاري رحمه الله في صحيحه بإسناده إلى ابي هريرة رضي الله عنه قال : افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة ، انما غنمنا البقر والابل والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى وادي القرى ، ومعه عبد له يقال له : مدعم ، اهداه له أحد بني الضباب فينما هو يحط رحل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ جاءه سهم عائر^(٣) حتى اصاب ذلك العبد ، فقال الناس هنيئاً له بالشهادة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « بلى والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي اصابها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتمل عليه ناراً .

فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي (صلى الله عليه وسلم) بشراك او بشراكين ، فقال هذا شيء اصبته ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : شراك او شراكان من نار »^(٤).

قال ابن حجر في فتح الباري في شرح معنى قوله (صلى الله عليه وسلم) « لتشتمل عليه

(١) ثلة من الاولين ص ٤٢ نقلاً عن الكامل في التاريخ ٢/ ٣٣٥ .

(٢) الآية ١٦١ من سورة آل عمران .

(٣) السهم العائر الذي لا يعرف راميه والذي حاد عن قصده ، فتح الباري ٧/ ٤٨٩ .

(٤) صحيح البخاري بفتح الباري ٧/ ٤٨٧ - ٤٨٨ .

ناراً» ، يحتمل أن يكون ذلك حقيقة بأن تصوير الشملة نفسها ناراً فيعذب بها ، ويحتمل أن يكون المراد أنها سبب لعذاب النار ، وكذا القول في الشرك الوارد ذكره ^(١) .

وعن أبي لبيد قال : غزونا مع عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه كابل ^(٢) قال فأصاب الناس غنيمة فانتهبوها ، فأمر عبد الرحمن منادياً ينادي ، فنادى ، فاجتمع الناس ، فقال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : من انتهب فليس منا ، ردوها فردوها ، فقسم بينهم بالسوية ^(٣) .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه أخبر معاوية رضي الله عنهما حينما سأله عن الرجل الذي سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عقلاً قبل أن يقسم ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : اتركه حتى يقسم قال عتاب : حتى نقسم ثم إن شئت اعطيناك عقلاً وإن شئت اعطيناك مراراً ^(٤) .

والعقل الشيء القليل من الغنيمة كما هو في مختصر بلوغ الاماني من اسرار الفتح الرباني للساعاتي واسمه احمد بن عبد الرحمن البنا ^(٥) .

وعن حنش الصنعاتي قال : غزوت مع رويفع بن ثابت الانصاري قرية من قرى المغرب يقال لها جربه ، فقام فينا خطيباً فقال : يا أيها الناس إني لا أقول فيكم إلا كما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : قام فينا يوم حنين فقال : لا يحل لامرئ مؤمن بالله واليوم الآخرة أن يسقي ماؤه زرع غير ^(٦) ... وأن يبيع مغنماً حتى يقسم ^(٧) ، وأن يركب دابة من

(١) فتح الباري ٧/ ٤٨٩ .

(٢) كابل : بلدة من ثغور طخارستان - معجم البلدان ٤/ ٢٦٤ قلت وهي افغانستان الآن .

(٣) الفتح الرباني ١٤/ ٧٠ .

(٤) الفتح الرباني ١٤/ ٧٠ .

(٥) مختصر بلوغ الاماني على حاشية الفتح الرباني ١٤/ ٧٠ .

(٦) يسقي ماؤه زرع يعني اتيان الحبالى من النساء .

(٧) معناه يحرم بيع شيء من الغنيمة قبل قسمتها ، لأن يبعه من الغنيمة من الغلول المحرم .

ففيء المسلمين حتى إذا أعجفها^(١) ردها فيه ، وأن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه^(٢) رده فيه^(٣) .

مما تقدم من الأخبار نستنبط أن تملك الغنيمة قبل القسمة أو الانتفاع بها أو بيعها حرام ، لأنه غير مأذون به ، إذ الغنائم قبل القسمة للجميع ، ومن ثم فلا يملك احد أن يتصرف فيها بيعاً أو عارية ، أو تملكاً ، وإذا تصرف فإن تصرفه ظلم وتعد ، لانه تجاوز حقوق الآخرين وتعدى عليهم.

(١) أعجفها : اهزلها اصبحت ضعيفة عندها من الاستعمال .

(٢) أخلقه : اي جعله بالياً .

(٣) الفتح الرباني ١٤ / ٧٠ - ٧١ .

قائمة المراجع

قائمة المراجع

كتب التفسير وعلومه

- ١- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المالكي تحقيق على محمد البجاوي - الطبعة الثانية سنة الطبع ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م - الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة .
- ٢- أسباب النزول - تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى سنة ٤٦٨ هـ سنة الطبع ١٤٠ هـ = ١٩٨٠ م - الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٣- تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي - الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٣ م طبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - القاهرة .
- ٤- تفسير القرآن العظيم الشهير بتفسير ابن كثير لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ - الطبعة الأولى - طبع دار الأندلس - سنة الطبع ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م - بيروت .
- ٥- التفسير الكبير - للإمام الفخر الرازي - الطبعة الثانية - الناشر : دار الكتب العلمية طهران .
- ٦- تفسير سورة الأنفال - تأليف الدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م ، الناشر : مكتبة المنار - الزرقاء .
- ٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الشهير بتفسير الطبري لأبي جعفر الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هـ .

٨- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الطبعة الثالثة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م - الناشر : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة .

٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود شكري الألوسي - الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت .

١٠- في ظلال القرآن - تأليف سيد قطب ابراهيم - طبعة دار الشروق - الطبعة الشرعية الثالثة سنة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م - بيروت .

كتب الحديث وعلومه

١١- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - جمعه محمد فؤاد عبدالباقي - طبع المطبعة العصرية بالكويت ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م - الناشر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت .

١٢- التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول - تأليف الشيخ منصور على ناصيف - الطبعة الرابعة - الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة .

١٣- التلخيص « تلخيص المستدرك للحاكم النيسابوري » مطبوع في ذيل المستدرك - تأليف الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٨٤٨ هـ - الناشر : دار الكتب العلمية .

١٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول - تأليف مجد الدين أبي السعادات المبارك محمد ابن الأثير الجزري - مطبعة الملاح - دار البيان - الطبعة الأولى سنة الطبع ١٣٩٢ هـ .

١٥- الجامع الصغير متن فيض القدير للحافظ جلال الدين السيوطي - الطبعة الثانية - سنة ١٣٩١ هـ = ١٩٧٢ م - الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ، طبعة أخرى وهي متن مختصر شرح الجامع الصغير طبع سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م دار إحياء الكتب

١٦- دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ - تحقيق الدكتور محمد رواس قلعجي وعبدالبر عباس - الطبعة الثانية - سنة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م - الناشر : دار النفائس - بيروت .

١٧- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدي السجستاني - الطبعة الأولى سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م - الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - القاهرة .

١٨- سنن البيهقي المسماة بالسنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني - الناشر : دار الفكر .

١٩- سنن الترمذي - لأبي عيسى محمد بن سورة (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م - القاهرة .

٢٠- صحيح البخاري متن فتح الباري - للإمام أبي عبدالله محمد إسماعيل البخاري - طبعة الحلبي - سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ القاهرة .

طبعة أخرى بإشراف ابن باز وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي وأشرف على الطبع محب الدين الخطيب - الناشر : رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالسعودية طبعة ثالثة - دار الشعب - الصحيح وحده .

٢١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، وبهامشه صحيح مسلم ، وإرشاد الساري لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ هـ - الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢٢- صحيح مسلم بشرح النووي - وهو متن شرح النووي - تأليف أبي الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - الناشر : المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة .

٢٣- شرح النووي على صحيح مسلم - تأليف محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف

ننوي - الناشر : المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة .

٢٤- عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذى للحافظ ابن العربى المالكى (٤٣٥ - ٥٤٣ هـ) - مطبعة الصاوى - الناشر : دار العلم للجميع .

٢٥- عمدة القارى شرح صحيح البخارى - تأليف العلامة البدر العينى - تاريخ الطبع ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م - الناشر دار الفكر .

٢٦- عون البارى لحل أدلة صحيح البخارى وهو شرح لتجريد الصريح ، لأبى الطيب صديق حسن بن على الحسينى التنوخى البخارى - سنة الطبع ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٣ م .

٢٧- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - تأليف شهاب الدين أبى الفضل على بن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) - تاريخ الطبعة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م الناشر : مطبعة البابى الحلبي وأولاده بمصر - القاهرة
طبعة أخرى بإشراف ابن باز - الناشر : رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالسعودية .

٢٨- فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي - لشيخ الإسلام عبدالله بن حجازى الشرقاوى (١١٥٠ - ١٢٢٦ هـ) - على التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح - الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

٢٩- الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى - لأحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتى - الطبعة الأولى سنة ١٣٧٠ هـ - القاهرة .

٣٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير - تأليف محمد بن عبدالرؤوف المناوى / الطبعة الثانية - سنة ١٣٩١ هـ = ١٩٧٢ م - الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر .

٣١- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى البرهان فورى المتوفى سنة ١٩٧٥ م ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكري جاني - صممه ووضع فهارسه د مفتاح صفوة السقا - منشورات مكتبة التراث الإسلامى - حلب الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م .

٣٢- مختصر صحيح مسلم للحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي بن سلامة المنذري تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثالثة - سنة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق .

٣٣- مختصر بلوغ الأمان - تأليف أحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي ، وهو شرح للفتح الرباني وعلى حاشيته - الطبعة الأولى - سنة الطبع ١٣٧٠ هـ - القاهرة .

٣٤- المستدرک على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري - مطبوع معه التلخيص للحافظ الذهبي - الناشر : دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية سنة الطبع ١٣٤١ هـ - الهند وطبعة أخرى مصورة صادرة عن دار الكتب العلمية وأغفلت سنة الطبعة .

٣٥- المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١ هـ تحقيق أحمد محمد شاكر - طبع دار المعارف بمصر - القاهرة - تاريخ الطبعة ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م .

٣٦- المصنف في الأحاديث والآثار تأليف الحافظ ابن أبي شيبه المتوفى ٢٣٥ هـ تحقيق مختار أحمد الندوي - الطبعة الأولى - سنة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م - الناشر : دار السلفية بومباي - الهند .

٣٧- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان - للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة - الناشر : المطبعة السلفية ومكبتها - القاهرة .

٣٨- المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود - تأليف الشيخ محمد محمود خطاب السبكي - الطبعة الثانية سنة ١٣٩٤ هـ - الناشر : المكتبة الإسلامية .

٣٩- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار/ تأليف محمد بن علي

الشوكانى - الطبعة الأخيرة - الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - القاهرة .

كتب السيرة والتراجم والتاريخ

٤٠ - الإصابة في تميز الصحابة - تأليف شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ - طبعة مصورة بالأوفست عن طبعة ١٣٢٨ هـ - مطبعة السعادة القاهرة - والطبعة الثانية المصورة نشر دار صادر بيروت .

٤١ - امتاع الأسماع - تأليف تقي الدين أحمد بن علي المقرئ - شرح محمود محمد شاكر طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر - الطبعة الثانية - مطابع قطر الوطنية - الدوحة .

٤٢ - أنساب الأشراف تأليف أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري - تحقيق محمد حميد الله - طبع بمطابع دار المعارف - سنة الطبع ١٩٥٢ م القاهرة .

٤٣ - انسان العيون في سيرة الأمين المأمون - الشهير بالسيرة الحلبية - تأليف علي برهان الدين الحلبي (٩٧٥ - ١٠٤٤ هـ) الطبعة الأولى - سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م - الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .

٤٤ - اقتباس النظام العسكري في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) تأليف : اللواء الركن محمود شيت خطاب واللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ والشيخ عبداللطيف زايد - من منشورات المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية سنة ١٤٠٠ هـ - الدوحة .

٤٥ - بهجة المحافل وبغية الأمائل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل - تأليف أبي زكريا يحيى بن أبي بكر العامري - الناشر : محمد سلطان النمنكاني - المكتبة العلمية - المدينة المنورة .

٤٦ - تاريخ الأمم والملوك - الشهير بتاريخ الطبري - وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - الناشر : دار العلم - بيروت .

٤٧ - تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس - للإمام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري - الناشر . مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت .

- ٤٨- ثلة من الأولين - للدكتور محمد عبدالقادر يوسف أبو فارس - الطبعة الأولى سنة الطبع ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م) - الناشر : دار الأرقم للنشر والتوزيع - عمان .
- ٤٩- جوامع السيرة لابن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد ومراجعة أحمد محمد شاكر - الناشر : دار المعارف .
- طبعة أخرى تحقيق الشيخ نايف العباس - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، الناشر : مؤسسة علوم القرآن - دمشق .
- ٥٠- حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية - تأليف حسين عبدالله باسلامة - تحقيق الشيخ زكريا بن عبدالله بيلا - الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م .
- ٥١- حياة الرسول المصطفى - تأليف العميد عبدالرزاق محمد أسود - الناشر : دار العربية للموسوعات - بيروت .
- ٥٢- حدائق الأنوار ومطامع الأسرار في سيرة النبي المختار - تأليف ابن الدبيع الشيباني - تحقيق عبدالله إبراهيم الأنصاري - طبع بمطبعة محمد هاشم الكتبي دمشق .
- ٥٣- خاتم النبيين - تأليف الشيخ محمد أبو زهرة - طبع على نفقة حاكم قطر - من منشورات المؤتمر العالمي للسيرة النبوية المنعقد في قطر سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .
- ٥٤- خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر - تأليف الشيخ عساف الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م - الناشر : دار أحياء العلوم - بيروت .
- ٥٥- الدرر في اختصار المغازي والسير - تأليف الحافظ يوسف بن عبدالبر النمري (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) - الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٥٦- الرحيق المختوم - تأليف صفى الدين المباركفوري - الطبعة الأولى - سنة الطبع (١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠) - الناشر : رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة .
- ٥٧- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام - تأليف الفقيه المحدث أبي القاسم

عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي - ومعه السيرة النبوية لابن هشام - تحقيق عبدالرؤوف سعد سنة الطبع ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م - الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر.

٥٨- الرسول القائد - تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب - الطبعة الخامسة ، سنة الطبع ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م - الناشر : دار الفكر .
طبعة أخرى سنة ١٩٦٠ - الناشر دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة بغداد .

٥٩- الرسول العربي وفن الحرب - تأليف اللواء الركن مصطفى طلاس - مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة السورية - سنة الطبع ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م دمشق .

٦٠- زاد المعاد في هدي خيرالعباد - لإبن قيم الجوزية تحقيق وشرح وتعليق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط - الطبعة الأولى - سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م - الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت .

٦١- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - تأليف عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المالكي (١٠٤٩ - ١١١١ هـ) - المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة - طبع على نفقة حاكم قطر .

٦٢- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحى المتوفى سنة ٩٤٢ هـ تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد - سنة الطبع (١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م) صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة .

٦٣- السيرة النبوية لابن هشام إبي محمد عبدالله بن هشام المعافري المتوفى سنة ٢١٣ هـ تحقيق طه عبدالرؤوف سعد - سنة الطبع ١٩٧٥ - الناشر : دار الجليل - بيروت
طبعة أخرى تحقيق عبدالسلام هارون وزملائه تتكون من مجلدين .
طبعة ثالثة تتكون من أربعة أجزاء .

٦٤- السيرة النبوية لابن كثير - أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ تحقيق مصطفى عبدالواحد ، سنة الطبعة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م - الناشر : مطبعة

عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة .

٦٥- السيرة النبوية والآثار المحمدية تأليف الفاضل أحمد زيني دحلان - الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر - الطبعة الثانية بالأوفست - بيروت .

٦٦- السيرة النبوية - قسم من كتابه التاريخ الإسلامي - تأليف محمود محمد شاكر الطبعة الأولى - سنة الطبع ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م - الناشر : المكتب الإسلامي بيروت .

٦٧- السيرة العطرة محمد خاتم الرسل - تأليف المستشار عبدالعزيز خير الدين الطبعة الأولى - سنة الطبع : ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م

٦٨- السيرة النبوية تأليف الدكتور محمد أبو فارس وهمام سعيد والدكتور راجح الكردي والدكتور إبراهيم الكيلاني الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ مقرر في سلطنة عمان .

٦٩- شرح الموهب اللدنية للإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني - وبهامشه كتاب زاد المعاد - الطبعة الأولى - المطبعة الأزهرية - سنة الطبع ١٣٢٥ هـ .

٧٠- صفة الصفوة للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (٥١٠ هـ - ٥٩٧ هـ) الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م - مطبعة الأصيل - حلب - الناشر : دار الوعي حلب .

٧١- الصراع مع اليهود - الجزء الأول - تأليف الدكتور عبد القار أبو فارس الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م الناشر : دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان .

٧٢- الصراع مع اليهود - الجزء الثاني والجزء الثالث - للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م - الناشر : دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان .

٧٣- الطبقات الكبرى لابن سعد - سنة الطبع ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٧ م الناشر :

دارصادر- بيروت .

٧٤- العبقريّة العسكريّة في غزوات الرسول - تأليف الأستاذ محمد فرج - الطبعة الثالثة سنة الطبع ١٩٧٧ م - مطبعة المدني - ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي - القاهرة .

٧٥- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير - لابن سيد الناس - تحقيق لجنة إحياء التراث العربي - منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

٧٦- غزوة بدر الكبرى - تأليف محمد عبدالقادر أبو فارس - الطبعة الأولى - سنة الطبع ١٤٠٢ = ١٩٨٢ م - الناشر : دار الفرقان للتوزيع والنشر - عمان .

٧٧- غزوة أحد - تأليف الدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس - الطبعة الأولى سنة الطبع ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م - الناشر : دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان .

٧٨- غزوة الأحزاب - تأليف الدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس - الطبعة الأولى سنة الطبع ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م - الناشر : دار الفرقان للنشر والتوزيع / عمان .

٧٩- غزوة الحديبية - تأليف الدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس - الطبعة الأولى سنة الطبع ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م - الناشر : دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان .

٨٠- غزوة الفتح الأعظم - تأليف الدكتور محمد أبو فارس - مخطوط .

٨١- غزوة حنين - تأليف الدكتور محمد أبو فارس - مخطوط .

٨٢- الفصول في اختصار سيرة الرسول للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير تحقيق وتعليق محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو - الطبعة الثانية - سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م - الناشر : دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض .

٨٣- كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦ هـ - تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ - الناشر : مؤسسة

الرسالة بيروت والمكتبة العتيقة بتونس - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م بيروت .

٨٤- فتوح البلدان للإمام أبي الحسن البلاذري - مراجعة رضوان محمد رضوان سنة الطبع ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ - الناشر : دار الكتب العلمية بيروت .

٨٥- الكامل في التاريخ تأليف عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبدالكريم/ المشتهر بابن الأثير - تاريخ الطبعة - ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م - الناشر : دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت .

٨٦- المغازي للواقدي أبي عبدالله محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ تحقيق الدكتور مارسدن جونسون - الناشر : عالم الكتب - بيروت .

٨٧- المغازي النبوية - تصنيف الإمام محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري (٥١- ١٢٤ هـ) تحقيق الدكتور سهيل زكار - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م - الناشر : دار الفكر بدمشق .

٨٨- مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه - جمعه وحققه الدكتور محمد مصطفى الأعظمي - سنة الطبع ١٤٠١ هـ = ١٩٨٤ م - الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض .

٨٩- منتهى المنقول في سيرة أعظم رسول - تأليف الأستاذ حامد محمود بن منصور ليمود - الطبعة الأولى - سنة ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م - الناشر : رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .

٩٠- الوفاء بأحوال المصطفى للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) تحقيق مصطفى عبدالواحد - الناشر : دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي - هذه الطبعة تنشر لأول مرة على نسختي التيمورية والأزهر

٩١- وفاء الوفي بأخبار دار الصطفى - تأليف نور الدين علي بن أحمد السمهودي المتوفى سنة ٩١١ هـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - الناشر : دار إحياء التراث العربي

كتب متفرقة .

- ٩٢- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ تحقيق محمد خليل هراس
- الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٩٣- العقد الفريد للملك السعيد - تأليف أبي سالم محمد بن أبي طلحة الوزير - الناشر
: مطبعة الوطن - سنة الطبع ١٣٠٦ هـ القاهرة .
- ٩٤- النظام السياسي في الإسلام - تأليف الدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس - الطبعة
الثالثة سنة الطبع ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٦ م - الناشر : دار الفرقان - عمان .
- ٩٥- حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها للدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس - الطبعة
الأولى سنة ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٦ م ، الناشر : دار الفرقان .
- ٩٦- معجم البلدان للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي
البغدادى سنة الطبع ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م - الناشر : دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت
للطباعة والنشر - بيروت .
- ٩٧- من توجيهات الإسلام تأليف الشيخ محمود شلتوت - الناشر : دار الشروق طبع
مؤسسة دار الشعب - القاهرة .
- ٩٨- النهاية في غريب الحديث للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد
الجزري ، ابن الأثير (٥٥٤ - ٦٠٦ هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي
الناشر : دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م - القاهرة

الفهرس

المقدمة :	٧
من خطبة الحاجة	٧
عموم رسالة الإسلام	٧
التفاف الصحابة حول الرسول	٨
أعداء الإسلام كثيرون	٨
اعداء الاسلام يريدون تقويض اركان الدولة	٨
الرسول يورث مدرسة عسكرية	٨
المدرسة النبوية العسكرية متميزة	٩
صاحب هذه المدرسة العسكرية	٩
اختيار العناية الالهية ليكون قائداً عسكرياً	١٠
التوجيه الرباني	١٠
تلاميذ المدرسة النبوية العسكرية	١١
جيل قرآني فريد في اخلاقه العسكرية	١١
المدارس العسكرية المعاصرة لمدرسة النبوة العسكرية	١٢
ملامح منهاج المدرسة النبوية العسكرية	١٢
المسلمون اليوم بحاجة إلى المدرسة النبوية العسكرية	١٤
مقر القيادة العسكرية	١٥

المقر الدائم هو المسجد	١٦
القيادة توجه الجنود من المسجد	١٦
المسجد مركز للتثقيف العسكري	١٦
المسجد مقر للاستخبارات العسكرية	١٧
القيادة دائمة الاتصال بالمسلمين	١٧
قسم الحركة	١٧
مقر الاسعاف	١٧
مركز اعلام	١٧
المقر المؤقت	١٩

التواضع وعدم الاستعلاء والتميز على الجنود ٢٠

الرسول القائد يشارك الجند في تحمل المشاق	٢١
الشاهد الاول : في بدر	٢١
الشاهد الثاني : في غزوة الاحزاب	٢٢
الشاهد الثالث : طعام جابر	٢٥
الشاهد الرابع : يوم الفتح	٢٦
طعام القائد المنتصر	٢٦

الشجاعة والثبات عند القائد ٢٩

أهمية الشجاعة للقائد	٣٠
اثر هذه الشجاعة على نفوس الجنود	٣٠
شواهد على شجاعة الرسول	٣١
١- شهادة علي بن ابي طالب	٣١
٢- المبادرة والسبق في الشجاعة	٣١

٣١	٣- شجاعته في أحد
٣٢	شواهد على ثباته
٣٢	ثباته في أحد
٣٣	ثباته في حنين
٣٣	ثباته في حنين كان سبباً في تغير نتيجة المعركة
٣٤	تحليل لمواقفه في حنين
٣٥	شواهد على تضحيته بنفسه وأقاربه
٣٦	المبارزة في بدر
٣٦	في أحد
٣٧	في غزوة خيبر
٣٧	في سرية مؤتة
٣٨	اصحابه يتعلمون منه التضحية
٣٨	مصعب بن عمير
٣٨	حنظلة الغسيل
٣٩	عباس بن عباد الخرجي
٣٩	خارجة بن زيد
٣٩	حنكة الرسول
٣٩	لا يستفز ولا يستدرج

٤١ علاقة القائد بجنوده

٤٢	الجنود يحبون القائد
٤٢	في الهجرة النبوية
٤٣	في غزوة بدر

٤٣	زيد بن الدثنة عند استشهاده
٤٤	خبيب بن عدي قبل استشهاده
٤٤	ولد عبد الله بن سلول
٤٤	في غزوة أحد - ابو دجانة
٤٥	طلحة بن عبيد الله
٤٥	المرأة المسلمة
٤٦	في غزوة ذات الرقاع
٤٦	شهادة الاعداء على حب الجنود لقائدهم
٤٧	ابو سفيان ، وعروة بن مسعود الثقفي
٤٨	طريق الحب

٤٩..... القدرة علي حل المشكلات

٥٠	القائد الناجح يتصدى لحل المشكلات
٥٠	مشكلات تصدى لها الرسول وحلها
٥٠	١- علاج الفتنة في غزوة بني المصطلق
٥٣	٢- اعتراض الانصار على حرمانهم من غنائم حنين
٥٥	ملاحظات وفوائد على العلاج النبوي
٥٥	فئات المعارضين
٥٧	سرعة النبي في التصدي للمشكلة
٥٧	الاساس الذي اعتمده في توزيع الغنائم
٥٧	المحاورة الصريحة والاعتراف لأهل الفضل بالفضل
٥٨	سرعة استجابة الانصار ورقة قلوبهم
٥٩	الصحابة بشر

٥٩	مبادرة سعد وصدقه مع نفسه ومع الرسول
٦٠	محاولة معرفة حجم المسألة
٦٠	العلاج النبوي للنفوس
٦٠	التدرج في العلاج
٦١	٣- الفتنة بين الاوس والخزرج
٦١	أثر الاسلام على القبيلتين
٦١	موقف اليهود من اتحاد القبيلتين في ظل الاسلام
٦١	فتنة ثاس بن قيس اليهودي
٦٢	علاج الرسول للفتنة

٦٥ المعرفة بمعادن قادة العدو

٦٦	أهمية هذه المعرفة
٦٦	الشواهد على هذه المعرفة
٦٦	في غزوة الحديبية
٦٦	سيد الأحابيش
٦٦	مكرز بن حفص
٦٧	سهيل بن عمرو
٦٧	فتح مكة ونفسية أبي سفيان
٦٧	شخصية عمر وأبي جهل قبل الإسلام
٦٧	أكيدر دومة

٦٨ الاستخبارات العسكرية

٦٩	مهمة الاستخبارات العسكرية
٦٩	أهمية الاستخبارات العسكرية في التخطيط

الرسول والاستخبارات العسكرية :	٦٩
في غزوة بدر الكبرى	٦٩
في بني المصطلق	٦٩
قبيلة خزاعة المشركة	٧٠
في غزوة الأحزاب	٧٠
العباس بن عبد المطلب يزود الرسول بأخبار قريش	٧١
في غزوة الحديبية	٧١
اثر المعلومات الاستخبارية على خطة الرسول	٧٢
في سرية مؤتة	٧٣
في غزوة تبوك	٧٣
القرار الذي اتخذه الرسول المبني على الاستخبارات العسكرية	٧٣
الاستخبارات بعد غزوة أحد	٧٤
القرار العسكري المبني على معلومات الاستخبارات العسكرية	٧٤
الاستخبارات عن بني أسد وما ترتب عليها من قرار عسكري	٧٤
الاستخبارات العسكرية وغزوة ذات الرقاع	٧٥
من مهمات الاستخبارات العسكرية مراقبة الاعداء في الجبهة الداخلية	٧٥
مراقبة المنافقين وفضح أسرارهم	٧٥
في غزوة بني المصطلق	٧٥

الاستطلاع العسكري ٧٧

الفرق بين الاستخبارات العسكرية والاستطلاع العسكري	٧٨
مهمة السرايا العسكرية الاستطلاعية	٧٨
سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة	٧٨

٧٩	سرية سعد بن ابي وقاص إلى الخرار من ارض الحجار
٧٩	السرية الاستطلاعية في بدر
٧٩	سرية أخرى ، استطلاع في غزوة بدر
٨١	سرية أخرى ، استطلاع في غزوة أحد
٨٢	السرية الاستطلاعية في غزوة الأحزاب
٨٣	الاستكشاف العسكري مهمة تناط للعسكري المتمرس
٨٤	السرية العسكرية في غزوة تبوك
٨٤	في غزوة الأحزاب
٨٥	جمع المعلومات عن قادة العدو
٨٥	فكرة عن السرايا الاستطلاعية
٨٦	سرية عبد الله بن رواحة الاستطلاعية العسكرية
٨٦	القبض على جاسوس لخير
٨٧	تعقيب على هذه الحادثة
	في سرية غالب بن عبد الله الليثي كان جندب بن مكيث الجهني
٨٨	مكلفا باستطلاع أخبار العدو
٨٨	فوائد هذه السرايا الاستطلاعية

٨٩ التخطيط العسكري

٩٠	تعريف التخطيط
٩٠	أهمية التخطيط
٩٠	المخطط الناجح
٩٠	انواع الخطط
٩١	الرسول يعلم اصحابه التخطيط

التخطيط العسكري في الهجرة	٩١
عناصر الخطة	٩١
تفصيل الخطة وشرحها	٩٢
دور المرأة في الخطة	٩٢
التخطيط العسكري في غزوة بدر الكبرى	٩٣
التخطيط العسكري في غزوة الاحزاب	٩٥
حفر الخندق	٩٦
تأمين المدنيين غير المقاتلين	٩٦
الدفاع عن الخندق	٩٦
قتال من يقتحمه	٩٦
التخطيط العسكري في غزوة أحد	٩٧
جمع المعلومات	٩٧
اعلان حالة الطوارئ	٩٧
تعبئة الجنود	٩٧
وقت السير والحركة	٩٧
الطريق إلى ميدان المعركة	٩٨
موقع المعركة	٩٨
التعليمات والأوامر العسكرية	٩٨
الشعار في المعركة	٩٩
التخطيط في غزوة خيبر	١٠٠
المعلومات عن يهود خيبر	١٠٠
الهدف	١٠٠
القوة المناسبة والوقت المناسب	١٠٠

١٠٠.....	قطع الامدادات المتوقعة عن العدو
١٠١.....	الطريق الآمن إلى أرض المعركة
١٠١.....	ساعة الصفر
١٠٢.....	مقر القيادة العسكرية
١٠٢.....	فرق الاسعاف
١٠٣.....	مناطق العمليات العسكرية
١٠٤.....	محصلة العمليات العسكرية

١٠٥..... الاعداد للقتال

١٠٦.....	أهمية الاعداد العسكري
١٠٦.....	المدرسة النبوية العسكرية تعتمد الاعداد الشامل
١٠٧.....	النظرية الاسلامية في الاعداد العسكري
١٠٧.....	١- الاعداد واجب
١٠٧.....	٢- الاعداد الجماعي
١٠٧.....	٣- الاعداد للنيل من العدو
١٠٧.....	٤- صور الاعداد غير محصورة
١٠٨.....	٥- الاعداد يقضي ببذل أقصى الجهد والطاقة
١٠٨.....	٦- الاهتمام بوسائل الاغارة
١٠٩.....	٧- الرمي كل ما يرمى من سهم او رصاصة أو قذيفة او قنبلة عادية
١٠٩.....	أو هيدروجينية أو ذرية أو عنقودية أو كيماوية
١٠٩.....	٨- القوة خير وسيلة للمحافظة على الحقوق
١١٠.....	٩- القوة خير وسيلة لارهاب الأعداء في الداخل والخارج
١١١.....	١٠- القوة ضرورية لحماية الدعاة إلى الله

- ١١ - الانفاق المالي في الاعداد والقتال جهاد ١١١
- ١٢ - الانفاق على الجهاد ليس له حد أدنى ولا حد اعلى ١١٢
- ١٣ - الغاية من الانفاق الجهادى رضوان الله ١١٢
- ١٤ - الانفاق الجهادي يعود على صاحبه بالنفع في الدنيا والآخرة ١١٣
- السرايا التدريبية وظيفتها اعدادية ١١٣
- من اهداف السرايا في عهد النبي - (صلى الله عليه وسلم) - ١١٤
- ١ - تجرؤ المستضعفين على المستكبرين ١١٤
- ٢ - تعرف المهاجرين على طبيعة الأرض التي سيقاتلون عليها ١١٤
- ٣ - استمرار التدريب العملي ١١٤
- ٤ - التدريب على السرية في التحرك ١١٥
- ٥ - اختبار الرجال والتعرف على معادتهم ١١٥
- ٦ - التدريب على جمع المعلومات عن العدو ١١٥
- ٧ - اختبار قوة العدو ومعرفة امكاناته العسكرية ١١٦
- ٨ - البراعة العسكرية في التحرك ١١٦

العقيدة القتالية ١١٨

- الرسول يحدد العقيدة القتالية والأهداف الاستراتيجية ١١٩
- الهدف من القتال رضوان الله ١١٩
- الرياء والمغنم والحمية من أهداف القتال الممنوعة ١١٩
- الرياء يذهب الأجر ويسخط الرب ١١٩
- من أهداف الجهاد نشر الاسلام وتحطيم الأنظمة السياسية المعادية ١٢٠
- المقاتل ينتظر مصيراً من مصيرين مشرفين ١٢٠
- النصر من عند الله ١٢١

١٢١.....	الاخلاص في القتال
١٢٢.....	القتال من أجل رسالة
١٢٢.....	اسس العقيدة القتالية
١٢٣.....	من أثر العقيدة القتالية الصبر على الآلام
١٢٣.....	شواهد ذلك : حرام بن ملحان
١٢٣.....	عامر بن فهيرة
١٢٤.....	قصة الاعرابي واخلاصه
١٢٤.....	من أثر العقيدة القتالية توجد الروح المعنوية العالية
١٢٥.....	ينبغي أن نقاتل من أجل رسالة اصلاحية تغييرية

١٢٧..... اشراك الآخرين في اتخاذ القرار العسكري

١٢٨.....	أهمية القرار العسكري
١٢٨.....	الاسلام أوجب على القائد العسكري أن يستشير
١٢٨.....	فوائد الشورى والاشترار في القرار العسكري
١٢٨.....	- الشورى مدرسة تربوية
١٢٩.....	- الشورى توزيع للمسئولية
١٢٩.....	- الشورى تدريب علي المساهمة في القيادة
١٢٩.....	- الأمة جميعها تصنع تاريخها
١٢٩.....	- الشورى مشاركة الناس في عقولهم
١٢٩.....	- الشورى قاعدة من قواعد الحكم
١٣٠.....	شواهد من سيرة الرسول على الاشراك في القرار العسكري
١٣٠.....	أ- ابداء الرأي ابتداءً
١٣٠.....	- الموقع في غزوة بدر

- حفر الخندق ١٣٠
- ب- توجيه السؤال لأهل الاختصاص بقوله : اشيروا علي ١٣٠
- في غزوة بدر استشار في القتال ١٣٠
- في اسرى بدر ١٣٢
- ج- قد يجتهد في مسألة عسكرية فيستشير في اجتهاده ١٣٤
- هل هو مقبول أو غير مقبول ١٣٤
- في أحد رأوا غير ما رأى ١٣٤
- في غزوة الحديبية ١٣٤
- في غزوة الاحزاب ١٣٥
- في حصار الطائف ١٣٧

التعبئة المعنوية ١٣٩

- القتال بين الرادتين ١٤٠
- الرسول يربي اتباعه على الارادة القوية ١٤٠
- اسلوب التربية الترغيب والترهيب ١٤٠
- توضيح حقيقة الاعداء ١٤٠
- توضيح الموقف منهم ١٤١
- المنهج القرآني في التعبئة ١٤٢
- الترغيب في القتال بذكر ثواب المقاتلين ١٤٢
- في غزوة بدر ١٤٢
- الترغيب في القتال بقتل العدو وهزيمته ١٤٢
- في غزوة بدر ١٤٢
- اثر التعبئة في نفوس الصحابة ١٤٣

- التنافس في الخروج للقتال ١٤٣.....
- في غزوة بدر تنافس سعد بن خيثمة وابنه على الخروج ١٤٤.....
- في غزوة أحد عمير بن أبي وقاص ١٤٤.....
- في غزوة أحد : من يأخذ هذا السيف بحقه ١٤٤.....
- الصحابه يلحون على الخروج في أحد وملاقاة العدو ١٤٥.....
- تنافس رافع وسمرة ١٤٦.....
- في سرية مؤته ابن رواح يرغب في القتال ١٤٧.....
- من صور التعبئة الترهيب ١٤٨.....
- بذكر حكم الفرار وعقوبته ١٤٨.....
- بذكر عوامل النصر ١٤٩.....

١٥٠..... توجيه الضربة الاولى للعدو

- اثر الضربة على العدو ١٥١.....
- الرسول حريص على توجيه الضربة الاولى لعدوه ١٥١.....
- الرسول حريص على جعل المعركة في ارض العدو ١٥١.....
- الضربة الأولى : في غزوة ذات الرقاع ١٥١.....
- في بني المصطلق ١٥١.....
- في غزوة بني قينقاع وبني النضير ١٥٢.....
- في غزوة بني قريظة ١٥٢.....
- في غزوة خيبر ١٥٢.....
- في فتح مكة ١٥٢.....
- في غزوة حنين ١٥٢.....
- في غزوة تبوك ١٥٢.....

- ١٥٣..... في سرية مؤتة
- ١٥٣..... الضربة الاولى في السرايا
- ١٥٣..... سرية أبي سلعة إلى بني أسد
- ١٥٣..... سرية عمر بن الخطاب إلى عجزهوزان بترية
- ١٥٣..... سرية أبي بكر الى بني بكر بنجد
- ١٥٤..... سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى عوال
- ١٥٤..... سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى جمع من غطفان
- ١٥٤..... سرية عمرو بن العاص إلى جمع من قضاة
- ١٥٥..... ترشد السرايا أن الدفاع عن دولة الإسلام يكون بالهجوم كما يكون بالدفاع

١٥٦..... المحافظة على الاسرار

- ١٥٧..... حرص الرسول على معرفة اسرار عدوه
- ١٥٧..... كان الرسول أشد حرصاً على اخفاء اسراره وأسرار المسلمين عن أعدائهم
- ١٥٧..... تفشي الاسرار سبب في الضعف والتخطيط والتنفيذ ونتيجة المعركة
- ١٥٧..... افشاء الاسرار مثلبة تقدر في كفاءة من تصف بها
- ١٥٧..... التدابير النبوية العسكرية في اخفاء اسراره والمحافظة عليها
- ١٥٧..... - دعوة الله أن يحفظ اسرار المسلمين ويأخذ العيون عنهم
- ١٥٧..... - اجراءات عملية لمنع تسرب الأسرار إلى قريش
- ١٥٧..... - في فتح مكة وضع حرساً يراقب كل الطرق المؤدية الى
- ١٥٧..... المدينة ورد كل من يشك في امره من الداخلين والخارجين
- ١٥٨..... - سرية تمويهية بقيادة أبي قتادة
- ١٥٨..... - ارسال من يقبض على المرأة التي تحمل رسالة إلى أهل
- ١٥٨..... مكة يخبرهم فيها حاطب بمسير الرسول إليهم

- نجاح الرسول في المحافظة على أسرارہ ١٥٨
- إخفاء أسرارہ عن الشيخ الذي أخبره عن قريش ١٥٩
- تكتمه في الهجرة إلى المدينة ١٦٠
- أمره السرايا بالسير ليلاً والكمين نهاراً ١٦٠
- التورية في الحديث والحركة ١٦٠
- تلاميذ الرسول يحافظون على الأسرار والشواهد علي ذلك ١٦١
- سرية عبد الله بن جحش ١٦١

الحزم والحسم مع العدو الغادر ١٦٢

- سياسة الرسول مع الغادرين تقوم على الحسم والحزم ١٦٣
- شواهد على هذه السياسة ١٦٣
- حزمه مع بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ١٦٣
- جريمة بني قريظة أفدح من جريمة غيرهم ١٦٤
- قرار سعد الحازم يتناسب مع خطورة جريمة قريظة ١٦٤
- نقاء سعد من كل روااسب الجاهلية ١٦٥
- تحليل ودراسة لحكم سعد بن معاذ في بني قريظة ١٦٥
- حزم الرسول مع يهود خيبر ١٦٦
- حزم الرسول مع المشركين ١٦٧
- قتال كل قبيلة غادرة ١٦٧
- قتال قريش حينما غدرت ١٦٧
- حزم الرسول مع نصارى العرب والروم ١٦٧
- سرية مؤتة ١٦٧
- غزوة تبوك ١٦٧

- الحزم مع الأفراد المعادين الغادرين ١٦٧
- كعب بن الأشرف اليهودي ١٦٧
- عزوك اليهودي ١٦٧
- ابو رافع اليهودي ١٦٨
- الحزم يحافظ على هيئة الأمة والدولة ١٦٨

المفاجأة العسكرية وصورها ١٧٠

- فهم ساذج للمفاجأة ١٧١
- من صور المفاجأة كثيرة - مهاجمة العدو في وقت لا يتوقعه ١٧٨
- مهاجمة العدو من مكان لم يحسب حسابه ١٧١
- المفاجأة بحشد هائل لا يتوقع ١٧١
- المفاجأة باستخدام سلاح لم يعلم به العدو ١٧١
- المفاجأة بتدبير لم يتوقعه العدو ١٧١
- المفاجأة في وضعه في مكان سيء وتختار المكان المتفوق ١٧١
- الشواهد علي صور المفاجأة من الغزوات والسرايا ١٧١
- المفاجأة في غزوة بدر بالموقع الاستراتيجي ١٧١
- المفاجأة في اسلوب القتال في بدر ١٧٢
- في غزوة أحد اختار موقفاً استراتيجياً متفوقاً ١٧٣
- في غزوة الاحزاب كانت المفاجأة بالخندق ١٧٣
- تعقيب على هذه الصورة ١٧٤
- في غزوة فتح مكة فاجأهم بأكثر من صورة : ١٧٤
- في الوقت ١٧٤
- بالحشد الهائل ١٧٤

أثر المفاجأة على الروح القتالية لدى العدو ١٧٥

أهمية الضربة الاقتصادية وتأثيرها على الناحية العسكرية.. ١٧٨

الاقتصاد القوي ينتج دولة قوية وجيشاً قوياً ١٧٩

انهك العدو اقتصادياً يضعفه عسكرياً ١٧٩

الرسول يخطط لانهك عدوه اقتصادياً ١٧٩

ملاحقة قريش وتوجيه الضربات الاقتصادية ١٧٩

اضطراب أمر قريش بعد هذه الضربات ١٨٠

شواهد على توجيه الضربات الاقتصادية ١٨٠

غزوة بني النضير ١٨٠

السرايا إلى القبائل العربية ١٨١

أبو بصير وأبو جندل ومن تجمع معهما ١٨١

سرية أبي بكر التي هاجم فيها بني كلاب ١٨١

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني عوال وبني ثعلبة ١٨١

سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار ١٨١

سريتان لغالب بن عبد الله الليثي ١٨٢

الحرب خدعة ١٨٣

الحرب تقوم على الخدعة ١٨٤

اعتماد الرسول مبدأ خدعة العدو ١٨٤

أساليب خدعة الرسول لأعدائه ١٨٤

١- أسلوب المفاجأة والمباغطة ١٨٤

٢- تزويد العدو بمعلومات لتضليله وعلى هذا شواهد ١٨٥

- دور نعيم بن مسعود في غزوة الأحزاب ١٨٥

- ١٨٧..... - خبر الحجاج بن علاط
- ١٨٧..... ٣- تمزيق جبهة العدو والشواهد عليه
- ١٨٧..... استدعاء الرسول لزعماء غطفان في الاحزاب
- عقد الرسول مع كل قبيلة يهودية عقداً مستقلاً في المدينة ، ولم
- ١٨٨..... يعتبر القبائل كلها أمة واحدة
- ١٨٨..... ٤- الحيلة
- ١٨٨..... حيلة أبي بصير في القضاء علي خصمه
- ١٨٩..... حيلة محمد بن مسلمة على كعب بن الأشرف
- ١٨٩..... ٥- التورية في الكلام والحركة
- ١٨٩..... تعريف التورية
- ١٨٩..... استخدام الرسول هذا الاسلوب في اكثر من موطن :
- ١٨٩..... غزوة بدر الكبرى
- ١٩٠..... التوجه إلى غار ثور يوم الهجرة إلى المدينة
- ١٩٠..... السؤال عن مكان ويقصد غيره
- ١٩٠..... ارسال سرية لمكان ويرسل جيشه إلى مكان آخر

١٩١..... اتخاذ الأدلاء في الطرق العسكرية

- ١٩٢..... الرسول يختار الأدلاء المهرة
- ١٩٢..... عبدالله بن اريقط دليل الهجرة
- ١٩٢..... ابو خيثمة دليل الرسول في غزوة أحد
- ١٩٢..... مذكور من بني عذرة دليل الرسول في غزوة دومة الجندل
- ١٩٣..... رجل من أسلم دليل الرسول في الحديبية
- ١٩٣..... علقمة بن الفغواء الخزاعي دليل الرسول في تبوك

حسيل بن خارجة وعبدالله بن نعيم من قبيلة اشجع

النجدية دليلا الرسول في غزوة خيبر ٢٠٢

٢٠٣ الانضباط العسكري

حرص النبي علي تعليم اصحابه الانضباط العسكري ٢٠٤

الشواهد على ذلك ٢٠٤

في بيعة العقبة الثانية ٢٠٤

تحليل لدرس الانضباط في بيعة العقبة الثانية ٢٠٤

انضباط حذيفة بن اليمان في غزوة الاحزاب ٢٠٥

تعقيب مفيد حول انضباط حذيفة بن اليمان ٢٠٧

انضباط عمر بن الخطاب في غزوة فتح مكة ٢٠٧

انضباط عمر بن الخطاب في غزوة بني المصطلق ٢٠٨

انضباط جندب بن مكيث الجهني طليعة سرية موجهة إلى عجز هوزان ٢٠٩

انضباط جندب بن مكيث الجهني طليعة سرية غالب بن عبد الله الليثي ٢٠٩

انضباط عثمان بن عفان في غزوة الحديبية ٢١١

تعقيب وتحليل ٢١٢

انضباط أبي جندل ٢١٢

الاستفادة من الكفاءات العسكرية وتهيئة

٢١٥ قيادات جديدة

لمحة عن غزوات الرسول وسراياه ٢١٦

حرص الرسول الاستفادة من الكفاءات العسكرية ٢١٦

- اختيارهم أمراء على السرايا والبعوث ٢١٦

- اختيارهم حملة الألوية والرايات في الغزوات ٢٢٠

- مهاراتهم من خلال ممارستهم ١١٢
- اختيارهم قضاة المسلمون يحكمون بين عسكريين وأعدائهم ٢١٢
- حرص النبي علي استمالة قادة العدو العسكريين ٢١٢
- استمالة القائد العسكري خالد بن الوليد ٢١٣
- اختيار خالد أميراً بعد اسلامه بوقت قصير ٢١٣
- الاستفادة من كفاءة عمرو بن العاص العسكرية ٢١٣
- تولية عمرو بن العاص عُمان ٢١٤
- استمالة زعيم هوازن وقائدها العسكري مالك بن عوف ٢١٤
- اهتمام النبي (صلى الله عليه وسلم) بالطاقات الشبابية
- واعدادها للقيادة العسكرية ٢١٥
- خلاصة القول ٢١٦

٢١٧..... تطوير القوة العسكرية

- النبي يؤسس جيشاً معاصراً ٢١٨
- تطوير القوة العسكرية تطوراً سريعاً ٢١٨
- التطور في عدد القوات المقاتلة ٢١٨
- بدأ الجيش في بدر بيضع مئات وصارفي تبوك ثلاثين ألفاً ٢١٨
- سلاح الفرسان بدأ بفرسين ثم أصبح في تبوك عشرة الاف فارس ٢٢١
- التطوير في نظام القتال وأساليبه ٢٢١
- الانتقال من القتال الدفاعي إلى القتال الهجومي ٢٢١

٢٢٣..... علاج المخالفين للأمر العسكري

- الطاعة من أبسط المبادئ العسكرية ٢٢٤
- الطاعة عامل من عوامل النصر على الأعداء ٢٢٤

٢٢٤.....	انعدام الطاعة وضعفها يورث الهزيمة
٢٢٤.....	ما حدث في أحد
٢٢٤.....	سرعة الاستجابة بعد ذلك
٢٢٥.....	الحزم في علاج المخالفين
٢٢٥.....	- مع حاطب بن أبي بلتعة
٢٢٦.....	- في تبوك مع من تأخر
٢٢٦.....	- في تبوك مع من تغيب
٢٣٢.....	قصة الثلاثة الذين خلفوا
٢٣٢.....	الدروس المستفادة
٢٣٢.....	أهمية بيعة العقبة
٢٣٣.....	صدق كعب
٢٣٣.....	التورية
٢٣٣.....	العمل العسكري والتعليمات العسكرية تنفذ في وقتها ولا تؤجل
٢٣٤.....	العسكري صاحب النفس الأبية لا يطيق حياة القعود عن الجهاد
٢٣٥.....	منزلة كعب عند النبي
٢٣٥.....	حسن الظن بالمسلم والدفاع عنه
٢٣٥.....	الاستعانة برأي الأقرباء واستشارتهم
٢٣٦.....	الصدق خلق عسكري اسلامي واجب
٢٣٦.....	الصدق منجاة والكذب مهلكة
٢٣٦.....	البدرى ليس معصوماً
٢٣٧.....	هجران المسئ عقوبة
٢٣٧.....	التزام المسلمين بأوامر القيادة المسلمة
٢٣٨.....	علاج الفتنة

العقوبة الناجحة هي التي تحقق الغرض منها كالزجر وغيره ٢٣٩.....

المرأة والغزو ٢٤٣.....

كلمة موجزة عن الغزو الفكري وخطاره ٢٤٤.....

الغزو الفكري اخطر من الغزو العسكري ٢٤٤.....

من افكار الغزاة الفكريين الاسلام يحرم المرأة من الاسهام في

بناء المجتمع الاسلامي ٢٤٥.....

الاجابة من خلال سيرة الرسول ٢٤٥.....

الاسلام فرض القتال على الرجال دون النساء ٢٤٥.....

حالة كون القتال فرض كفاية على الرجال ٢٤٥.....

الشرع أباح للمرأة أن تخرج للجهاد ولم يوجب عليها لأن في ذلك

حرجاً شديداً دون مبرر قوي ٢٤٥.....

المرأة تشارك في الهجرة ٢٤٥.....

المرأة تشارك في غزوة أحد ٢٤٥.....

المرأة تسقى المقاتلين وتضمّد جراحيهم ٢٤٦.....

المرأة تقاتل في غزوة أحد ٢٤٦.....

المرأة تباع على القتال في غزوة الحديبية ٢٤٧.....

المرأة تشارك في غزوة حنين ٢٤٧.....

النساء يخرجن مع الرسول إلى خيبر ويرضخ لهن من الغنيمة ٢٤٩.....

رفيدة الأسلمية تعالج سعد بن معاذ ٢٤٩.....

المرأة تخرج للقتال إذا استنفر الامام الرعية عند الاعتداء على

ارض المسلمين بالاحتلال ٢٥٠.....

خلاصة القول ٢٥٠.....

الأسر وأحكام الأسرى ٢٥١

- الأسر آخر مرحلة من مراحل القتال ٢٥٢
- ينبغي أن يسبق الأسر الاثخان في العدو ٢٥٢
- أثر الاثخان على نفسية العدو ٢٥٢
- لوم المؤمنين في بدر على الاسراع في الأسر والمن والفداء على أسرى بدر ٢٥٢
- الاحسان إلى الأسرى قبل الحكم عليهم ٢٥٣
- هدى النبي في الحكم علي الأسرى في غزواته ٢٥٤
- في اسرى بدر أخذ الفداء ومَنّ ٢٥٤
- في أسرى أحد قتل ٢٥٦
- في غزوة بني قريظة قتل واسترق ٢٥٧
- في غزوة الحديبية مَنّ على الأسرى ٢٥٧
- في غزوة الفتح الأعظم مَنّ وقتل ٢٥٨
- في غزوة حنين استرق ٢٥٨
- الحكم النهائي في الأسرى ٢٥٨
- كلمة لا بد منها ٢٥٩

آداب الحرب ٢٦١

- شرع القتال لتحطيم الأنظمة السياسية المعادية له ٢٦٢
- من آداب القتال ٢٦٢
- عدم الاعتداء علي المدنيين من النساء والأطفال والشيوخ إذا لم
يشاركوا في القتال ٢٦٢
- الادلة على ذلك ٢٦٣
- عدم الغدر ٢٦٤

٢٦٤.....	حرمة الغدر
٢٦٤.....	التصرفات المبنية علي الغدر باطلة
٢٦٤.....	خصومة أهل سمر قند ضد الغادر والحكم لهم
٢٦٤.....	عدم المثلة
٢٦٤.....	حرمة المثلة بالأداء ودليل ذلك
٢٦٦.....	المسلمون لم يعاملوا المشركين بالمثل في المثلة بالقتلى
٢٦٦.....	عدم الاعتداء على البيوت السكنية بالهدم
٢٦٧.....	عدم الاعتداء علي المزروعات والأشجار
٢٦٩.....	عدم ازهاق ارواح الحيوانات تشفياً وتشهياً
٢٦٩.....	عدم الاعتداء على حقوق المحاربين في الغنائم
٢٧٢.....	قائمة المراجع
٢٨٥.....	الفهرس
٣٠٨	كتب للمؤلف

كتب للمؤلف

- ١- النظام السياسي في الاسلام
- ٢- القضاء في الاسلام
- ٣- حكم الشورى ونتيجتها في الاسلام
- ٤- الشورى وقضايا الاجتهاد الجماعي
- ٥- احكام الذبائح في الاسلام
- ٦- كتاب الايمان والنذور
- ٧- حكم اللحوم المستوردة إلى بلاد المسلمين
- ٨- انفاق الزكاة في المصالح العامة
- ٩- ارشادات لتحسين خطبة الجمعة
- ١٠- القضاء بشاهدين
- ١١- اسس في التصور الاسلامي
- ١٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١٣- تفسير سورة الانفال
- ١٤- ثلة من الأولين
- ١٥- شهداء فلسطين
- ١٦- اسس الدعوة إلى الله ووسائل نشرها
- ١٧- الصراع مع اليهود ج١
- ١٨- الصراع مع اليهود ج٢
- ١٩- الصراع مع اليهود ج٣

- ٢٠- الاسراء والمعراج
- ٢١- الهجرة النبوية
- ٢٢- غزوة بدر الكبرى
- ٢٣- غزوة أحد
- ٢٤- غزوة الأحزاب
- ٢٥- غزوة الحديبية
- ٢٦- غزوة الفتح الأعظم
- ٢٧- غزوة حنين
- ٢٨- الصراع مع الصليبين
- ٢٩- المشاركة في الوزارة في الأنظمة الجاهلية
- ٣٠- منهج الحركة الاسلامية في التغيير
- ٣١- في ظلال سورة الاخلاق (الحجرات)
- ٣٢- فقه الامام البخاري
- ٣٣- مؤتمر مدريد في الشرع والعقل
- ٣٤- القاضي ابو يعلي الفراد وكتابه الاحكام السلطانية
- ٣٥- الابتلاء والمحن في الدعوات
- ٣٦- المدرسة النبوية العسكرية

الإدارة والمكتبة - العبدلي - عمارة جوهرة القدس

مقابل وزارة التربية والتعليم

تلفون : ٦٤٥٩٣٧ ، ٦٤٠٩٣٧ ، ٦٢٨٣٦٢

ص.ب : ٩٢١٥٢٦ - عمان - الأردن

مكتبة دار الفرقان - إربد - مقابل جامعة اليرموك

تلفون : ٢٧٦٥.٦